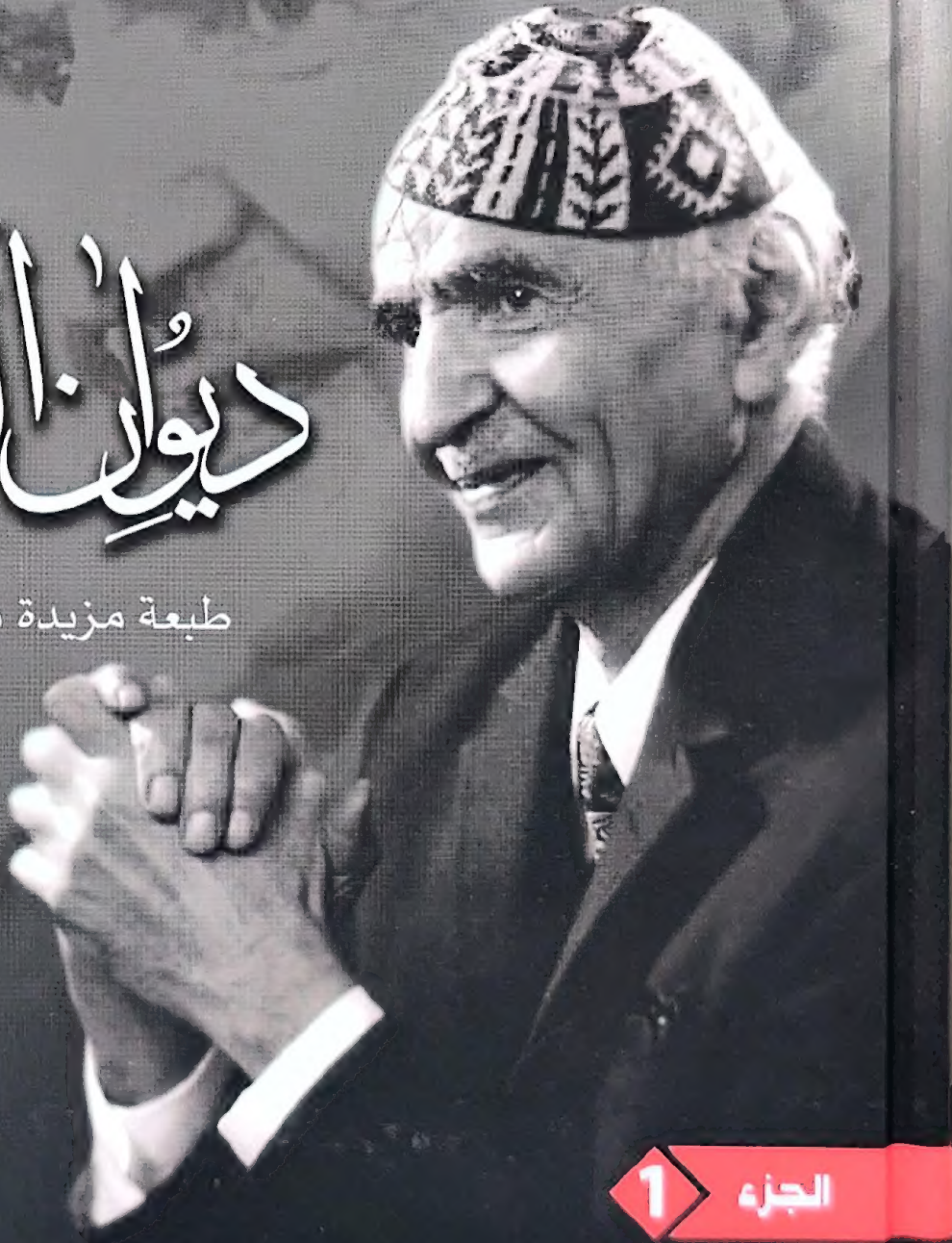




جمهورية العراق
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture, Tourism and Antiquities - IRAQ

ديوان الجواهري

طبعة مزينة منقحة في ستة أجزاء



1

الجزء

ديوان الجواهري

الجزء الأول

ديوان الجواهري
طبعة مزيدة منقحة في ستة أجزاء
الجزء الأول
تأليف: محمد مهدي الجواهري
موضوع الكتاب: شعر
بغداد - 2021

الطباعة الالكترونية والتصحيح والاخراج الفني: دار الشؤون الثقافية العامة

عدد الصفحات: 496 صفحة
الحجم: 17 x 24 cm

الرقم الدولي: ISBN 978-9922-641-21-8

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: 2872 لسنة 2020

وزارة الثقافة والسياحة والآثار
دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان: بغداد - الأعظمية - حي تونس - آفاق عربية

البريد الالكتروني: info@darculture.com

الموقع الالكتروني: www.darculture.com



دار الشؤون الثقافية العامة
The General House of Cultural Affairs

All right reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، من دون إذن خطي سابق من الناشر.

محمد مهدي الجواهري

ديوان الجواهري

طبعة مزيده منقحة في ستة أجزاء

الجزء الأول

لجنة مراجعة الديوان

د. حسن ناظم

د. سعيد جاسم الزبيدي

د. سعيد عدنان

د. رهبة أسودي حسين

د. نادية العزاوي

بغداد - 2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كوتلای، عراق
وزارت الثقافة والسياحة والآثار
وزیر الثقافة والسياحة والآثار
Ministry of Culture,
Tourism and Antiquities.



جريدة السبيل
وزارة الثقافة والسياحة والآثار
مكتب البحوث
العدد : 48 / 93
التاريخ : 2020 / 9 / 28

((امر وزاري))

استنادا إلى الصلاحيات المخولة لنا ولتصنيفات مصلحة العمل تقرّر :
تشكيل لجنة برئاسة وعضوية الذوات المرحمة أسماؤهم أدناه .
تتول اللجنة متابعة ومراجعة مراحل طبع (ديوان الجواهري) وكتاب (منكراتي) للجواهري .

الأعضاء :-

- 1- الدكتورة رهيبة اسودي حسين / مدير عام دار الشؤون الثقافية / وكالة .
- 2- الدكتور سعيد عدنان / قسم اللغة العربية / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء .
- 3- الدكتورة نادية غازي جبر العزاوي / الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم اللغة العربية .
- 4- الدكتور سعيد جاسم عباس الزبيدي / قسم اللغة العربية / كلية العلوم والآداب / جامعة نوري / سلطنة عمان .

د. حسن نازم
وزير الثقافة والسياحة والآثار
2020/9/ 27

صورة عنه إلى :

- دار الشؤون الثقافية / كتابكم ذي العدد 1754 في 2020/9/14 للتفضل بالإطلاع واتخاذ ما يلزم ... مع التقدير
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / الجامعة المستنصرية / للتفضل بالإطلاع ... مع التقدير.
- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة كربلاء / للتفضل بالإطلاع ... مع التقدير.

الجواهري

بين يدي ديوانه

حسن ناظم

وزير الثقافة والسياحة والآثار

تقدّم وزارة الثقافة والسياحة والآثار في العراق طبعةً جديدةً لديوانِ شاعر العرب الأكبر محمد مهدي الجواهري، بعد أن مضى (٤٨) عاماً على طبعةِ وزارة الإعلام العراقية (المنحلة) للديوان الذي طُبِعَ بسبعةِ أجزاء، وصدر الجزء الأول منه في العام ١٩٧٣. عملت على ضبط الديوانِ لجنةٌ من أساتذة العربية، وإنه لتنويهٌ مستحقٌ وشكرٌ لازمٌ لهم على ما بذلوه من جهدٍ طيّبٍ في التصحيح والمتابعة، تألفت هذه اللجنة من الأساتذة د. سعيد عدنان، د. سعيد الزبيدي، د. نادية العزاوي، وكاتب السطور، و د. رهبة أسودي حسين التي أشرفت على مراجعة ومتابعة مراحل عمل الديوان. هذه الطبعةُ الجديدةُ من ديوان الجواهري أكملت طبعةً على الإطلاق بما أنها شملت قصائدَ جديدةً لم تتضمنها الطبعاتُ السابقةُ وتلافت الأخطاء اللغوية والطباعية التي وقعت بها. تضمّن الديوانُ قصائدَ جديدةً، وهي قصيدةُ "يوم التتويج" التي ألقاها الجواهري بمناسبةِ تتويجِ الملك فيصل الثاني في العام ١٩٥٣ في حفلٍ كبيرٍ أُقيمَ في قصرِ الرحابِ ونقلتها إذاعةُ بغداد، و"لك الحياةُ رفاهاً"، و"أيها الأسد المعصوب"، نُشرت هاتان القصيدتان في الصحافة العراقية في العام ١٩٥٩ بعد تعرضِ الزعيم عبد الكريم قاسم لمحاولةِ اغتيال، و"أمين لا تغضب" قالها بعد الانقلاب الذي

حدث في ٨ شباط ١٩٦٣، و"حببتي نبيهة" قالها في وداع شقيقته وهي تُوارى الثرى في العام ١٩٨٧، و"إنّ خيالاً" قالها بمناسبة السنة الثانية لزواج كريمته خيال في العام ١٩٩٤.

وتختطُّ الوزارة بهذا العمل نهجاً جديداً يُعيد الاعتبار لشعراء العراق الكبار وكتابه المبرزين بإظهار أعمالهم الإبداعية بعد أن نُفيت من العراق معهم، ولم يتسنَّ للعراق احتضان هذه الأعمال الكبيرة لسنوات طويلة. وليس من أرب هذه المقدمة الموجزة أن تعرّف بشاعر العرب الأكبر الجواهري، لكنّ نمط تكوين شاعر من طرازه، في بيئة مدينة النجف العراقية، ذات الخصوصية الثقافية والدينية، يفتح الباب على ما انغلق من أسرار أثر النشأة الأولى، تلك التي يمكن أن تولّد لحظة مثل لحظة الجواهري في زمن انحسار الشعر. كان الجواهري يهروُل إلى دواوين الشعر عاصياً بذلك وصيّة والده الذي كان يخطُّ له مساراً في بطون كتب علوم الدين. وكانت مخايل النبوغ والعبقريّة بادية على الصبيّ الجواهري، لكنّ تصريف النبوغ لم يكن ليتحكّم به أبٌ أو مجتمعٌ، وهو فوق طاقة الكتمان والكبت: إنّه يتفجّر، إنّه يتمرّد. ولم يكن له أن يتفجّر ويتمرّد إلاّ بارتحاله من بيئته المحافظة إلى بغداد، ناشداً صيناً أكبر لمجده الشعريّ، ومكانة أعلى في المجتمع الشعريّ والاجتماعيّ والسياسيّ، مثله في ذلك مثل قُدوته ومثاله المتنبي في ارتحاله من الكوفة إلى بغداد. كان الجواهري يتربّص لنبوغه الظهور، وكان ذهنه يتمثّل الشعر، وحافظته تحتزّنه، ووجدانه يتشبع به، حتى أنّني حين أترصد نظريات الشعرية منذ اليونان مع أرسطو، والعرب مع ابن سلاّم وقدامة والجرجاني والقرطاجني تمثيلاً، والكلاسيكيين مع بوالو، والمحدثين مع ياكوبسون، وغيرهم كُثر، هذه كلّها تقصّر عن تفسير عبقرية شعرية كبرى مثل عبقرية المتنبي وأبي العلاء المعري وصولاً إلى الجواهري، الشاعر الذي أفنى القرن العشرين في "صناعة الشعر". إنها معضلة ضبط فنّ الشعر، وتأسيس حدوده، إنها الشعرية التي تروغ من التقنين، وقد حلّصها النحويّ البصريّ يونس بن حبيب (ت ١٨٢) بقوله: "الشعر كالسراء والشجاعة والجمال لا يُتّهى منه إلى غاية".

يمدُّ شعرُ الجواهري بصدوره وأعجازه جناحيه على القرن العشرين كلّهُ، قرن تأسيس الدولة العراقية. وفي هذا العام، عام ٢٠٢١، تَمَّ الذكرى المئوية لتأسيس الدولة هذا، وكم أن حدث صدور ديوان الجواهري في العراق، بطبعة من وزارة الثقافة، بأجزائه الستة، يُناسبُ حدث التأسيس، فتاريخ الدولة العراقية الحديث مبثوث في ديوانه. في هذه الأجزاء الستة، حضرَ تاريخُ العربِ بعامة، وتاريخُ العراقِ بخاصة، ورُسمت فيه لوحاتٌ لوجوه الشخصيات السياسية والاجتماعية: من الملوك والرؤساء، والوزراء والشهداء، ومراجع الدين والوجهاء، والمفكرين والشعراء، والروائيين والعلماء، والأصدقاء والأقرباء، والنواب والثوار، والشيوخ والتجار. ووُصفت فيه دُولٌ ومُدُنٌ، وأنهاضٌ وبحارٌ، ومعاركٌ ومقاتلٌ، وثوراتٌ وانتفاضاتٌ، وانقلاباتٌ وأيامٌ وطنيةٌ، وجيوشٌ ووفودٌ، وصَبَواتٌ وشهواتٌ. جاء كلُّ ذلك ضمنَ الأغراضِ المعروفة للشعر العربيّ مدحاً وهجاءً وغزلاً ورثاءً وغيرها، مصطبغاً بالسخرية والنقد اللاذع، والتقريض والزلفى، والاختيال والعُجب، والضعف واليأس، ومواجهِ الغربة ومسراتِ الوطن، والاحتدام والاستكانة: إنه "برزخ" الجواهري، مجمّع الروح القلقة، والنفس اللائبة، تلك التي أسكنها الجواهري في "أبيات" قصائده، ووطنها في لغته الفخمة الجزلة.

ذاكرة قراءة أشعار الجواهري ذاكرةٌ مؤثرة، تستحوذُ على العراقيين والعرب، فهو سليلُ الشعراء الكبار من طرازِ المتنبي، أولئك الذين يبشّون مع النشوة الشعرية القيمَ الثابتة إيجاباً وسلباً، وبالنسبة لي، تحكّمت التقاليدُ الشعريةُ الراسخةُ في شعر الجواهري في بعضِ زوايا الوجدانِ والنفسِ، إذ لا يمكنُ أن يولدَ المرءُ وينشأ في العراق، النجف على وجه التحديد، من دونِ أن تستحوذَ عليه شاباً آياتُ القرآنِ وكنوزُ "نهج البلاغة" وقصائِدُ الجواهري، ومع التقاليدِ الشعرية، ديفتُ القيمِ الأخلاقية، والنوازغُ الفردية، والخيرُ والشرُّ إلخ. فرّختُ هذه الذاكرةُ المستحكمةُ شعراء "جواهريين"، نصّبوا الجواهري نبياً للشعرِ سيحتاج عاجلاً أم آجلاً "خليفة" يواصلُ حراسةَ التقاليد. وهكذا اتّسع المشهدُ لمجموعةٍ من الشعراء الخلفاء، من أولئك الذين أثروا ساحةَ القصيدة الكلاسيكية بنماذج باهرة، مع أنها

كانت وفيّة، كالنموذج الأصلي، للتقاليد إيجاباً وسلباً. وعلى أيّ حال، تمتّع الجواهري بموهبة فذة وذاكرة فريدة عضدتها همّة عالية في التحصيل الأدبي والحفظ، ورعاهما طموح بعيد الشأور في أن يكون حلقة في السلسلة الذهبية من الشعراء العرب، أولئك الذين ناغاهم، واشتملت أشعاره على أسائهم وأشعارهم تضميناً وإشادة، بدءاً من المتنبي وانتهاءً بالزهاوي والرصافي وحافظ وشوقي، ومروراً بطرفة بن العبد والنابغة الذبياني، بالفرزدق والأخطل وجريز، وأبي نواس والمعري والبحري وأبي تمام، وتطوّل السلسلة الذهبية التي أراد الجواهري أن يكون ختامها المسك فكان، وتتسع فروع هذه الشجرة التي انتسب إليها فكانت ما يفضّله الجواهري من أسلاف ليكون خير خلف لهم، ويكون للعراق رافداً مع الرافدين، ونهراً ثالثاً مع الفراتين.

الجواهري

من المولد حتى النشر في الجرائد

الدكتور علي جواد الطاهر

تبدأ بداية الشاعر الكبير قبل أن يأتي إلى الدنيا، وإذ يأتي، فمنذ اللحظات الأولى وعلى مر الزمن وتراكم التجارب تنمو البداية سراً دون أن يعلم بها أحد، وتنمو أكثر إذا لقيت تربة خصبة وهواء نقياً وزاداً خاصاً... فتدّل على وجودها بتلميح مرة وتصريح مرة، إنها إذ يتهاى لها الأساس تفرض نفسها على الجانبي - وغير الجانبي - وتحوّله لمصلحتها.

- متى ولد الجواهري؟

وتبحث وتلخّ في السؤال ولا تكاد تقف على حقيقة وتضطرب الروايات بين الهجري والميلادي. ويزيد الاضطراب الشاعر نفسه، وحرصه في أن يكون أصغر مما هو عليه مستغلاً ما يتمتع به من قوة ونشاط وهو في السبعين أو ما نيف عليها... وإذا حاسبته بما ورد في شعره من أرقام، أنكر أن تكون لهذه الأرقام دلالة علمية، إنها شعراً أكثر منها تاريخاً....

- متى ولدت؟

- ولدتُ عام ١٩٠٣م وقيل ١٩٠١م والأول هو الأصح^(١).

وقال آخر: ((ولد في النجف في ١٨ ربيع الثاني عام ١٣١٨ هجرية، ١٩٠٠م أو كما يحلو له أن تكون ١٩٠٣))^(٢).

^(١) شعراء الغري للخاقاني ج ١٠ ص ١٤٣ - وقد جعل الولادة بالتاريخ الهجري سنة ١٣٢٠هـ.

^(٢) الجواهري شاعر العربية للدجيلي ص ١٩.

وتطلب اليه عام ١٩٧٢ مجلة أن يكتب لها عن نفسه بقلمه فيكتب: ((أنا محمد مهدي الجواهري، في الثانية والسبعين من عمري. ففي بيت صغير من بيوت النجف الأشرف ولدت عام ١٩٠٠))^(١).

وتقول له بعد ذلك: انك ولدت عام ١٩٠٠، فينكر- مازحا الهزل بالجد كعادته إذا جرى الحديث عن الأعمار- وتذكّره بالمجلة فلا يعترف... ويتسم ويقول: إنك إذا حاسبت على المسجلات فيها هو ذا جواز سفري وهذا ميلادي فيه ١٩٠٧- يقولها متمنيا أن يكون هذا التاريخ صحيحاً.. ثم ما قيمة العمر في الدلالة على الحياة؟!

وفي ذات يوم نقع على الحقيقة أو نقترّب منها... لقد كانت العادة أن يؤرخ الوليد شعراً، أما أرخت؟ فيجيب بالنفي البات حتى لكأن لم تكن العادة جارية فعلاً؛ إنهم إن لم يؤرخوا شعراً، كتبوا التاريخ على أقرب كتاب لديهم أو على المصحف... أو... أو...؟ فينفي أن يكون قد حدث له شيء من ذلك، وأنه ليفضل أن يعرف عنه أنّه جاء الدنيا من دون اهتمام له على أن يعرف تاريخ ميلاده.

ونسي ذات يوم انكاره وجود التاريخ الشعري فقال: أنا أصغر من أخي الأكبر عبد العزيز باثنتي عشرة سنة، وميلاد أخي معروف مؤرخ شعراً، عمله السيد جعفر الحلي ومثبت في ديوانه:

... سمعا أباه أن تاريخه أعقبت يا بشراك عبد العزيز^(٢)

^(١) مجلتي، بغداد، العدد ٢٩، ١ نيسان ١٩٧٢، ص ٥ ((ميكرفون مجلتي يحرره الجواهري)).

^(٢) كتاب سحر بابل وسجع البلابل (ديوان شعر) للسيد جعفر الحلي وشرح محمد حسين آل كاشف الغطاء، صيدا، مطبعة العرفان، ١٣٣١ ص ٢٥٣. ينظر عن عبد العزيز الجواهري ماضي النجف وحاضرها لجعفر الشيخ باقر محبوبه ج ٢ ص ١١٨ - ١٢٠ وفيه انه ولد ليلة الرابع عشر- من صفر ١٣٠٨ وشعراء الغري للمخاقي ج ٥ ص ٤٤٧-٤٤٦.

ويحسب العارفون بالتاريخ الشعري فيظهر أن ميلاد عبد العزيز ١٣٠٨ هـ فاذا أضفت له الـ ١٢ المدعاة كان ميلاده سنة ١٣٢٠ وهو التاريخ المفضل لديه لأنه يقربه بالميلادي من الـ ١٩٠٣ ولا يخرج بذلك عن حدود السبعين - ومن يدرينا فلعله احتاط سلفاً للأمر فزاد على الفرق بين الميلادين سنتين أو ثلاثاً^(١)؟

-وما رأيك بالشيخ جعفر محبوبة مؤلف كتاب ((ماضي النجف وحاضرها)).
-صادق، ثقة، وكتابه قيم وإني لأبحث لي عن نسخة منه أستعين بها على ذاكرتي ومذكراتي..

-إنه يقول: ولد ليلة السابع عشر من ربيع الأول سنة ١٣١٧ هـ^(٢).
-هذا تمام... صحيح (وكان الذي شجعه على الاستمرار في التأيد جهله الفرق بين السنة الميلادية والهجرية... وتصوره أن هذا التاريخ يرقى به الى ما بعد الـ ١٩٠٠ م).
ونرجع إلى قواعد تحويل الهجري إلى الميلادي وإلى الجداول العلمية المعترف بها فيظهر أنه ولد يوم الأربعاء، السادس والعشرين من تموز سنة ١٨٩٩.
ويبدو أن هذا هو التاريخ الصحيح لما هو معروف من صدق محبوبة وثبته وصلته بآل الجواهري ولصيغة تاريخ الولادة حتى لكأنه استقاها من أوثق المصادر، وكان من دأبه أن يتحرى ويرجع إلى الأصول فلم لا يكون قد أخذه عن والد الشاعر نفسه^(٣)؟
وعلى أي حال فإن الأمر ليس بهمهم جداً فالأسرة والبلدة والبيئة العامة تكاد تكون هي هي خلال الأعوام الثلاثة المختلف فيها - أو عليها.

^(١) إنه سيحتفظ بمثل هذه الريادة قصداً وعلى غير قصد - لدى سرده أحداث عمره حتى لكأنه ولد عام ١٩٠٣ دون نقاش وإذ يقول كنت ابن سابعة فكأنه لم يكن ابن عشرة - أو ما أشبه.

^(٢) ماضي النجف وحاضرها ج ٢ ص ١٣٦

^(٣) نهني الأستاذ رشيد بكتاش إلى بيت من شعر الجواهري يقربه من هذا التاريخ دون أن يسمح للشاعر كثيراً بالدفاع عن نفسه بضرورة الوزن الشعري. فقد قال سينية سنة ١٣٤٢ / ١٩٢٤ وفيها:

طبقت شهري البلاد وما جاوز عمري عشراً وسبعاً وخمسا

الحكم العثماني هو السائد، والعرب خاضعون باسم الدين، ويدعون إلى الحد من هذا الطغيان بالمطالبة بالدستور. ونبه ذلك جانباً من العرب إلى الدستور مرة وإلى سوء حالهم مرة..

وجرى للفرس شبيه بما جرى للأتراك إذ طالبوا بالمشروطة وتردّد في العراق الصدى، وكان في الناس من هو للمشروطة، وفيهم من هو عليها.

والمادة العلمية السائدة هي مادة الدين من فقه وأصول... ويلها- ويتصل بها- النحو والصرف والبلاغة والأدب... وكانت في العراق للشعر نهضة تذكر^(١) ثم بدت طلائع التجديد في صياغة الشعر ومضامينه.

وقطعت الشام ومصر شوطاً في الثقافة والصحافة والنشر. وسبقت مصر إلى بدايات من الفكر الجديد صدى للعلم الصرف في أوربة ولما كان ينشر ويداع في هذه القارة. وكان هذا الفكر ممنوعاً محرّماً في العراق، وتكفي فيه قراءة جريدة مستنداً للتكفير أو الاتهام بما لا يرتضيه المجتمع ولا يقره العرف.

والبلدة هي النجف، وكانت مدينة العلم الديني المنقطعة النظير ثم الأدب والشعر وهي فيها نادرة من النوادر وأعجوبة من الأعاجيب، يعنى أهلها بقول الشعر وسماحه والحديث عنه عنايتهم بالمسائل اليومية من أكل وشرب. إنهم أدباء كما يتنفس المرء الهواء... ولا تسب- بعد ذلك- عن الكتب المكتبات، والأسر العريقة في العلم والأدب والشعر ومجالسها الخاصة والعامة، وما يتلى من شعر في الأفراح والأحزان وفي مأتم الحسين بن علي وما يتفاخر به الشعراء ويسمر به الناس.

إن الشعر في النجف حياة.. وهو لدى أبنائها ولا أسهل منه أو أيسر أو أنه فيها كالماء والهواء استسهالاً واستعظاماً، جداً وهزلاً، وهو مجد كما هو مرتزق، وعلامة فارقة لا تكاد تضاهيها فيه بلدة أخرى في العالم العربي. وقد تذكر الحلة- بوجه من الوجوه- ولكن الحلة والنجف تكادان تكونان شيئاً واحداً فالسيد حيدر الحلي في الحلة كما هو في النجف يقرأ

^(١) ينظر كتاب الدكتور محمد مهدي البصير- نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة المعارف ١٩٤٦.

ويحفظ ويتلى ويترنم به ويعجب ثم أن بين الحلة والنجف وشائج نسب كما هو بينها من وشائج الادب وهناك آل القزويني في الحلة وآل القزويني في النجف...

والأسرة عريقة في علوم الدين والأدب والشعر وقد بلغ علمنا منها النصف الأول من القرن السابع عشر..^(١) وإذا كانت قد عرفت بآل الجواهري فذلك عن جد قريب هو الشيخ محمد حسن أحد أعلام الفقه في عصره وقد بلغ أن يكون في القرن الثالث عشر مرجعاً دينياً أعلى، وقد ألّف كتاباً جليلاً سماه ((جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للمحقق الحلي)) كان أحد ثلاثة كتب لا يمكن أن يرشح في الاجتهاد إمام ما لم يدرسها، وطار صيت الكتاب حتى عرف به مؤلفه فكان الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.. وقال صاحب الجواهر.. وإذا أنجب أعلاماً كانوا أولاد صاحب الجواهر، وجواهريين، وآل الجواهري، والواحد منهم صاحب الجواهر، وجواهرياً...

والأسرة العريقة الماجدة مشتبكة العروق بأسر عريقة ماجدة: آل كاشف الغطاء، آل بحر العلوم الطباطبائي، وآل القزويني، وآل الحبوبي.. ثم لم تلبث أن اشتبكت بقبيلة زبيد. حاز أولاد الشيخ صاحب الجواهر - وأحفاده - منزلة سامية في العلم الديني والأدب والمجتمع، وإذا تصدر بعضهم للتدريس وبلغ من الفقه مبلغاً وإذا غلب على بعضهم الأدب وعرف به فإن عبد علي منهم اختلف كثيراً عن الآخرين. ولم تؤثر فيه البيئة فينكب على العلم والأدب ويكون له فيها شيء من الأشياء.. وإنما أثرت فيما يكون شاذاً فيها حتى عاد مثل هذا الشاذ مألوفاً، ومن هذا المألوف أن ينشأ من أبناء العلماء أولاد ((مدللون)) يستغلون ما عليه آباؤهم من مكانة وجاه ومال فيبتعدون عن جوهر سلوكاً، فيميلون إلى الدعة والراحة والأنس، وهؤلاء من الوضوح في المجتمع بحيث تسمى فئتهم: الأغايون (الأغوات).

^(١) ماضي النجف وحاضرها ج ٢ ص ٩٩ - ١٣٧ آل الجواهري، وفيه ص ٩٩: ((وكان لابائهما - الأسرة - في النجف ذكر.. في أوائل القرن الثاني عشر فان جدها الأعلى عبد الرحيم الشريف الموصوف بالكبير النجفي كتب له بعض تلاميذه شعراً سنة ١١٤٩)).

وهكذا كان عبد علي بن الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر مكتفياً بأنه ابن الشيخ، ويحقق عن طريق ذلك كثيراً مما تصبو اليه النفس دنيوياً من متع بما في ذلك الأسفار خارج العراق وزرع الزوجات هنا وهناك.

تزوج عبد علي - ويسمى الشيخ عبد علي أيضاً - صيته بنت الشيخ علي بن الشيخ جعفر آل كاشف الغطاء^(١). وأم صيته هذه من بيت سمر مد من قبيلة زبيد في أطراف الحلة زوجها أها الشيخ علي كاشف الغطاء إكراماً لمقامه الديني وكانت صيته ثمرة لهذا الزواج وما إن اكتملت البنت حتى عرفت بشخصيتها القوية وحكمتها وذكائها وحنكتها ورأيها ورزانتها. وما إن دخلت صيته بيت الشيخ عبد علي حتى احتلت المكانة اللائقة بها وتعدت سمعتها الطيبة حدود البيت والأسرة... إلى البلدة كلها وإلى ما هو أبعد من ذلك.

كان الشيخ عبد علي يسكن محلة المشراق من النجف على حدود محلة العمارة حتى إن سرداب البيت لينفذ إلى هذه المحلة الثانية... ولم يرزق من الذكور إلا واحداً جاء الدنيا عام ١٢٨١^(٢) (=حوالي ١٨٦٤ م) أسماه عبد الحسين وبدأ يتعلم ومال إلى العلم والأدب والشعر - على خلاف من أبيه - فقد درس على أفاضل علماء عصره واختلف إلى أعلى الحلقات في الأصول والفقه حتى حقق مبكراً مكانة مرموقة، ويكفي أن يقول فيه - وهو في الثالثة والعشرين من عمره - شاعر عصره الكبير السيد حيدر الحلي^(٣):

فات الشيوخ يافعاً وسادها ندب ثنت له العلى وسادها
ما أظلمت في الدين من معضلة إلا جلا بفكره سوادها

^(١) وتزوج القزويني - في الحلة - أختها وانجبت له السيد محمد علي فهذه جدة السيد جعفر كما كانت تلك جدة مهدي.

^(٢) كذا في شعراء الغري ج ٥، وفي ماضي النجف وحاضرها ج ١ ص ١١٢ ((ولد سنة ١٢٨٢ وقيل ١٢٨٦)).

^(٣) ينظر عن السيد حيدر الحلي، نهضة العراق الأدبية للدكتور البصير، شعراء الحلة للخاقاني، البابليات لليعقوبي..

سيتنضي دين الهدى من فكره صوارماً ما سكنت أغمادها^(١)

وكانه إذ وصل بالفقه سره بجده صاحب الجواهر وصل بأبيه عبد علي سره الآخر، فلقد ((كان الى جنب علمه الجم وأدبه الغزير وفضله المعروف، فكهاً ظريفاً لا تفوته النكتة ولا تغرب عن طبيعته الظرافة المستملحة، وربما يسرف أحياناً اذا انطلقت نفسه فيبدع في النكتة إلى حد يتجاوز حدود القسوة. وإلى جانب ذلك يتمتع بجرأة ومغامرة مشفوعة بلباقة وحسن بيان...))^(٢).

وليس هذا كل شيء... فقد كان معروفاً بقوة الشخصية والحدة في المزاج، غضوباً تدخل الحدة منه دائرة الغضب الرهيب، ويصبح طبيعياً أن تكون الجرأة من مستلزمات هذا المزاج. وكان أنوفاً لدرجة الازعاج، كريماً لدرجة ألا يبالي بما يصيب بيته إذ يبدخ بأقصى ما يملك كمن يلعب بنفسه، فمن انه يزين هذا البيت بأعلى الطنافس المحوكة على قدر مساحته بما في ذلك العتبات الى أنه لا يملك الخبز وعشاء ليلته.

ثم إنه شاعر مجيد ((رقيق الشعر)) اشتهرت له قصائد في حينها... ولكن ميله إلى الفقه كان أعم وأغلب...

تزوج فاطمة بنت الشيخ شريف آل كاشف الغطاء- وكان يكبرها بأكثر من عشر سنين- ورزق ولداً سماه عبد العزيز ثم رزق آخر- بعد سنين سماه مهدي^(٣) وكان كلما تقدم في مدارج

(١) جاء في شعراء الغري للخاقاني ١٦٦ / ٥: ((ويصور لنا السيد حيدر الحلي مقامه وهو شاب لم يبلغ الثالثة والعشرين من عمره فينبري الى مدحه والثناء عليه برسالة قدمها بأبيات وقد أثبتتها صاحب الحصون المنيعه.. وهي.. ولا شك في أن مثل السيد حيدر وهو شيخ الأدب آنذاك يخاطب شاباً في بداية العقد ليدل على منتهى مقام المترجم له ومكانته.

(٢) شعراء الغري ١٦٥ / ٥.

(٣) هو شاعرنا صاحب هذا الديوان واذ عرف بمحمد مهدي فعلى عادة جارية و((خير الأسماء ما محمد وعبد)).

العلم الديني قل اهتمامه بالشعر وازداد انصرافاً إلى الفقه، وبلغ في ذلك أن تصدر للتدريس متخذاً من بيته مدرسة يؤمها الطلبة للإفادة. ولم يلبث أن هجر الشعر كأنه يقتدي في ذلك بالسيد محمد سعيد الحبوبي - العالم الشاعر الكبير في زمانه.

وقد أسف لهجره الشعر معاصروه من محبي الأدب حتى قال قائلهم: ((... هو.. ما شئت من غزارة فضل وعلم وكرم وحلم. وسجاجة أخلاق وطيب أعراق. وعزة نفس وعلو همة. وله من الأدب وملكة الإنشاء في النظم والنثر حظ وافر وكعب عال. وكان ينظم في أيام شببته من القصائد الغرر ما يطرب سمع الدهر... ولكنه منذ أمد غير قريب قد طلق خرائد الأشعار طلاقاً باتاً... وترك في نفس الأيام حسرة أن يسمع له كلمة أو يحس له بنغمة...))^(١).

ينشأ مهدي في حجر أمه ورعاية والده... وعناية ((عبدة)) للأسرة اسمها (تفاحة) وهي امرأة على الغاية من الإخلاص للبيت عموماً ولهذا الوافد الجديد خصوصاً تلاعبه وتداعبه وتؤانسه وهو منسجم وإياها متجاوب معها... وبدا كل شيء مهياً إلى أن ينمو الوليد طبيعياً لا يعكر صفوه معكر، ولا يعود مستغرباً أن تظهر عليه سمات المرح وتلوح علامات الصفاء، على الرغم مما تعرض له من جذري أو من سقوط من على صندوق مرتفع أدى إلى كسر يده وتجييرها وكسرها مرة ثانية لإصلاح التجبير الأول، وسقوطه في الحوض العميق الذي يتوسط الحوش وكاد يموت لولا أن ألقت الوالدة بنفسها عليه فأخرجته من القعر. ولكنه إذا نجا وحاطته عناية الأسرة عاد إلى صفائه.

وهكذا كان... وامتلك الطفل عالم بيته، يحتوي الكائن ويفتقد الفقيد، ودخل كل شيء في ذاكرته يتفاعل وإياه... ولم يكن قد اجتاز عامه الثاني عندما توفي جدُّه علي في إحدى حجر بيته بالمشراق، فكان مؤسداً والناس من حوله يبكون والقهوة المرة تدور على الوافدين^(٢)... وبعد سنتين أو ثلاث من وفاة الجد نقض الشيخ عبد الحسين البيت القديم وأقام مقامه بيتاً جديداً وإذا اكتمل البناء أو كاد وإذا أحضر القير وقير الحوض نفدت رائحته إلى نفس

^(١) كتاب سحر بابل هامش ص ٢٥٣، شعراء الغري ٥ / ١٦٦.

^(٢) اذ رواها لي الجواهري قال انه يمكن ان يكون ابن أربع سنين.

الطفل- وكان إذ ذاك في الرابعة أو الخامسة- وعمل له- من باب العناية والدلال- مگواراً صغيراً... واذ خرجت الوالدة في زيارة إلى بيت أخيها اصطحبت الطفل معها وصحب الطفل معه المگوار الصغير، ولكن ماذا يفعل بالمگوار؟ ماذا يفعل؟ لقد رأى في الشارع ابن ((عمه)) حسين (وكان عمره ٢٠ سنة) جالساً فما كان منه إلا أن جرب به المگوار فضربه فانفض هذا وكان ((شقاوة))، وهم بضرب الطفل إلا أن الطفل لاذ بالعباءة أو أن الأم أسرع فلفته بعباءتها، ولم يثن الملاذ الفتى المعتدى عليه وكاد أن يهجم وهنا لم تجد الأم بداً- لكي تنقذ ابنها من شر مستطير- من أن تكشف عن وجهها فعرفها فانسحب...

وكان الطفل يجري مع أمه في أحاديث... وكان من ذلك أن ذكرها بوفاة جده... كان ممدداً في الغرفة الفلانية من المبنى القديم والزاوية الفلانية منها والناس سيكون والقهوة تدور... فما كان من الأم إلا أن ((شهقت)) مستغربة من هذه الذاكرة العجيبة: لقد كنت آنذاك على صدري- أي أنه لما يُنْه عامه الثاني.

وكان من شأن (تفاحة) معه أن تقصّ عليه الحكايات وتروي الأساطير، وقد يكون في هذه الحكايات ما يراد لذاته وينقل كما ورثته، ولكن من هذه الحكايات ما كان ابن واقعها المر، وليس المقصود بالواقع المر حياتها عند آل الجواهري، فهذا أمر غير وارد، إنها راضية عنهم مخلصه لهم... وإنما الواقع المر الذي يعيشه العبيد أنفسهم، واقع تفاحة- واحدة منهم- إذ ترى نفسها غريبة، وإذ تتذكر كيف يباعون ويشرون، وكيف يفارق الأطفال منهم آباءهم فيشملها التمزق فتتمزج الحكاية بالدموع.

يصعب أن يمرّ هذا من دون أن يترك أثراً... من الرقة والعطف وربما الأسى والحزن وقد بلغ الطفل الرابعة والخامسة وزاد.

وإذ بلغ الطفل الخامسة وتعداها قليلاً كان الحادث الكبير في بيته، ألا وهو وفاة جدته- أم والده: (صيته)، وقد كانت هذه الوفاة حادثاً جليلاً؛ لأنّ صيته لم تكن كباقي النساء لما هي عليه من قوة الشخصية وسداد في الرأي حتى غلب اسمها على البيت فلم يسمه الناس بيت الشيخ عبد الحسين وإنما سموه بيت صيته... ثم إنها والدة فلان (شيخ عباس)، لقد أحدث موتها في البلد ما لم يحدث فيه مثله لامرأة قبلها- أو بعدها- وقد أقيمت لها الفاتحة، وكان

نادراً ما تقام الفاتحة لامرأة، بل لم تقم فاتحة لامرأة غيرها. كانت الفاتحة فخمة جداً حتى لقد فرشت الشوارع وحضر من المعزين السيد الحبوبي الكبير، ومثل هذا لا يكون، ثم تسابق الشعراء إلى رثائها- وهذا لا يكون أيضاً.

انتظم الحفل واحتشد القوم ولم تكن العادة السائدة أن يقرأ الشعراء قصائدهم وإنما كان يقوم بالقراءة متخصصون بهذه المهمة، كان شيخهم وأعلامهم شأناً وأرخبهم صوتاً الشيخ محمد شريف- بلبل الفرات، وإذا أنشد سحر... وقد تولى الإنشاد في هذه الفاتحة وحسبك دليلاً على مكانة الفقيد أن كان بين الشعراء المتبارين الشيخ جواد الشبيبي والسيد عبد المطلب الحلي.

صعد الشيخ شريف المنبر وشرع يقرأ... وكانت العادة أن يكرم القارئ في أثناء قيامه بمهمته وإذا شرع يقرأ تسابق الوجوه في الإكرام: قماش وساعات، من أفخر القماش (طوك زرى) وأغلى الساعات... وبلغت الطوق أعلى درج من درجات المنبر.

ربما كان مهدي يسمع بالشعر، ولا بد من أنه سمع.. ولكنه لم ير كاليوم مجداً للشعر والشعراء... أكابر البلدة يحضرون ويهتزون ويستعيدون ويشبون، الشعر، القصيدة، البيت، جواد الشبيبي، عبد المطلب الحلي... فلان وفلان.. الشيخ شريف.. صور متعددة يضمها إطار عام لا بد من أن تهز النفس وتترك الأثر.. إذاً هذا هو الشعر.. وهؤلاء هم الشعراء.. وهذا الجيد منه.. وهذا وقعه في المجتمع.. أجمل الواقع وأسمى المكانة.. وكل شيء دونه.. ثم منظر المنشد، ويصعب ألا يثير الفضول والدهشة والإعجاب.. وإذا أمكن أن تضعف صورة من هذه الصور فإن صورة المنبر مما لا يمكن أن تفقد أهميتها.

ويزيد في الأمر أمراً أن الوالد كان يريد لابنه أن يقف على هذه الامور وأن تبلغ من نفسه مبلغاً.

وإذا كانت الوالدة وتفاحة لا تدخران وسعاً في المبالغة بالعناية والحب حتى تستحيل التربية على يديهما دلالاً لا يمر من دون أن يخلف آثاره.. فإن الوالد- بحكم مزاجه ومفهومه- لا يريد أن يفتح باب الحب على مصراعيه، ولعله لا يريد للأم أن تعلن ما تعلن، فيؤدي هذا الاختلاف إلى الخلاف..

كان الأب يحبّ ابنه حبّاً جمّاً لا يقلُّ عن حبّ الأم وربما بلغ أن زاد على مألوف حبّ الآباء، ومن يدري، فلعله زاد على حبّ الأم نفسها، ولكن أساليب التعبير تختلف بمقدار ما بين الرجل والمرأة من اختلاف، وبمقدار ما تختلف المفهومات التي يفرضها المجتمع. وبلغ من حبّ الأب ابنه أنه لم يكن يستطيع أن ينام ما لم يكن مهدي إلى جانبه، ولا يخرج إلى سوق أو مجلس إلّا مهدي معه... ولم تكن تلك الحال مما جرت به سنة وأقرّة عرف.. لكنها كانت أقوى من الإرادة..

-لماذا؟

-ربما أمكن القول إنّ الأب يرى في هذا الطفل ما لا يراه في غيره من مخايل النباهة فيحرص عليه حرصاً خاصاً كأنه أحسن - مبكراً- بأن طفله هذا يختلف عن الآخرين، وأن فيه شيئاً لا بد أن يميزه ويجعل منه شيئاً. وربما أضطر الولد إلى الإعلان عن هذا الرأي. فلو حدث للأخ الأكبر عبد العزيز أن ضايق مهدي أو ضربه فإنّ الوالد يسرع إلى تأنيب عبد العزيز: لماذا؟ ألاّنه أحسن منك؟

-ماذا يريد له الوالد أن يكون؟

-شيئاً وقد يكون في نفسه أن يكون فقيهاً مثله، ولكن المسألة كانت سابقة لأوانها.. المهم هو التعليم والتربية والإعداد العام..

ويمكن أن يتعلم أوليات القراءة في البيت... مستعيناً بأخيه الأكبر وابن عمته علي (الشرقي) وكان قد فقد أباه فأقام معهم في بيتهم برعاية عمه وقد مال إليه مهدي وانجذب إليه وأحبه.

ثم يمكن إيداعه عند ((المله أم جاسم)) تقرئه أوائل السور من جزء عم... وكان بيتها في درب ضيق (دربونه) له ((طارمه)) يجتمع فيها الصناع (الأولاد- التلاميذ)، وكان جاسم- أو قاسم- مع هؤلاء الأولاد، وقد لبس العمامة قبل الأوان وصار شيخ قاسم، والأولاد يتندرون معه: أن قاسم ((صاير شيخ))، ((شيخي قاسم))... ولكن قاسم بعيد عن هذا، إنّه يريد حقّه من اللعب... فماذا يفعل؟ كانت إحدى لعبه المفضلة أن يجمع الكراسي ويركب عليها ويدعوهم ويتقدمهم: راح نحج لمكة.

ويعود الطفل إلى البيت فيتلقفه الأخ وابن العمه يستقرئانه ويقرئانه.. وإذا اجتاز مرحلة ((المللة)) أدخل ((الكتاب)).

وهذه ليست شيئاً - على قساوتها في الضغط على الطفولة - إلى جوار متطلبات الوالد من ملازمة ومصاحبة في المجالس الليلية التي يعقدها العلماء يتبادلون فيها النظر والرأي والجدل الشديد الذي يبلغ حد الفراغ وكان ذلك سمرهم، فما معنى وجود طفل بينهم.. كانت مسائل العبادة والخالق والوضوء مشاغلهم الخاصة ليلاً ونهاراً فما علاقة ذلك بالأطفال!! لم يكن الوالد يدرك ذلك، ولم يرد أن يدرك حرصاً على إعداد ولده وحباً خارقاً له. رضي الولد بعد ذلك أم لم يرض، لأن الأب هو الذي يعرف الأمور وهو الذي يجب أن يصرف أعتها، وليس لأحد أن يعترض، والويل للوالدة إن تدمرت.. وللولد إن خرج على ذلك.. إن الوالد هو السيد وما على الآخرين إلا السمع والطاعة.

لقد كتب على هذا الطفل أن يعيش كالكبار - وأي كبار؟ - من رجال الدين الكبار ذوي العمام البيض والسود الكبيرة واللحي البيض والسود التي تملأ الصدور وتخفي الوجوه. وعليه أن يكون طفلاً كبيراً شيخاً في سلوكه حركة وكلاماً وسكوتاً.. في عمر والده وكوالده فما يكاد يقل عمر رفاقه في المجلس عن عمر والده، كأن مهدي ولد من غير طفولة، وشاخ قبل أن يترعرع ويشب..

وتطول سهرة المشايخ إلى ما بعد منتصف الليل، والطفل مركون في زاوية، وقد يملّ فينعس وينام دون أن يشعر به أحد لأنّ ما في المجلس من أجواء الجدل والنقاش والمطارحة ما يشغل الكبار عن الصغار...

حتى إذا انفضّ السمر أيقظ الشيخ عبد الحسين ولده الحبيب من نومه المضطرب وعاد به إلى البيت... وهنا يستمتع الطفل بامتياز لم يتهياً لغيره - لو كان يدرك قيمته وكان يفضل اللحم على اللعب - فإذا يبلغ الشيخ عبد الحسين البيت يجد عشاءه مُعدّاً - وهو أحسن ما في البيت من طعام - وقد عني منه عناية خاصة باللحم...

ويبدأ الشيوخان يتعشيان ويحظى مهدي باللقمة الدسمة... وإذا تكرر الحال تصبح علامة فارقة وصفة لازمة وأمرأ مميّزاً..

وكان للوالد مجلس عامر يعقد في الصباح من كل جمعة، ويؤمّه الكبار ذوو الوزن من العلماء والأدباء فيزداد المجلس هبة ووقاراً.. ويراد من مهدي أن يكون على هذا الوزن، والطلب غير معقول لأنه مخالف لطبيعة الأشياء، وإذا لباه الطفل مرة ومرتين فلا يستطيع أن يلبيه كلّ مرة.. ولا سيما إذا رأى فيه من هو أقرب إليه رفقة وسناً.. أي ابن عمته علي، والقرب هنا مجازي.. هو قرب إذا قيس إلى أبناء الأربعين والخمسين والستين.. وإلا فلم يكن على هذا قد اجتاز العشرين وكان مهدي في ست السنين أو سبعها^(١).

وإذ يرى مهدي علياً معتماً مشتملاً بعباءته. تعود إليه الألفة البيتية كلها وينسى كل ما لهذه العنائم الكبيرة واللحى الكثّة من وزن.. كأن لا بد للطفولة من أن تأخذ حقها وللبراءة أن تجد منفذها.. فما يكاد الطفل يرى الشاب حتى يرمي بنفسه عليه ويصيح كما يفعل في الحالات الاعتيادية من ساعات البيت وكما ألف أن يداعب علياً إذا خلا الجو - علي صخلة! علي صخلة!... فيهيج الوالد ويؤنب الطفل فاذا نجح فيها وإلا لجأ إلى الملاحقة وأخذه في حضنه وقال: هو علي صخلة ما يخالف.. ولكن.. أنت يسمونك أبو لقمة الدسمة. وقد يذكره الوالد بلقب آخر هو ((العنبي))؛ ومرد اللقب أن الولد كان أعضب - من آثار كسر اليد - فهو لديهم عضبي، أما بلفظه فهو عنبّي - لحنة كانت فيه يميل بها ببعض الحروف إلى النون.

وإنما كان الطفل يسمّي ابن عمته (علي صخلة) لتاريخ ((بعيد))، فمذ كان رضيعاً جفّ حليب أمه فأتوا له بسخلة (معزى) ليستعينوا بحليبها على تغذيته.

أجل لا بد للطفولة من أن تجد لها مخرجاً وإذا وجدته كان عنيفاً أو غريباً...

وقمر بحياة - الرجل أيام من الاستراحة، فيحدث أن تقصد الأسرة الكوفة - صيفاً أو خريفاً - قريباً من ضفاف الفرات من جهة الجسر وتنزل بيت الحاج مهدي شمسة، وإلى قبالة البيت تسكن أسرة بغدادية مترفة (عصملي) كانت تلتزم (تضمن) جسر الكوفة (اذ كان عبور الجسر بأجرة) وتقيم في الكوفة مواسم معينة، وإذا يخرج الطفل مع أمه يرى بنات الأسرة على آخر ما يكون عليه الترف آنذاك وتكون عليه ((المودة)): العباءات ذات البلابل، والأناقة مع

^(١) يؤكد الجواهري ان ((علي الشرقي)) يكبره بأربع عشرة سنة.

الجمال، ويتنبه الولد إلى واحدة منهم بوجه خاص فيؤخذ بها... وإذا تعقد علاقة معهم يزداد الولد ولعاً ولا سيما بعد أن رأى أنيسها به وحنوها عليه واستلطافها إياه.. كانت تداعبه وتلاعبه ويعجبها منه تكوينه ودهاؤه حتى لتكاد ((تموت عليه)) وتلفه بعباءتها رعاية له.. أمّا هو فيقف منها موقف الجد أي أنه يخرج بالاستلطاف إلى ما هو أبعد منه، إلى الألفة الشديدة، إلى الجزع من المفارقة، إلى ما يشبه الحب كأن العاطفة قد دخلت في الأمر - لا شعورياً - ولو سأله لقال لك إنه عاشق مغرم - مثل أي عاشق مغرم - عشقتها بكل معنى كلمة العشق... إنه لا يحتمل البعد فيلزم بيتها ملازمة الظل يأكل معهم إذ يأكلون، ويتنزه إذ يتنزهون.. وإنه ليسهر الليل بانتظار الصباح، وإذا حلّ الصباح بكر في الغدو إليها، وإذا حلّ الظهر عاد إلى بيته وما يكاد ينتهي من الغداء وينام أهله حتى يخف إلى بيت ((الحبيب)) وهي تهش له وتأنس به وتستصحبه معها إذ يخرج أهلها إلى الشواطئ يتنزهون ومعهم السماور وعدة الشاي.

كان يأنس كثيراً.. ولكنه كان يحس بحرج إذ يرى نفسه ضيفاً دائماً عليهم يأكل ويشرب معهم دون أن يؤدي واجباً أو أن يقوم بقرض من المواد وبلغ منه هذا الإحساس مبلغ الخجل. فماذا عساه أن يفعل؟ وأنّى له وهو الصغير؟ فكّر ملياً فرأى أن تكون المشاركة بالفحم، أن يقوم هو بإحضار الفحم الذي يحتاج إليه السماور في إعداد الشاي، وكان حصوله على هذا الفحم ميسوراً زد على أنه يهيء له فرصة المشاركة بالإعداد وإطالة فرصة البقاء قريباً من ((الحبيب)).

وفي ذات يوم إذ نام أهله بعد الغداء أخذ علبة (من ورق أو معدن) وملاها فحمًا، ولكنه ما كاد ينتهي من عملية ((السرقه)) هذه حتى دخل البيت خاله الشيخ عبد الرسول في زيارة إلى أخته ولهذا الخال على الطفل هيبة، فماذا يفعل؟ لقد اضطرب أول الأمر ثم اهتدى إلى حيلة يضيع بها الحقيقة وينقذ الموقف: أن أمسك بقطعة من الفحم وراح يكتب بها على الحائط كأن هذا هو كل ما كان فيه وكأنه كل ما قصد إليه إذا قصد إلى الفحم ونجح في ذلك، وإذا شرع الخال يتوضأ استعداداً للصلاة انسلّ الولد ومعه علبة الفحم ميمّما شطر البيت المقابل.

دامت العلاقة أسبوعين، انتهت مادياً بعودته إلى النجف، ولم تنتهِ معنوياً فقد بقيت الذكرى عميقة، وكان الأسبوعان كالواحة في حياته المجذبة^(١).

وأيّ جذب.. وأيّ حرمان.. من أبسط حقوق الطفولة.. فما يلقي ابن سادسة أو سابعة (أو ثامنة) في النجف إذا كان ابن الشيخ عبد الحسين الجواهري؟

-أن يتعلم، يقرأ ويكتب، يرتاد الكتاب.. حتى اذا انتهى النهار كانت الصحبة الاضطرارية الى مجالس العمام واللحى.. والنوم فيها إن أمكن.

كان قد تعلّم شيئاً، إلا أن به حاجة الى قراءة أحسن وكتابة أحسن. إن خطه لردى.. وكان في البلدة ((شيخ)) مهيب رهيب يجمع بين البهاء والجمال والقسوة التي ما بعدها قسوة، وقد ذاع صيته في التعليم ولا يكاد يخرج من أبناء الأسر صبي عن دائرته: اسمه: جناب عالي.. يتخذ مقره في الركن الثالث من الدور الأول للصحن... فإليه. وهكذا كان.. وكانت البداية منذ اليوم الأول.. إذ نزل من لدن الشيخ بهذه ((الدرج)) الفضيعة الحلزونية حتى لتأخذ الإنسان الصفرة إذا نظر إليها.. نزل منها لأول مرة فأخذته الصفرة في الدرجات السفلى منها فسقط وأغمي عليه وإذ أفاق وجد نفسه في مجلس السيد جواد الرفيعي (الكليدار، وكان والده من أخصاء هذا المجلس) وجماعة يرشّون الماء على وجهه، وهو معروف لديهم: انه ابن شيخ عبد الحسين، وكان المجلس قد انفضّ إلا قليلاً فأوصلوه إلى البيت وكانت الدنيا مغيمة، فلما بلغ البيت وجد أمه تعمل دولمة (من ورق العنب) وقال:

-أين أبي؟

أما تدري، الشيخ ملا كاظم راح (مات).

فخفّ الولد إلى مسجد الهندي حيث كان أبوه ودخل إلا أن الهيبة كانت تسود المجلس حملته على العودة إذ رجف وكادت الصفرة أن تأخذه فرجع الى البيت ركضاً وتكرر الأمر في اليومين الآخرين بهمّ ويدخل ولا يلبث حتى يعود، وكانت العودة في اليوم الثالث ثقيلة عليه لأنه يوم الشعر وهو الذي يحب الشعر والشعراء إلا أن جلال المجلس أقوى من طاقته.

(١) رواها الجواهري لي في أواخر نيسان ١٩٧٢ وقال: إن عمره كان بين ٦ - ٧ سنين، ورواها في تشرين الأول

من السنة نفسها فقال: سني لا تتجاوز الثامنة على أي حال.

لقد كان ملا كاظم الخراساني هذا كبيراً جداً ومن العلماء الأعلام الأفذاذ، لُقّب بأبي الأحرار لأنه ممن دعا إلى المشروطة، ومكانته الدينية سامية، وهو صاحب الكفاية والأصول. ومن تلامذته كبار العلماء كالسيد أبي الحسن والنائيني وكان نظيف اليد سليم القصد لا يستغل الدين للدنيا.

وإذ كان يدعو إلى المشروطة يقف ضده آخرون، في مقدمتهم سيد كاظم اليزدي.. كانت صلة الشيخ عبد الحسين الجواهري بالملا كاظم متينة وكان اسم الملاّ في نفس الصبي ذا وقع خاص هو انعكاس لما يسمع في بيته وخارجته من جلاله وعلمه وأثره.. وإذ عقد مجلس الشعر تبارى الكبار.. وإذ أدركت الصبي الرهبة فإنّ هذه الرهبة لم تمنع من اسم الشعر والشعراء مرة أخرى.. إنّ الشعر أهم ما يذكر في أهم مناسبة- كانت وفاة ملا كاظم يوم الثلاثاء عاشر ذي الحجة سنة ١٢٣٨ / ٢٣ كانون الاول ١٩١٠^(١).

وعاد في اليوم التالي إلى جناب عالي- فلا مفرّ من ذلك- وها هو ذا في حضرته، يقرأ ليختم القرآن ويكتب ليتعلم الخط النسخ. وللشيخ بعد ذلك- وكما هو معروف- المكافأة من خلعة وما إليها.

ومضى الصبي في سبيله وهو يرى من قساوة الشيخ ويسمع ما يربع، وإذا صفا الجو عكره هذا الشيخ الجبار بسبب وبغير سبب، فإذا كان سبب كان العقاب أشدّ مما يقتضي، وإذا لم يكن اقتحمه الشيخ على الأولاد اقتحاماً وأقحمه إقحاماً، ولديه في صندوق خاص من القراصات من كل نوع ومن أمثال العقارب والأفاعي.. يرسل على الولد منهم ويستدنيه على غير سبب ومن دون ما إثم، فيفتح له الصندوق الرهيب فيرعبه ثم يطرده عن وجهه. وتبقى الصورة البشعة المخيفة تقصّ مضاجع الأولاد، أمّا الشيخ نفسه فقد حقق لنفسه بذلك هيئته فيهم. ولا بد من أن الشيخ كان يرى في الإرهاب عموماً، وإذ يسدّ باب الحجرة ويحمل عصاه ويهجم ضرباً على الأولاد أو أن يرعبهم بالصندوق خصوصاً وسيلة ناجحة

^(١) أحسن الوديعه لمحمد مهدي الموسوي الكاظمي ط ٢ ج ١ / ١٥٢ ((..قبل طلوع الشمس بساعة ودفنت

جثته في الساعة التاسعة من اليوم المذكور في مقبرة الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي)).

في التربية والتعليم، ولا بد من أن المجتمع كان يقرّه عليها لأنّ الوالد كان اذا ذهب بابنه الى الشيخ قال له: لك اللحم ولي الجلد والعظم.

وفي ذات يوم ولسبب لا بد أن يكون تافهاً كالتأخر قليلاً او لمكاملة جار، اشتد أمر بجانب عالي فنارت ثائرته على مهدي وكان لا بد للشيخ من أن يظهر جبروته فأخذ يلاحق هذا الشيطان الضئيل وحمل حزمة من العصي وخف يركض وراء الطفل، والطفل يركض ويدور، وكان الموقف رهيباً وخوف الطفل لاحد له ولا يمكن تقديره. تصور أن جناب عالي الأسد الضرغام، أضخم شخصية جبارة في حياة هذا الطفل، يحمل حزمة من العصي ويركض وراءه، وراءه. يالسوء المصير! وماذا يمكن أن يعمل طفل ضئيل لا حول له ولا قوة؟ وحيد، فريد، طريد...؟ لقد ضاقت به الحال وسدت بوجهه السبل ولم يعد بمستطاع أذكى الأذكاء أن يفكر في طريق للخلاص من الشدة الآخذة بالخنق. وإذا خلص امرؤ من مثلها فلا بد من أن يكون في تركيبه شيء خاص وإحساس خاص. وهكذا حدث ما لا يدور بخلد.

كان لجنا ب عالي حبّ ماء عزيز جداً عليه، ولكنه كان فارغاً لأن الفصل شتاء.. وبوحي من الغريزة في الدفاع عن النفس تجمع الطفل على نفسه وقفز ورمى بجمره وسط هذا الحب. وهنا عاوده شعور بالسلامة، لأنه يعلم علو مكانة الحب من نفس الشيخ، وأن الشيخ لا يمكن أن يضحي به أو أن يصبر إذ يمسه سوء..

انتصب الشيخ بجبروته المعهود يتهدد ويتوعد ويلوح بحزمة العصي، ويذكر بصندوق العقارب والأفاعي... والقراصات.. وكل شيء، ولكن الصبي كان أدهى منه وأملك لمصير غيره: بقي مقيماً في الحب لأنه يعلم أن جناب عالي لا يضحي بالحب مهما يكن الأمر.. وهكذا كان، فانه لما يئس من كل حيلة أقسم للطفل أن اخرج وأنت آمن. والناس كلهم يعلمون، الأطفال قبل الكبار، أن جناب عالي إذا أقسم فلا يحنث، وأنه إن أعطى أماناً أعطاه كاملاً، وإن عفا عفا، فطابت النفس الفزعة وهبطت من الحب في هدوء في طيه خيلاء البطل المتصر الذي يعرف جيداً وقع انتصاره في نفوس زملائه ودوى هذا الانتصار في أرجاء البلد.

عادت المياه الى مجاريها، وعاد جناب عالي إلى مجلسه الوطيد.. وسارت الأيام طبيعية

يعكرها بين حين وحين هذا الشيخ الجبار.. ويستمر مهدي يقرأ ويكتب على ((التنكة)) ثم على الورق نسخاً..

.. وإذ يحين وقت الغذاء من كل يوم يخرج ((الصناع)) أمتعتهم مما أعدّوه على اختلاف في النوعية تبعاً للمستوى الاقتصادي لأسرهم، ولجناب عالي أن يتخير الأفخر الأوفر من هذه الأكال يجمعه ويرسل به إلى بيته.. مع عدد يتخيرهم من أحاسن الأولاد وآدبهم..

يدعوهم إليه ويجمع بهم على وجه الاختصاص ويعلمهم نشيداً خاصاً ويشرع في حديث عن بيته: إنه بيت مخيف تسكنه الجن، فإذا بلغتموه قفوا منه موقف التقديس وتكثفوا وقرأوا النشيد فإذا فتح الباب قدموا الزاد دون أن ترفعوا أنظاركم إلى من يأخذه منكم..

وينفذ الأولاد الوصايا على أحسن ما يكون- ولم يكونوا كلهم صغاراً ففيهم من هو في سن المراهقة- لخوفهم من جناب عالي ولتصديقهم كلامه ولسذاجتهم.

وفي ذات يوم اختير مهدي عضواً في هذه المهمة.. فسمع وصدق وسار.. وأنشد، حتى إذا فتح الباب لم يملك عينيه من أن تمتد (أخذ زركه) إلى ما انفتح الباب عنه، ولم يكن ذلك عن قصد، وإذا كان قصد فهو عصيان الأوامر المتركب في النفس والميل إلى خرق القاعدة الذي ولدته أو نمته كثرة القواعد.. فماذا رأى؟ الغاية من الجمال، فتاة، وردة، كفلعة القمر، ففهم السر. وظل يختلس النظر كلما فتح الباب، وربما كانت الفتاة الحبيسة نفسها تحب أن تتلاقى النظرات.

ولم تطل إقامة الصبي - بعد هذا - لدى جناب عالي فلقد بدأ يقترب من إنهاء التعلم، ختم القرآن، وأتقن خط النسخ. أمّا ختم القرآن فممكن، فلقد بدأ في ذلك مبكراً جداً وحفظ منه الكثير الذي سيبقى في الحافظة، أمّا كيف تحسن الخط، فلم يتحسن لدى التحقيق وإنما هي حيلة لجأ إليها جناب عالي وكذبة تقبلها الولد خشية ورهبة، وإلا فقد بقى الخط رديئاً متعرجاً، وكان الشيخ لم ير دليلاً في الطفل على تقدم يضمن له الخلعة المرتقبة من والده، أو أنه لو ترك الأمر على سجيته طالت المسألة وامتد الزمن.. فعمل على طريقة من الغش والتزوير ألفها وانتفع بشمرتها- دون أن يفكر بما يمكن أن يحمل بها الأطفال من صنوف الكذب.

أخذ جناب عالي يقدم لمهدي صفحة مكتوبة بأحسن الخطوط ويضع عليها ورقاً أبيض يشف عما تحته ويمسك الولد القلم ليخط على الورق الأبيض ما تحته وإذا بخطه جيد جداً. ولكي تكتمل اللعبة وتأخذ مظهرها الخداع كان يطلب إلى الولد أن يبتعد عنه ويكتب منفرداً.. ثم يعود إليه بالخط - أي بالنقش - فيستحسنه حتى إذا قويت يد الولد على النقش بعث بآخر أنموذج من عمله إلى الوالد: أن هذا خط ابنك. انظر كم هو جميل؟! ولا يجد الوالد - عند ذلك - بداً من إشعار جناب عالي بالتصديق وأن الخلعة (عباءة صيفية جديدة) بانتظاره. يقولها وهو يعرف جيداً رداءة خط ولده.. يقولها وهو يضحك كأن لا بد له من التسليم.

ويخف جناب عالي إلى بيت الشيخ عبد الحسين الجواهري، وكان الشيخ عبد الحسين في الحوش فيسلمها إياه.. والولد ينظر من على السطح..

كان مهدي في نحو الثانية عشرة من عمره.. به على ما كان يتزوّد من مواد التعلم في البيت، حاجة إلى أشياء أكثر وأكثر.. فأدخله والده المدرسة العلوية استعداداً لإدخاله الرشدية وقد لبث فيها عاماً وبعض عام ثم تركها بالحسنى، ولو لم يتركها اختياراً لتركها إجباراً، فما كان بالولد المعد للدراسة المنهجية أو للتدرج الوظيفي..

ولكن لا بد للولد من أن يتعلم علوم قومه ويستمر في التعلم. وليست مواد التعلم غريبة على مهدي، فبيته مدرسة، والمجالس التي يرتادها بصحبة والده مدرسة، وبلدته كلها مدرسة للقراءة والكتابة كما للفقهاء والأصول، كما للغة والبلاغة... أمّا الشعر فتحصيل حاصل.. فمذ يسمع الكلمات الأولى يسمع معها - وقبلها - الشعر والشعراء والأدب والأدباء ويسير مع هذه الكلمات السحرية الأخاذة يدأ بيد وقلباً بقلب. في البيت والشعر يذكر بقدر ما يذكر أي شيء يومي من لحم وماء لحم وكراث واجل مما يذكر أي شيء، فقد طرق الباب فلان وهو شاعر، وجاءنا فلان وهو شاعر.. والأب شاعر معدود. وانتظم المجلس وتلى الشعر، وكانت المطاردة والتقفية، وكان الشعر جداً كما هو لعب، وماء وغذاء كما هو ماء وغذاء ثم ما الماء والغذاء ازاء هذا الإكبار وهذا الترنم والترنح والإنشاد واستعادة الإنشاد وإكرام الناظم والمنشد!

وهذه مكتبة، وهذه كتب، وهذه دواوين. فما هذه؟ لابد من أنها تعني أشياء كثيرة تدل عليها هذه العناية بها والاهتمام بشأنها وحديث الكبار عنها وقراءتهم فيها وحرصهم عليها. وهي، كما هي عند الوالد، هي كذلك - وربما أحسن - عند الأخوال، وعند آل كاشف الغطاء بوجه خاص...

هذه كتب الوالد.. جواهر الكلام - وله معنى خاص في نفوس الأسرة، كشف الغطاء وله معنى مناظر.. اللعة، كافي الكليني.. المعجمات.. نهج البلاغة وكل ما يعد في الكتب القديمة.

ثم هذا الأخ الأكبر عبد العزيز وابن العمة الذي يعيش معهم في بيتهم علي الشرقي.. يقرآن ويكتبان ويقتنيان الكتب، ويسمع أن هذه الكتب غير تلك الكتب، فيها أمالي القالي والبيان والتبيين ومؤلفات الجاحظ الأخرى، والأغاني. ديوان المتنبي، البحري، أبي تمام، الرضي، صفى الدين الحلبي مما يعد في الكتب الحديثة.. وما تكاد تدخل العراق حتى تتجه رأساً إلى النجف فتتلقفها الأيدي هي وكتابات أكثر حداثة كشعر شوقي وحافظ وإيليا أبي ماضي.. وفيها ما يناقض الفكر النجفي المناقضة كلها وهو رد فعل له تبناه الذين ضاقوا بالقديم وبلغ بهم الضيق الطرف الأقصى من رد فعل: مطبوعات الاستانة، والهلل، والمقتطف، وشبلي شميل، والريحاني.. ومجلات وجرائد مما يعد حراماً.. وكفراً وإلحاداً.. وكان يلتقي مع الأخ وابن العمة على صعيد واحد من الفكر والاهتمام والحداثة: محمد رضا الشيبى وباقر الشيبى.. ولا ينظر الآخرون إلى هؤلاء نظرة ارتياح بل نظرة ريبة وسخرية واحتقار - أحياناً. وكانوا يرمونهم بأنهم متنورون أو طبعيون.

فما معنى هذا؟ وما مكتبة؟ وما ديوان؟ وما.. وما؟؟ انها لغير مهدي من الاطفال ألغاز في ألغاز تثقل الدماغ وقد تفجره، ولكن الامر اذا جاء طبيعياً وتنفسه الطفل وتمثله و ((عاشه)) وشب عليه بدء كل شيء فيه طبيعياً احجية، وهكذا كانت لمهدي ميزة لم تنهياً لغيره ممن لم يسمع جيداً بهذه، ولو سمع لتصوره - من حلاوة ما يدور به على اللسان - الشمس او القمر او العيد أو أي شيء جميل..

ليس في هذا البلد صعوبة في قول الشعر، فكل من اراده قاله، قليل من النحو والأدب

وكثير من الحفظ والرواية ويبدأ.. فينظم الأبيات والمقطوعات والقصيدة.. ويجد من يستمع اليه ويصلح من شأنه ويشجعه ويعينه ويستثيره بوجه أو آخر من وجوه الحسد.. والغيرة.. والسخرية..

نعم هذا شاعر شاعر، إذا ذكر لم تر غير علامات الاعتراف، وهذا مثله يزدحم الناس لسماعه.. وإذا عقد مجلس للفرح جرت الأشعار كما تجري الأغاني اليومية بل إنها هي وحدها الأغاني اليومية، وإذا أقيم مأتم تبارى الشعراء كأنهم في حلبة، وينفض الحشد وحديثه ذلك اليوم وذلك الأسبوع قصيدة فلان تجويد فلان، ولا يغير مجرى الحديث إلا شعر جديد يفرح جديد أو حزن جديد وكثيراً ما ذكر هذا بذاك وعقدت المقابلة والمقارنة بين امس واليوم وجرى النقاش في الحسن والأحسن..

ومهدي يسمع، ولم يتهياً لغيره من الاستماع ما تهيأ له، وإذا سمع الآخرون مرة سمع هو مرات، وإذا سمعوا بعد أن كبروا وشبوا، سمع هو وهو طفل بكل ما للطفولة من معنى.. في بيته قبل أن يقيم المجلس، وفي المجلس نفسه، وفي بيته مرة أخرى أو في أي بيت من هذه البيوت التي تربطه بها روابط الخؤولة، وتربط والده روابط الصداقة والمعرفة والادب زيادة على روابط النسب..

إن النجف في أعلى ما تملك من سمات المجد في الدين والادب وفيما لا يطمع كبار بالاقتراب منه كانت في متناول هذا الطفل وملك يديه..

الأب شاعر وفي الأسرة شعراء، وفي اصدقاء الأسرة، وفي البلدة التي تتسنى ذراها وفي البلدة المجاورة التي لم تكن غريبة عنها أدباً ونسباً.. وفي كل مكان شعراء، وشعراء القديم كالجديد، الجاهلي باصحاب المعلقة حي كأن لم تمض عليه اربعة عشر او خمسة عشر قرناً، والعباسي بأبي نواسه وبشاره.. ومهياره؟ من قال أنه عباسي وليس نجفياً؟ إن الشعراء أحياء يأكلون ويشربون كما يأكل ويشرب أي من هؤلاء الذين يراهم الصبي ليل نهار، وانهم من الحضور الدائم بحيث لم يشعر لحظة أن به حاجة الى أن يسأل عنهم وأين هم؟ ولم لا يراهم شخصياً؟

ثم تجري في البيت والمجالس.. مسائل ومناقشات في أمور من شؤون الدين والفقه لا يفقه الطفل او الصبي منها شيئاً ولا تهمة في شيء أن أحسن موقف لديه إزاءها: النعاس ثم النوم.. ولكنها على أي حال تذكر أمامه كما يذكر أي عمل يومي أنها الاعمال اليومية لأسرته وأقاربه ومن يلتقي بهم من الناس..

- وماذا يريد الوالد لهذا الصبي أن يكون؟
 - مهما يرد فانه لا يمكن ان يخرج عن الحد المحدد انه لا يمكن أن يفكر بالصناعة او الزراعة او التجارة.. لأن هذه أمور لا صلة لها بحياته اليومية، وانه أذ ينظر الى نفسه فيرى ما خدمه به العلم والأدب فيزداد اعتزازاً بالعلم والأدب، ثم ينظر فيرى ما ادى به الكرم حد التبذير من ضيق فيوغل بالكرم حد التبذير..
- هذا هو الاب

فماذا يمكن ان يطلب أب من هذا النمط لابنه أن يكون؟ انه يحب ابنه حباً جماً وقد نشأ هذا الابن في كنف أم رائعة ذات عقل في التصرف ومزاج في التحمل ومكانة في الأسرة.. تحبه حباً جماً.. وتمزج له الحنان باللبن وتربط ذاكرته الطرية بها وبما يمسه وهو على ثديها. أيريد له أن يكون رجل دين، فربما يعود الشيخ صاحب الجواهر في نفسه أو الشيخ علي أو الشيخ عبد الرسول.. ولا أظنه يطمح به إلى اكثر من ذلك أو الى ان يبذهم، فلقد كانوا في. الغاية ثم أنه على انه منهم، وعلى ما درس ودرس من أمور الدين لم يكن طبقاً لمزاجهم وطبقاً لمزاج الدين، أن فيه لتمرداً وإسرافاً، وميلاً إلى الشعر وقوله، وأنه لشاعر... وكان- في الأقل- شاعراً، وما زال يعظم الشعراء..

وعلى أي حال.. فما زالت الأمور في أولها، وما مهدي إلا طفل وإذا زاد فصبي، وكل ما في أمره انه يحب له ان يكون على غير ما يكون عليه الأطفال الآخرون.. لأن فيه من المخايل ما يميزه ويدل على نباهة خاصة..

وإذا كان قد ختم القرآن وقرأ وكتب.. وأنهى مرحلة جناب عالي وذاق المدرسة فما استساغها.. فلا بد من نهج خاص به.. وليكن بعده ما يكون..

وصار المنهج كما رسمه الوالد.. وعبد العزيز وعلي أن يطلب الوالد من الولد أن يحفظ في كل يوم خطبة من نهج البلاغة وقطعة من أمالي القالي وقصيدة من ديوان المتنبي.. ومادة من مواد كتاب سليم صادر في الجغرافية.

يبدأ الصبي يحفظ طول نهاره منتظراً ساعة الامتحان بفارغ الصبر، حتى إذا مضى العصر واقترب المغرب جرى الامتحان: اقرأ.. فاقرأ الشقشقية، وحديث الأعرابي وبناته الثلاث، أو

كم قتيل - كما قتلت - شهيد بياض الطلي وورد الحدود ودوران الأرض.. وينجح في الامتحان ويسمح له بالخروج فيحس بأنه خلق من جديد، فيفر إلى الشارع، لا يدري ماذا يفعل، ولا يلوي على شيء، ولكنه يشعر أنه حبيس قد أطلق، وأن طاقة مكبوتة تريد ان تجد منافذها، ويبعثه ذلك إلى أن يتصرف بغير عقل، يركض ويدور، يدفع هذا ويجر ذاك، يقوم ويقعد كالمجنون.

-وكم يستطيع أن يبقى قريباً من الأتراب يلعب كما يلعبون؟
-قليلاً جداً، فقد نزل الليل وشبع الأولاد لعباً وعادوا إلى منازلهم، أما هو فعليه أن يعود وما كاد يبدأ، يعود وفي قلبه حسرات حبيسة.. وأمامه مصاحبة ثقيلة مع الوالد إلى مجالس الكبار ثم نهار طويل من الحفظ طمعاً باستعادة هذا الذي لم يتحقق له من لعب وتنفس. وتتكرر الحال، وتصبح منهجاً ثابتاً.

ويقتضي المنطق الظاهري أن يكره هذا الولد الأدب جملة وتفصيلاً، ويكفيه عاملاً في الكره أنه مجبر عليه وأنه مضيق فيه عمره الطري، وأنه ملزم منه بما لا يعرف معناه. وأن هذا الأدب يحول دون أعز شيء في أحلامه: اللعب..

ومع هذا لم يكره الولد الأدب.. فالمرء لا يضيق بما هو مخلوق له، وإذا ضاق من الحال بشيء فبالظرف الذي يفرض هذا الذي يجبه فرضاً على صورة غير معقولة، مما يورث الولد اللدن انحباساً في الطبع وغضباً مكبوتاً وتوتراً في الأعصاب.. وإلا فالولد مستمر على الحفظ، متنقل فيه من حسن إلى أحسن وأن اسم الشاعر ليعلو في نظره، ويحتل من نفسه ما يحتل من نفوس الكبار من عارفي الشعر وعارفي فضله وقدره. وليس صبي مثله بلغ الثانية عشرة أو ما حولها وعلم ما علم وسمع ما سمع بصغير. إنه اختزن في هذه السنوات القليلة

ما لم يتهياً لغيره في السنوات الكثيرة. وكان حظ الشعر يزداد وأسهمه ترتفع فقد آن الأوان لأن تتوضح الأمور وتتجلى المكنونات. ويحتل السيد محمد سعيد الحبوبي المكانة العليا من هذا الميل الشاعري ومن هذا الإكبار للشعراء.. ولا غرو فقد ملأت سمعته الآفاق وله في النجف - على وجه الخصوص - المنزلة التي ما بعدها منزلة، وكان إذ تكون له قصيدة تزحف النجف كلها. والحديث عنه في كل مكان ويأتي الاحترام على رأس كل حديث.. وإذا كان الأمر كذلك، فإنه في بيت الجواهري، بيت الشيخ عبد الحسين الجواهري على خصوصه.. وإنه في نفس مهدي وأعصابه على الأخص لدرجة خارقة.

((قالت لي والدتي: إن السيد مع والدي بالبراني، وطلبت مني أن أصعد الشاي إليهما وأخذت الشاي وبدأت أصعد فرحاً أن أقدم الشاي إلى الحبوبي، ولكن قبل العتبة الأخيرة رجفت (واضطربت) فسقط الشاي من يدي.

-لم كان ذلك؟

-لأنني أعلم أنه شاعر، وإني أقابل لأول مرة الحبوبي الشاعر (وكان هذا السبب هو الأول والأخير فيما حدث لي)^(١).

رجعت إلى أمي حزينة خجلاً.. فصبت الشاي ثانية وأوصلته فرأيت السيد لأول مرة: عمامة سوداء، وشكله الحلو، كان جميلاً.

ويعود إلى درسه أي إلى حفظه من الخطب والشعر ومطالب الأدب.. ويزداد ميلاً أنه ليقرأ ما لم يطلب منه كالبيان والتبيين.. وأدب الكاتب ومقدمة ابن خلدون.. ودواوين الشعراء^(٢).

^(١) تنظر مجلة الكلمة، بغداد، العدد الثاني - آذار ١٩٧٢. السنة الرابعة ص ٣٥ واذ رواها لي الجواهري في هذه المرة بتاريخ ١٧ - ٣ - ١٩٧١ قال: ((كنت في العاشرة أو الحادية عشر))، ثم رواها بتفصيل أكثر في أواخر نيسان ١٩٧٢ فقال ((... وأنا ابن ١٣ سنة إلى ١٤ سنة)).

^(٢) تنظر مجلة الطريق تشرين ١ سنة ١٩٧٠ مقابلة أجراها غالي شكري وأعاد نشرها في كتابه ((مذكرات ثقافة تحتضر))، بيروت ١٩٧٠.

ويستغلّ الوالد الأمر فيزود ابنه بالكتب، وكان أن اشترى له ديوان الأرجاني بنصف روية فأقبل الصبي على القراءة والحفظ اختياراً فالتهمه التهاماً.. وصحبه في نزحاته القريبة إلى المقابر. واذ كان- ذات يوم- وهو في عز حرصه على ديوان الأرجاني يقرأ ويحفظ ويستعيد على حدود مقبرة آل الشالجي، سقط الكتاب منه في شباك، وإذ سقط ذهب بعيداً في غور المقبرة وظل الولد يدور ويبحث عن طريق إليه، وكاد أن ينزل لو استطاع. فلم يحظ بطائل، فبكى عندها وعاد إلى البيت كسير القلب يبكي ولا يمكن أن تعيده إلى الراحة إلاّ نسخة جديدة من ديوان الأرجاني. وجاء الوالد فحاول المستحيل في سبيل إسكاته وتهوين الحال، ولكن دون جدوى. لقد دخل الصبي في عالم من العناد لا حد له، وفي معنى من معاني التمرد لا يأبه بهذا الوالد وما يمكن أن يكون لو ثار..

أريد الأرجاني، أريد ديوان الأرجاني، سقط مني في المقبرة.. وعجز الوالد عن إقناع ولده، وعندها لم ير بداً من النزول على إرادته، ويحضر روية ويخرج قليلاً ليعود وييده النسخة المطلوبة وبلغ الولد بذلك الغاية من السرور.

-أكان ذلك كله من أجل الأرجاني وحده؟

-يصعب أن يكون كذلك، ففي مكتبة البيت ومكتبة الأقارب أنواع من الدواوين وقد يكون بينها الأرجاني نفسه، وإذن، لابد- للمفسر- من إدخال معنى الظفر بالفرصة النادرة لإثبات الذات والإعراب عن التمرد. إنها فرصة مناسبة لابد من أن ينزل بها الآخر على رغبة الولد، فما كان طلبه بالخارج عن طبيعة ما يدعو إليه. إنه لم يطلب أن يلعب في الشارع، ولم يعص أمراً بالنوم أو المصاحبة أو الحفظ انه يريد ديواناً من الشعر، ديواناً فقط ليقرأ فيه ويحفظ منه. وهكذا كان- إن الحالة من الحالات القليلة التي تبدو فيها التمرد في مكانه الطبيعي.

وصار الولد الغريب في الحفظ في بلد الحفظ مثلاً وأعجوبة.. وتبارى الناس في امتحانه، والوالد فخور لا نهاية لفخره فإنه يرى لولده هذا مستقبلاً ليس للآخرين، ويتأكد له- كل يوم- أن في هذا الولد شيئاً ليس لمن سواه.

إنهم يعرفون الحفظ جيداً ويعرفون الكتب جيداً، ولكن الجديد عليهم أن يتولى ذلك عنهم ابن عشر او اثنتي عشرة، وإنه يحقق ما لم يحققوا شيئاً منه - قبله أو بعده - في الأقران وحتى في الأشياخ.

ويستمر الوالد في أخذه معه الى المجالس الليلية ويزيد.. ويحضر هذه المجالس عليه القوم ديناً وورعاً وعلماً وادباً وشعراً.. فما محل هذا الصبي من هذه المجالس.. لقد ألفَ وجوه القوم وعمائمهم ولكن ما نفع ذلك له، انه يريد أن يلعب مع أقرانه، يريد مجلساً يضم أترابه ليسهل التعارف والتعاطف.. والتنازع أحياناً.. ولكن أين هو من هذا المجلس الوقر المتزمت.. وأين هو اذا أنبسط المجلس وضحك فيتلفت حوله ليرى سبباً للضحك فلا يراه - وشتان بين ما يسرهم ويسره.

وعليه أن يبدو في مستواهم وقاراً واتزاناً، وعليه أن يسمع ويسمع.. لأن دوره معهم محدود جداً.. ينتهي مبكراً فإذا يكتمل عقد المجلس ينادي الوالد معجباً: يا مهدي، انهض واقرأ لنا.. فيقف مهدي في غاية الوقار ويردّد بعضاً مما حفظ ذلك اليوم فيزداد الوالد فخراً والمجلس دهشة.. أمّا الولد فنشوته في الخلاص من غضب الوالد أكثر منها في إرضائه. يفرح الولد مؤقتاً بما حقق ولكنه كان يود أن يسرح جزاء على إحسانه، وأين هو مما يود؟ عليه أن يبقى مع والده حتى يتقدم الليل وينفض المجلس، ولا يرى حينئذ وسيلة خيراً من النعاس فالنوم.. ولا تعوّض اللقمة الدسمة التي يختصه بها والده لدى العودة في العشاء عن رغباته المكبوتة وإن ميزته هذه اللقمة بنظر الآخرين.

ليس الذي يفعله الوالد طبيعياً ولكنه لم يكن ليفعله بعامل الكره أو بعامل القسوة، لقد كان يفعله بالحب الزائد والإحساس بأن هذا الولد غير اعتيادي. وإذا افترضت بوالد من هذا النوع أن يكون والداً ليناً جداً مع ولده غفوراً رحيماً فأنت بعيد عن الصواب والواقع، لأن الأمر لم يكن كذلك بل إن علمه بقيمة ولده ليرفع من درجة التشدد في الإعداد، فاذا صحب ذلك حدة في المزاج استحال الحرص غضباً يبلغ أن يكون حماقة، وما على الولد إلا أن يصبر ويستسلم - على مضض - لأنه لا يملك غير ذلك، وكان

أن تعلم الاستسلام الثائر وإن كان في مزاجه أن يسكت ويسكت في وقت تعجب من سكوته. وذلك دليل اختلال في التوازن لأنه سيجرّ - كما هو واقع - إلى الثورة في غير أوانها.. مهدي طفل، ولا بد من أن يخطيء أو أن يقصر بواجب، فقد يعجز عن حفظ خطبة أو يتأخر في حفظ قصيدة.. وقد وقد.. فيهيج الوالد ويصيح والولد ساكت، وما له إلاّ السكوت وإن كان أعرف بالعدر. وكان الوالد يتفنن في العقوبة وفي تصريح غضبه. وكان مما ابتكره أن طلب مرة - إثر تقصير ما - إليه أن يصحبه وخرج من البيت وظل يسير ويسير في طول النجف وعرضها والولد ملازم له، وقصده في ذلك إشعاره بالذنب عن طريق إتباعه حتى إذا نغض (تعب) الوالد ولم ينغض الولد عادا إلى البيت بعد أن استغرقت العقوبة ساعات طويلة علمت الولد الصبر وكظم الغيظ والاستسلام الموقت ولم تعلمه الخنوع المطلق.

كان الوالد يحتدّ ويبلغ درجة الغضب الرهيب الذي تصل به العيون حد الحمرة، ولا يتورع الغضوب من هذا الطراز.. عن الضرب.
-وما موقف الأم.. الحنون...؟

-قد تسكت مرة... ولكنها لا تسكت في كل المرات.. ولهذا- ومع ما هي عليه من صبر وحكمة- لم يكن البيت هادئاً، ولم يكن الشجار لينقطع بسبب مهدي، لأن الأم تضيق ذرعاً بمعاملة الوالد لهذا الطفل وترى أنه يكلفه فوق ما يكلف به طفل على وجه الأرض في الدرس والمجلس، في الملابس والمأكل، في السلوك والمشي والجلوس، زد على هذه الثورات الطاغية التي تراها بعينها فلا تملك إلاّ أن تقول كلمة أو تتحرك بحركة، وحينئذ ينفجر بركان جديد من شجار عنيف..

وتسأل عن الولد، فتراه منكمشاً على نفسه خائفاً حذراً مترقباً، لا يدري ماذا يفعل، ولا يعلم ماذا ينتظره والنفس تحتزن الخوف والمخيلة تجمع الصور، حتى إذا أوى إلى فراشه منعه من الغمض أشباح مزعجة تقضه قضاً، وتظل تعاوده ليلة بعد ليلة، ولا ترى الأم والأقارب والجيران من النساء إلا وسيلة وحيدة لإنقاذ هذا الطفل المضطهد المظلوم: التعاويد والرقى

والحروز والأدعية، وما تكاد تهدأ حال حتى تستيقظ حال، كان هذا مبكراً، وفي السابعة والثامنة على الخصوص، وبعد همة كذلك..

أي ولد هذا سيكون؟ وأية نفس ستتكوّن؟!

قد يكون الولد مدهشاً، وقد تفرض طبيعة الأدب نفسها على كل أمر وتخرق كل حجاب، ولكن نفسه ستكون على الغاية من التعقيد والتناقض، وإن التعقيد ليبلغ درجة يبدو معها بساطة..

الولد وديع، ولا بد له من أن يكون وديعاً وإن كان الأصل فيه التمرد أو أن التمرد والوداعة شيء واحد لديه ولكل منهما مقام، وقد يكون في منتهى الوداعة ومنتهى التمرد والتحدي، ولا يمكن أن تعني الوداعة الاستسلام لأنه لو كان مستسلماً في أصله لما لقي ما لقي من ثورة الوالد المحب، إن الثورة لا يمكن أن تقع من دون استفزاز وإذا كان وديعاً رغماً عنه فليسلك سلوك المستسلم الهادئ وليحتمل في سبيل ذلك الضيم إلى أقصى حدود حتى لكأنه لم يكن وكأن الأمر طبيعي والسكوت طبيعي، فإذا مرّ السبب ومرت الحال نظر في نفسه فعجب منها وعاتبها وحاسبها ولامها وإذا فات الأوان فلا بأس، فإن نفسه ستكون طوعه لدى أول مناسبة، ستثور، ستمرد ولا بأس.

ولكن الذي يحدث أنها تثور وتمرد لغير مناسبة وفي غير الأوان، فكأنها إذ أقسرت على أن تكون وديعة أضاعت طريقها الطبيعي ولم تعد تعرف أين يقع التمرد وأين يكون الخضوع، وأصبح السبب في سوء التصرف كامناً فيها وليس في دواعي الثورة أو السكوت^(١). كان يخضع للعقاب، وكان يخضع لما يطلب منه في القراءة والحفظ، وكان يصحب الوالد في المجالس، وعرف بالحفظ واشتهر.. فما عاد مجهولاً لأحد، ذاك ذاك مهدي، جاء مهدي، مهدي قرأ، مهدي حفظ، وذاع صيته، وتسابق الناس إلى إحراجه مرة بدافع الإعجاب، ومرة بدافع التعجيز وما هم بمستطيعين.

^(١) قال الجواهري في ((المثقف العربي)) حزيران ١٩٧١ ص ١٣٣ ((أنا في حقيقتي أكره العنف، وأشعر أحياناً أن عنفي في غير محله فأشجب نفسي ولكنني لم أستطع إلا أن أكون كذلك، أنا مثل بطل بالزك في رواية ((الزوج الضائع)): حسن التفكير سيء التصرف، وحين قرأت الرواية قلت هذا أنا...)).

لقد أصبح آية في الحفظ في بلد الحفظ، إنه بلد الحفظ ولكنه لم ير صبيّاً على هذه الدرجة وما هو ذا- قبل أن يجتاز الثالثة عشرة- يحفظ أربعة الأبيات وخمستها إذا سمعها مرة واحدة كائنة ما كانت تلك الأبيات وما عليك إلا أن تمتحنه. تحضر أبياتك وتقرأ، وقد تصل إلى السبعة والصبي يعيدها إليك كما سمعها. فتعجب، وتمنحه جائزة، وقد تكون هذه الجائزة قد وضعت مقدّماً على سبيل المراهنة.

وفي ذات يوم بلغت اللعبة حدّاً مخيفاً وبلغ التحدي درجة عنيفة، فقد تقدم أديب شاب من بعض ((مشبك العروق)) في الأسرة هو السيد علي الجصاني، فأخرج ليرة رشادية تخطف أبصار الشبعان فكيف يبصر هذا الولد المسمى مهدي..

لقد حمل السيد علي الليرة الرشادية بيده وأعلن الرهان: إمّا النجاح في الحفظ وتأخذ الليرة، وإمّا السقوط فتعمل لنا عزيمة (وليمة)؟ لقد تحدّى الولد، وما على ابن الثالثة عشرة إلا أن يدل على قدرته الفائقة في الحفظ..

انصرف لأداء مهمته، وبعد ثماني ساعات رجع إلى الجصاني وعصبته وأعلن بدء قراءة المحفوظ الجديد.. وقرأ.. وقرأ.. والآخرون يسمعون ويسمعون.. وكلّما تقدّم اقترب من الليرة الموعودة.. حتى إذا انتهى من البيت الخمسين بعد الأربعمئة مدّ يده منتصراً ونال الليرة حلالاً- لقد حفظ خمسين وأربعمئة بيت في ثماني ساعات!

كان السيد علي الجصاني من أقاربه وأصدقائه، وكان له من الأصدقاء معه- وقبله- جعفر الكشوان ومهدي النجار.

وإذا حرم الولد لعباً مع الصغار كما يلعب الصغار فقد راح ((الكبار)) يبحثون عنه لعباً يبدّهم في مضماره ويغلبهم في سباقه فيشع بذلك غروره ويعوّض شيئاً عما فاته. وليس عليه من حرج في كل ذلك..

كان من ألعاب الكبار المطاردة الشعرية: أن يقرأ فلان بيتاً من الشعر وعلى الثاني أن يقرأ بيتاً- من حفظه بالطبع- يبدأ الذي انتهى به البيت الأول.. وعلى الثالث.. والرابع.. ثم يعود الأمر إلى الأول.. وهكذا ومن لم يستطع فهو المغلوب.. ولم يكن الصبي يوماً مغلوباً في هذا، كان المجلي دائماً كائناً من كان في المجلس من شباب وشيوخ ومن شعراء وحفظة شعر.

والمطاردة هذه لعبة سهلة إذا قيسَت إلى التقفية. والتقفية أن يختار زيد قصيدة - صعبة القافية عادة مما هو غير مألوف أو مشهور - ويبدأ يقرأ - حفظاً أو في ديوان وكتاب - حتى إذا اقترب من القافية توقف، وعلى الآخر - المتسابق أو الواحد من مجموعة متسابقين في مجلس عامر - أن يذكر القافية بشرط أن تكون القافية التي كان الشاعر الأول قد اختارها لبيتها، ويقرأ البيت الثالث.. والرابع.. ويستمر متوقفاً قبل القوافي والثاني متحفز لأن يذكر القافية اللازمة لكل بيت..

ومن الطبيعي أن تصعب التقفية على كثيرين، فمنهم من يعجز بعد الأبيات الأولى، ومنهم من يعجز بعدها قليلاً ومنهم من يطيل النفس.. ومهما تكن الأحوال وتصعب القصيدة المختارة للسباق فإنَّ صبيّاً اسمه مهدي لا يقهر وإنَّ البطل محطَّ العجب من أعضاء ذلك المجلس وفيه من فيه من الأدباء والشعراء والمختصين بالتقفية...

لقد كان هذا الصبي - في كثير من الأحيان - يقفي تسعة أبيات من كل عشرة وإنه لمستعد للرهان في أية لحظة لأن يقفي سبعة من عشرة في أحلك الظروف ولدى أصعب ما يستطيع أن يقدم ((مراهن)) من قصائد.

لئن بدأ الصبي هذه اللعبة في الحادية عشرة من عمره إنما يمكن أن يستمر ويتصل، وكلما استمرت واتصلت وطدت من مكائته ورفعت من ذكره وهيأت لشهرته.

لقد صار مضرب المثل، فإذا أراد أب أن يرسم مثلاً لابنه قال له: كن كمهدي، وإذا أراد أن يغير أب ابنه أو أن يستفزه ويستنهضه قال له: أين أنت من مهدي... ليت مهدي ولدي.. ومهدي يعرف ذلك ويبلغه خبره.. فيهتز ويتشفي ويتحرك رأسه طرباً وغروراً ذات اليمين وذات الشمال والعمامة البيضاء التي ينوء بها مذ ذلك الوقت الباكر ومع تلك الرقبة النحيفة.. تتابع الاهتزاز - يا للشيخ الصبي! وابن العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة.. في العشرين والثلاثين والأربعين...! انه لا ينسى يوم ألبس العمامة، لقد كانوا يلبسونها إياها وينزعون عنه العقال واليشماغ كما تلبس ((اللعبة)) وتنزع أما آله فكانوا يقفزون بالأيام قفزات غير طبيعية ليجعلوا منه عالماً في أقصر وقت غير مقدرين لما يترك ذلك في نفسه من نزوات، فيظل يرى نفسه كبيراً وهو صغير، أو العكس، وتستمر به الحال.

-وماذا يريد الشيخ عبد الحسين لمهدي أن يكون؟

-مهما يرد فإنه لا يمكن أن يخرج عن الميدان، وإنه إذ ينظر إلى أسرته والأسر التي تشتبك وإياها فيرى مجدها قائماً على العلم الديني، لا بد من أن يطلب لابنه هذا المجد حتى إنه ودّ- لو كان في الأمر أقلّ إمكان- أن يعلّم عليه دروس الفقه داخل البيت وخارجه مبكراً.. ولكن ذلك مما لم تجر به سنة حتى في مجتمع لا يقوم في كثير مما يورد ويصدر على سنة من سنن الطبيعة. أما العمامة- وربما الجبة- فلا بأس في التبكير بها، فقد عرف ذلك في أولاد العلماء وفي آل الجواهري بوجه خاص. أمّا الفقه والأصول والإفتاء فلا يمكن ولا بد من صبر على الانتظار.. على ألا يطول.

إنّ الوالد إذ يدع ولده بين كتب الأدب والشعر وفي ملاعب الأدب والشعر، ويصحبه إلى مجالس الفقهاء والأدباء الكبار، فإنّه يضمّر أمراً أبعد مما يرمي إليه ظاهر الحال.. ليكن أديباً، ولكن ليكن قبل ذلك- وبعده- رجل دين وفقه وأصول ولتغلب فيه الروحانية على الأدبية. ((كان أبي يمارس عليّ ضغطاً مستمراً لحفظ علوم الدين، وأتظاهر مؤمناً بتنفيذ الأمر وما أن يخرج هو وأخي الأكبر حتى أهرول إلى دواوين الشعراء))^(٣).

ومهلاً.. إن في البلد أصولاً للدراسة.. وليس الفقه أول ما يبدأ به الفقيه، فهناك قبله طريق غير قصير يدرس فيه الطالب النحو والصرف ولهما وحدهما سلم طويل يبدأ بالأجرومية فالقطر.. فشرح الالفية.. وليبدأ مهدي بالأجرومية على يد الشيخ محمد علي المظفر. وهكذا كان. وعين الشيخ المظفر للمصبي حداً محدوداً من سطورها.. وراح الطالب بعد العدة، ولما رجع وبدأ الشيخ يستمع إليه واستمر يقرأ حفظاً ويقرأ حتى جاز المدى وأبعد. إنّ عادته التي استحكمت في الحفظ سهلت عليه أن يحفظ خمساً وعشرين صفحة فدهش الشيخ وقال: وماذا تريد أن أدرسك؟ ولم يسأله الشيخ عما فقه مما حفظ لأنّ المنهج يقوم على الحفظ أول ما يقوم، ولا بد من الاستمرار على الدراسة- على أية حال- لا بد من الأجرومية والقطر..

^(٣) الطريق ص ٦٧ = (مذكرات ثقافة تختصر ص ٢٠٧).

وإذ يسير في النحو مع الشيخ المظفر (مقروناً بمذاكرة ومؤانسة ومشاكسة مع أخيه وابن عمته) دلف يدرس البلاغة على الشيخ علي ثامر والشيخ مهدي الظالمى .
وكانت البلاغة أحبّ المواد إليه يراها جزءاً من نفسه وكان ذلك يقع بعامل من قربها مما هو مخلوق له من شعر وأدب، فالبلاغة- حتى في أسوأ أحوالها- تدور على الشعر: أمثلتها منه، والاستعارة والكناية فيه... ثم لا بد من أن يكون الشيخان اللذان توليا تدريسها قادرين مقتدرين لدرجة من الإبداع..

ومسألة أن ولداً اسمه مهدي يدرس فروع العلم في النجف على أيدي شيوخها وعلمائها الأعلام تختلف عن أية مسألة. فلم تر النجف طالب علم مثل هذا الطالب. إنّ الذي تقرره النجف أنّ الطالب إما أن يطلب أولاً.. فإن طلب واظب وجدّ في الحضور والاستماع والإصغاء واحتمل في سبيل ذلك كل ما يلقي من عنت، وتابع السلم حتى يصل إلى النتيجة المقررة ولم يفعل مهدي هذا ولا شيئاً منه.

كان ينتقل على مزاجه وهواه من هذا الدرس الى ذاك، ومن هذا الشيخ الى ذاك، مرة من أسفل السلم ومرة من أعلاه، مرة يحضر وعشرات يغيب، وهؤلاء الشيوخ من كل عالي الكلمة مرهوب الجانب صعب يرتجف الكبار بحضرتهم، لكن مهدي وحده كان يكسر- القاعدة دون أن يعترضه معترض. وكيف يقع الاعتراض في المتأخر ولم يقع في المتقدم، إن قبول ولد بهذا العمر في هذه الدروس مخالفة- منذ البداية- لكل الأعراف. ولكن مهدي لا يشبه غيره. إنه معروف لدى هؤلاء العلماء قبل أن يقصدهم للدرس، وهم معجبون به خارج دائرة الدرس فهو- إذا- ابن المدينة المدلل.. وما تهيأ هذا- مرة أخرى- لأحد، لأن الذي تهيأ في نفس مهدي وفي نفس والده لم يتهيأ لأحد.

كان مهدي يستمد قوته (وطغيانه) من أنه مهدي وأنه من آل الجواهري، أنه محمد مهدي صاحب الجواهر- إن شئت. ولا يزيد هؤلاء الشيوخ عن كونهم أقارب وأصدقاء وأتراباً يراهم متصدرين في حلقة الدرس كما يراهم في بيوتهم ومجالسهم ومجلس أبيه من كل جمعة. إنهم لم يكونوا مرهوبين لديه على الدرجة التي كانوا عليها لدى الآخرين.. ثم إنه صغير السن.. وإذا كان هذا الصغر في السن يمنع غيره أن يقترب من هذه الدروس، فإنه وحده كان الشفيع له في أن يختار ويتنقل و((يتدلل)).

وقد يكون فيما يديه هذا ((الفتى)) من مخايل في الذكاء والنجابة والتميز شافع آخر. قد يكون لو كانت البيئة القاسية تسمح.. أتراه اقتسر البيئة؟ أتراه وضع نفسه فوق قواعدها؟ ممكن. أترأها حملته على ذلك وهيأته له من حيث لا تريد؟ ممكن.

أما الفتى نفسه فقد كان يفعل ذلك دون شعور بغضاضة ودون إدراك لمغزى ما يفعل، وإنما هو فيه يتبع مزاجه كما يملئ عليه وتكوينه كما يهوى أشبه بالنحلة والزهر، ولا يستطيع أن يقهر طبعه على درس لا يستسيغه.

ومهما يبلغ الأب من القسوة ومن الرغبة في أن يجعل من ابنه رجل دين.. فإنه لا يستطيع أن يبلغ في قسوته أقصاها لأنه في هذه الحالة يصطدم بصميم طبيعة الولد أو بصميم ما آلت إليه طبيعته، وإذا بلغ الأمر ذلك دخل الولد في العناد وغلب عليه التمرد.

ولم يكن يدور في خلد الوالد ما دخل على نفس الولد من نفور من علماء الدين. وكان هذا النفور ينمو ويشتد. وقد بدأ بأبسط العوامل وأقربها إليه.. فلقد أبصر الدنيا وأبوه في خير عميم وداره عامرة بالفخم من الأثاث والخاص من الطنافس. والوفود.. يأكلون ويشربون.. وأبصرها ثانية وإذا الباب يعمر المسكن وإذا الوالد نفسه لا يجد ما يسد جوع العائلة.

لم يكن الطفل ليتنبه للحال، ولم يفطن إلى فرق ما بين الكراث واللقمة الدسمة، حتى جر- بجهله- على أبيه ما لا يريد أن يصرح به..

كان الوالد يتعفف، فإذا سئل عما تغدى.. أو تعشى عدد أصنافاً لا صحة لها من لحم ومرق.. وكان السائلون يعرفون الصحيح من الأمر.. وإنما أرادوا أن يتندروا به شأنهم إذ لا يشعرون بوقع التندر وقساوته.

وإذا كان الوالد يصحب طفله إلى مجالسهم.. كانوا يتوجهون إلى الطفل بالسؤال:

-ماذا تغديتم؟

فيبادر وفي صوته خنته (تميل برأته هنا إلى النون):

-كراث وجبن.

فيضحكون أما إذا سألوا الوالد منفرداً وأجاب بشيء ثم سألوا الولد بحضور والده وأجاب بشيء آخر فلأنهم يخرقون في الضحك..

ويخرج الأمر لدى الولد من الهزل إلى الجد.. إنه صار يدرك ما عليه بيته من ضنك إنهم لا يملكون الغطاء الكافي، ورب ليلة ناموا على غير عشاء..

ترى أين هم؟ أين؟

صحيح أن الوالد كريم متلاف، فليست هذه صفة رديئة، وطالما مدحه الناس بها، وصحيح أنه لم يعد يكسب شيئاً، وأنه من الاعتزاز بالنفس والأنفة (العنفة) على درجة المبالغة، ولكن أما يمكن أن يتلقى عوناً من ((مشتبك العروق)) من هذه الأسر الكبيرة الغنية التي هي أسر دين قبل كل شيء، وأنها أسر من الجواهري وإليه فهو منهم وإليهم.. بل إن آل الجواهري أنفسهم فيهم الوجيه الغني.. إذا لم نذكر آل كاشف الغطاء وآل القزويني.. وآل.. وبني.. وكلهم أعمدة الدين والوجاهة باسم الدين..

كان ((الفتى)) يرى في رجال الدين قساوة وحباً للمال، ولعله سمع شيئاً عن هذا في بيته على لسان أمه - مثلاً، ويرى فرقاً بين القول والعمل.. فيميل قلبه عنهم وكلما وعى ازداد ميلاً، فلم كان لابن فلان من آل.. وبني.. المال.. وليس له شيء من ذلك.. وصح له أن الظاهرة عامة ولا يفسد قاعدتها أن هناك من أمثال شيخ ملا كاظم الخراساني ولكنه فرد، الحاشية من حوله ومن حول كل ((مرجع)) تحتاز وتملك. وتعيث.. وهناك الشيخ جعفر البديري الذي ((أحبه كثيراً لأنه أعلم من غيره به)) وكان لا ينفك يتفقّد حالة الوالد فإذا جاء البيت أخفى تحت الفراش مبلغاً وخرج دون أن يقول شيئاً ودون أن يعلم به أحد.. ولكن الشيخ البديري واحد أيضاً والواحد من هذا النوع لا يمثل الكل.

إذاً، لم يعد في نفس ((الفتى)) أي ميل إلى أن يكون فقيهاً أو أصولياً.. وماذا جنى أبوه من الفقه؟ لقد أضرب الوالد عن قول الشعر مبكراً وانصرف إلى الفقه وقدر الناس ذلك منه وأكبروه فيه.. ولكن لم يبق شاعراً..؟ وماذا في الشعر ليستهان به، ألم تكن له - حتى في هذا المجتمع الذي هجر فيه الوالد الشعر وهجره السيد الحبوبي من قبل - المنزلة العالية وللشاعر الاسم الرنان.. بل إن السيد الحبوبي الجليل، جليل لديه لأنه شاعر.. ويعظم إذ يذكر شاعراً ويتلى شعره.

أجل إن الشعر يستفزه أكثر من غيره.. ويهمه ولا يرى في الدنيا سواه ولا يحس بأنه أهل لسواه..

فما موقف الوالد؟ لا يعارض كثيراً، وما العمل؟ ثم إن الولد لا يخرج إلى ما لا يرتضى.. إنه يخرج إلى الأدب والشعر وهما جزء من مجد البلدة ومجد الأسرة.. ويبدأ الولد يحاول النظم.

-متى بدأت؟

-((بدأت محاولاتي لكتابة الشعر، وأنا في الرابعة عشرة. لكنني لم أستطع أن أبوح بشعري، لأنني كنت غير متأكد منه. ففي النجف يتمتع الشعر بحب أبناء المدينة وكلهم يعرفون جيده من رديئة))^(١).

بدأ من حيث يدري ولا يدري ينظم البيت والبيتين، وخيل إليه أن هذا الذي يتعلمه شعر.. حتى أطمأن إلى حاجسته وحسب أن أن الأوان لاطلاع الآخرين.. خطأ الخطوة الأولى فعرض مقطوعة ميمية مضمومة من أوائل نظمه على بعض الأدباء العاملين.. وبدأ يقرأ:

..... يجمع

وسار في القراءة وإذا به يقرأ في المقطوعة نفسها:

..... مدمدا

فضحكوا به ولم ينفعه أنه أحس بخطئه وأنه كان اللازم أن يختم بيته بـ((يدمد)) فقد نفذ ضحكهم إلى أعماق وجوده وتمكن منه حتى استحال ((عقدة)) تحول دون أن يطلع غيره على ما ينظم - كانت التجربة قاسية ولكنها أعقبت الحذر عموماً، بالحذر من أن يقع في مثل هذا الخطأ الكبير من التأليف الشعري خصوصاً.

وراح ينظم لنفسه مع نفسه تحدوه الثقة وتبعته الطبيعة. حتى إذا اطمأن مجدداً بدأ يخرج عن نفسه فيطلع من يستضعفهم من أصحابه - مثل قاسم محي الدين - وإلا فإنه مازال يتهيب ويتخوف كثيراً أن يطلع الأكبر منه سناً ومنزلة في الشعر أمثال رضا الشيبلي وعلي الشرفي. إنه يراهم عالين جداً ثم إنه يخشى الحزازات ويخشى إذ تؤدي القراءة إلى المثبطات لأنه يعرف كم في مجتمعه هذا الذي يبدو ظاهره برّاقاً من لؤم وخبث وحسد وإيذاء. إنه على الغاية من القساوة حتى لترتبط هذه القساوة بالعمامة ارتباطاً عجيباً!

وكلما زاد اطمئنانه اتسعت دائرته وإذ دعت ضرورة إلى الخروج عن النفس خرج، وكان من هذه الضرورات أن كان ذات يوم مفلساً جداً وأراد أن يحصل على ((مال)) من شيخ محمد حسين كاشف الغطاء فأراد أن يستعطيه شعراً - وليس الأمر غريباً عن بيئته وعن

^(١) مجلتي وقد يفهم من شعره أنه بدأ هذه المحاولات وهو في العاشرة.

أغراض الشعر فيها- فقدم له ما نظم من أبيات فهزه ولكن غاية الاهتزاز لم تنفرج عن أكثر من ((ليرة)) فاستقلها سداً لحاجته أو قدراً لشعره فردّها.. وما كان من الممدوح إلا أن قبلها. وأدت به إلى النظم والإعلان عنه حالة أخرى أقسى من الإفلاس عليه.. لأنها تتصل بالقراءة وحرمانه من القراءة، فقد كان الشيخ علي كاشف الغطاء- ويسميه خالي- يملك في بيته مكتبة نفيسة جداً لما فيها من مخطوط ومطبوع، ولا يسمح في سهولة لأحد بالدخول إليها ولكنه سمح بها لمهدي وسمح له مع ذلك بأن يستعمل الدرج في الوصول إلى أي كتاب يشاء، فوجد مهدي فيها مرتعاً خصباً ورأى فيها حياته، يأخذ منها الكتاب تلو الكتاب من كل فن ومعنى. ورأى الشيخ علي ذات يوم أن مهدي قد ((هَمَسَ)) على الكتاب الذي استعاره فنار و((هَرَّ)) عليه بالعصا. فهرب وانقطع ولكنه لا يستطيع أن يطيل الغياب لأنه يموت بدون هذه المكتبة فهدهاء طبعه وتفكيره ومألوف مجتمعه إلى أن يحل الموقف بأن ينظم أبياتاً يستلين بها الشيخ ويترضاه ففعل، وأوصل أبياته إلى الشيخ فارتاح الشيخ كثيراً وفتح له الباب على مصراعيه، وزاد في الإكرام- هذه المرة- أن أعطاه فهرست المكتبة وهو الذي لا يمكن أن يعطيه لأحد.. فتمّ بذلك للفتى الشاعر فرح ما بعده من فرح.. بالمكتبة وبأنه نظم فأرضى..

ونظم غيرها وغيرها.. ولم يترك القراءة يوماً.. القديم في كل مكان، والجديد يستعين عليه بأخيه عبد العزيز وابن عمته الشيخ علي وبالشيوخ رضا الشبيبي مما يقع في متناول أيديهم من جرائد ومجلات وكتب مما يطبع في مصر. وينتقل إليه الفكر الجديد والمفهوم الجديد في الحياة والأدب، ونظم الشعر عن طريق القراءة حيناً وعن هذه الفئة المتنوّرة من الشباب التي سبقته في الميلاد نحو عشر السنين إذ يسمعها تتحدث وتناقش وتسخر من القديم وجوده وتعجب بالجديد وتحرّره، وقد يشترك هو نفسه في أطراف من هذا النقاش..

وإذ يتركهم يعود إلى النظم.. أجل فهو في فورة تكاد تكون ثورة في القراءة والنظم والسعي إلى أن يكون شاعراً معدوداً يشار إليه بالبنان ولم لا؟ وفي أقصر- وقت. فليكتف الزمن. إنه لا يعرف- ولا يدري- من شؤون الموهبة ما يجب أن يتهياً ليكون الشاعر شاعراً حقيقياً لأن مسألة الموهبة هذه ضائعة في بيئة يتعاطى الشعر فيها كل من أراده، وتهبىء فيها مناسبات التهنئة والمدح والرثاء- الفرصة لأن يقول فلان ويقول فلان.. بل إن فلاناً ليتغزل وكأنه سيموت حباً وغراماً وهياماً... ويتحدث عن الخمر والكأس والنديم كأنه ولد

سكران.. وما هو من هذا أو هذا في شيء بل قد يكون تقياً نقياً مؤمناً ثقة - ولم تكن ضرورة للتجربة - بأي من معانيها - فلم تكن التجربة والحديث عنها مما يرد على الألسن. ثم هل من ضرورة إلى مناسبة مهمة لقول الشعر؟ لا، إنهم ينظمونه حتى في أتفه أمور الحياة اليومية من أخذ وعطاء وبيع وشراء..

ليست المسألة - إذًا - أكثر من ثروة في المفردات وإدراك للوزن وقلم وورقة.. وقد تهيأ كل ذلك لمهدي على أحسن ما يرام. فلينظم، فالشعر كله نظم، وكل ما في أمره أنه يخشى أن ينسب إلى الرداءة وبيئته تميز جيداً الغث من السمين، وها هو ذا يطمئن إلى نفسه.. ((في السادسة عشرة طغمت الكلمة على قلبي ولساني.. فبدأت أقرأ شعري في أوساط النجف وبدأ الناس يتعرفون على شعري...))^(١).

وطورت الشاعرية في ((عوامل.. عديدة أهمها حب الظهور والتنافس، وقد جرى لي ذلك فكنت أقرأ شعراً لشعراء مشهورين وأناجي ضميري بأني، هل أستطيع أن أنال مقام ذلك الشاعر...))^(٢).

وقد ضاع الشعر الذي نظمته في البدايات ولم يعد يحفظه أو يحتفظ به أحد.. وربما كان مرد ذلك إلى أنه كان اعتيادياً أو ضعيفاً لم تكن عليه من دلائل النبوغ ما يفرض به نفسه على الحافظين ويجتذب المعجبين.. إنه شعر موزون مقفى مثل كثير وكثير غيره، ويا طالما نظم مثله الألوף والالوف من المبتدئين من كان ذا شاعرية منهم ومن لم يكن.. من اطمأن إلى نفسه ومن لم يطمئن.

ثم إنه لم ينشره في مكان من جريدة أو مجلة.. لأن وسائل النشر لم تكن لتتوافر سهلة في العراق. أما صحافة الخارج في القاهرة ودمشق وبيروت وجبل عامل، فليست له إنها للشيخ محمد الشيبلي وإنه ليعترف بالفارق الكبير، وإنه لو ((ركب رأسه)) فإن قوة طاغية تصده وتشل نزوات الشهرة فقد كانت عارمة تسد على تفكيره كل طريق وعلى جرأته كل منفذ.. تلك هي سلطة الشيخ الوالد الذي ضحى بشعره كله من أجل الفقه وحده، ولم يعد الفتى يهيمه الفقه وأهله، والوالد متمزمت ازاء الجديد وقد ملأ هذا الجديد آفاق الشاعر الناشئ..

^(١) مجلتي.

^(٢) شعراء الغري ١٠ / ١٤٦ - وتقرأ مقدمة ((حلبة الادب)).

هذا إلى أن المسألة ليست رهبة وحدها وإنما هي رهبة واحترام وحب متبادل قد يكون عجباً تبادله..

وإذ بدأ الانكليز يزحفون نحو ((الكوت)).. وتقدم العراقيون نحوهم في حرب غير متكافئة، كان بين هؤلاء العراقيين الشيخ الوالد..

ولم يلبث الانكليز أن تغلبوا، فعاد الشيخ إلى بلده. وما هي إلا شهور حتى مرض وكان يقول: إنه ميت مع ما كان عليه من قوة، وإذ اختلط المرض على الطبيب فظن النزلة ((تيفوئيد))، عرض بعض الحاضرين بالطبيب، وشد الآخر من عزيمة المريض نفسه فكان مطمئناً إلى نهايته ويردد:

الناس يلحون بالطبيب وإنما غَلَطُ الطبيبِ إصابةُ الأقدارِ

وبعد أيام قليلة قام يصلي المغرب متكئاً على ولده عبد العزيز وابن اخته علي ومات قبل أن يتم الصلاة. وكان ذلك كله في عام ١٩١٧ م^{١١}.

..ومرت أيام الحزن فعاد الولد إلى درسه فقد تقدم فيه وزاد على مواده السابقة مواد جديدة فهو يدرس البيان على الشيخ علي ثامر، والمنطق والفلسفة على السيد حسين الحماوي، ولكنه يحيا بالأدب والشعر وللأدب وللشعر، مع فارق بدأ أول الأمر ضئيلاً، فقد أخذ الولد الشاب يحس بحريته. لقد آن الأوان إلى أن تعرب المرأة عن نفسها منطلقاً من كل قيد، وحن للبركان أن يثور.. أو أن يتحفز في الأقل.. وليتجمع.. فزاد الشاب من قراءة الجديد من شعر وغير شعر مما هو للعرب أو مترجم عن الغرب، وزاد من إعجابه به والنقاش مع الآخرين من أجله - دون أن يترك النظم لحظة.

وإذ يتنادى العراقيون إلى الثورة على الانكليز وتكون النجف مركزاً للثورة وطليلة للمنادين يجد مهدي طريقاً ما إليها.. وكان طبيعياً جداً أن يكون معها في حديثه ومجلسه وإلى جوار أصدقائه.. ولكن ماذا يمكن أن يؤدي إليها؟ وقد يبدو عجيباً أنه لم يفكر جدياً بالشعر الاستنهاضي وهو الذي يتصيد الشهرة، ويتصيد مناسبات يبدو فيها جديداً على مجتمعه، وهل فرصة أنسب من ((الثورة)) التي تهيب له مطلبه على أسمى ما يكون.

^{١١} في شعراء الغري ٥ / ١٦٧ ((توفي بمرض التيفوئيد عام ١٢٣٥ هـ ودفن بمقبرة الاسرة الخاصة الواقعة في محلة العمارة)).

أجل، إنه لم ينظم الشعر في الثورة ولم يعتل المنبر ولم يخاطب الجمهور، لأنه يعرف محيطه جيداً، يعرف النجف وقساوتها في الحكم الأدبي، وقد وهبته هذه المعرفة التريث والحذر وطمنت من بدوات الطيش، إنه لو اعتلى المنبر لأول مرة لزج نفسه في مأزق وتطول بها أكثر مما لها كثيراً. ليس سهلاً أن تُلقى في المحفل، إنك لما تبلغ سن المنابر، وإذا كنت ترى نجم المحافل الثورية اللامع الشيخ باقر الشيبسي، فهو نجم في مكانه الطبيعي من السماء، وهو يكبرك بنحو من عشر سنين، فلو كنت - مثلاً - في الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، فإنه في الثامنة والعشرين - والفرق كبير من الأشياء. إن المسألة ليست مسألة نظم فقط، فما قيمة النظم إذا لم يلقه صاحبه كما يلي الآخرين شعرهم؟ وكيف يزحم هذا الناظم الجديد سابقه؟ وكيف يواجه محفلاً فيه كبار الأدباء والشعراء والعلماء؟ كيف يرتقي المنبر وشيخ الشعراء (الشيخ جواد الشيبسي) حاضر؟ وكان يتهيّب، وإلا فإن الشعر الذي كان يلقي لم يكن على الغاية من البراعة، ألم يقف السيد باقر الحلي فيلهب الجمهور الثائر بشعره، وببيت مثل:

هم يطلبون على العراق وصاية

عجبا فهل أبنائوه أيتام

ألم يستعد شيخ الشعراء هذا البيت وإذا استعاد الشيخ جواد استعادت الدنيا بعده وأعجبت لإعجابه؟

لقد فانت على الشاعر الفتى فرصة لم يكن ليقضه فواتها كثيراً، لأنه لا يريد أن ينظم كل ما اتفق من دون اختار واهتزاز ينبيء بالاختمار. ثم انه اختار طريقاً آخر أكثر وعورة من الشعر ألا وهو: كتابة الإعلانات في الدعوة إلى الثورة ولصق هذه الإعلانات على أبرز أبواب الصحن العلوي. دافعه إلى ذلك شعوره الوطني، وكافله إنه من آل الجواهري ويصعب على السلطة - بقائمقامها حميد خان - أن تمسه بسوء.

انه من آل الجواهري. صحيح جداً، ولكن لو كان الوالد حياً لما جرؤ أن يفعل ما يفعل فقد كان وجود الوالد سبباً في صدّه عن كثير من الأشياء. التي يرغب في أن يعرب عنها ويؤكد بها وجوده كما يريد...

لو بقي الوالد لعلّق مرحلة الولد... ولعلّق كثيراً من الأشياء المهمة جداً لديه ومن أهم المهم: النشر، نشر الشعر... أما الآن، وقد زال الخوف ولم تبق منه بقية تذكر، واستوت السليقة

وتهبأ ما يؤكد الثقة بما ينظم.. فإلى النشر.. إليه.. وما عليه إلا أن يحضر ظرفاً وطابعاً.. وما أسهل ذلك..

لقد انصرم عام ١٩٢٠ أو كاد.. ولتكن بقايا الثورة العراقية، أول موضوعات النشر كآته لا يريد أن يخرج عن النجف وعلى النجف بما ترسخ فيها من مفهوم الشعر وموضوعاته حتى كاد يأسن..

أجل.. ليرسل بأحدث ما نظم فنال رضاه ورضى الآخرين.. إلى بغداد، جريدة الاستقلال.. وها هو ذا الأسبوع الأخير من كانون الثاني ١٩٢١ يطلع على الناس وفيه للجواهري قصيدتان^(١).

وهو خلال ذلك يعاني شظف العيش وضيق ذات اليد. وقد انقطعت المعونة التي كان يقدمها البديري، ولم يبق في الدار شيء يستحق البيع، وكاد ينفد ما حصل عليه لقاء بيع حصّة من دار، ولكن الشعر يوسع عليه ما ضاق من نطاق الدنيا.

^(١) كان عمر الشاعر على حساب رواية الشيخ جعفر محبوبة: إحدى وعشرين سنة ((ونصف)) سنة. أما الشاعر نفسه فيقول في ((مجلتي)) ١ نيسان ١٩٧٢: ((..نشرت أول قصيدة لي في جريدة- العراق وكان عمري سبعة عشر عاماً)). ولم يثبت أن نشرة الأول كان في جريدة العراق. أما الرقم الذي قدمه لعمره، فهو يدل على إصرار الشاعر أن ميلاده كان بعد الـ ١٩٠٠، فلو فرضنا جدلاً أنه نشر في العدد الأول من العراق (وقد صدر في ١ حزيران ١٩٢٠) فإن ميلاده يكون في ١٩٠٣ ويكون ميلاده كذلك - مع فارق في عدد الشهور- على حساب النشر في جريدة الاستقلال.

على قارعة الطريق

قال لي وقد عرج عليّ - وأنا في منتصف الطريق إلى حيث أريد - أأنت مسافر مثلي..؟؟

فقلت له: لا! بل أنا شريد.

قال: وأين وجهتك الآن؟

قلت: وجهتي أن أضع مطلع الشمس على جبیني وأغذ في السير.. حتى إذا جنني الظلام في الليل أقمت حيث يجني.. وسرت عند طلوع الفجر.

قال: والليل ليل والنهار نهار منذ الأزل وحتى الأبد.. أفأنت مجنون؟

فقلت له: لا - كما اعتقد.. ولكن أأنت جاهل؟

قال: وكيف؟

فقلت له: لقد علمنا علم المكان وعلم الزمان من جديد؛ أنك كلما أغذت السير قدما قصر الليل وطال النهار.. حتى ليكادا يتحدان عند المنتهى.

ولقد كنتُ أجهل مثلك هذه الحقيقة طيلة ثلاثين عاماً خلالها أهيم على وجهي وأتخبط في مجاهل الأرض - دون معالمها - إذ كنت لا أعلم من هذا العلم شيئاً.

قال: والآن؟

قلت: والآن.. فمنذ سبعة عشر عاماً - وقد عرفت هذه القاعدة - وأنا أمشي - إلى

الأمام على ضوء الشمس..

قال: وعندما تغيم؟

فقلت له: إنني لأفتح عينيّ أكثر لأعتاض بهما عن نور الشمس وقد أزيغ وأنحرف! ويكلفني هذا تعباً يطول أو يقصر على قدر انحرافي.. ولكنه ليس على كل حال أكثر من التعب في أن أعود وعلى ضوء الشمس من جديد ومن حيث ابتدأتُ.

قال: وماذا أكثر من التعب؟

قلت: أكثر منه ألا أتعب.

قال: أولاً ترتجف من البرد؟

قلت: لا.. فقد تعودته حتى لأكاد أرتجف من الحر.

قال: وماذا تأكل؟

قلت: لحوم الحيوانات السائبة فإن لم تكن تقوّت بقليل من لحمي..

قال: لحمك؟!

قلت: أجل.. ولماذا لا وإني لأكل من لحم أولادي أيضاً..

قال: آه.. وعندك أولاد؟

قلت: بلى.. وهم سبعة ومعهم أيضاً في طريقي..

قال: وكيف يطيقون هذا العناء؟

قلت: أحمل العاجز منهم على كتفي، وأدع رعاية الصغير للكبير منهم، وأكل من

لحمهم وأطعمهم من لحمي.. ومن مات منهم جوعاً أو تعباً، تركته للكلاب..

قال: أولاً يرتجفون مثلك من البرد؟

قلت: بلى يرتجفون.. الآن وسوف يتعودون ذلك غداً.. فلا يرتجفون أبداً..

قال: أو لم تقدر أن تكسوهم وتطعمهم فيما تمر به على المدن، والقرى والناس؟

قلت: أبداً..

قال: ولماذا؟؟

قلت: لأنهم يريدون لذلك ثمناً.

قال: أو تريده بلا ثمن؟

قلت: وكيف أريده بدونه.

قال: فلماذا؟

قلت: لأنني أريد لهم ولي أن أعمل ويعملوا لنشبع ونكتسي..

قال: وهم؟

قلت: هم يريدونني أن أرقص.

قال: ترقص؟!!

قلت: أجل ومثل القروود تماماً.

قال: ولماذا لا ترقص؟ ومثل القروود؟

قلت: لأنني لم أوهب سعة حيلة هذا الحيوان وصبره على المجاعة.

-ألك إخوة؟

قال لي صديق الطريق.. هذا! وقد صمت ورمق الأفق البعيد بعينه.

قلت: أجل لي ثلاثة..

قال: وأين هم؟

قلت: واحد تشرد مثلي، وآخر تخلف عني في المدينة، وثالث أكلته الحيوانات!

قال: أولك أم؟

قلت: وكيف لا؟!

قال: وأين تركتها؟

قلت: تركتها على قارعة الطريق، ويدها كتاب! وإبريق! ومبخرة!

قال: وما هذا؟!

قلت: هذا من عقائدها..

قال: عقائدها؟!

قلت: أجل من عقائدها إنها كلفتني أن أقبّل الكتاب، وقد حملته باليمين، فقتلته ولكن.. بعد أن أخذته منها بالشمال.. وأرادت أن ترش الأرض من حولي بالماء، ومن أنبوبة الإبريق فرشت به الأرض ولكن بعد أن رفعت الإبريق إلى فوق ومن فوهته!

قال: والمبخرة؟

قلت إني حطمتها وإن والدتي لمتشائمة وحزينة من أجل ذلك.

قال: مفهوم أنها حزينة، ولكن لماذا هي متشائمة؟

قلت لأنها تعتقد أنني لا أرجع إليها سالماً وقد حطمتها.

قال: وأين ولدتك أمك؟

قلت: على قارعة الطريق أيضاً.

قال: أكل شيء على قارعة الطريق؟!

قلت: أجل إنها من المعتقدات بـ - أسطورة!! - ((سيادة النور)) و((عبودية الظلام)). وهي ترتجف رعباً من الليل، ولذلك فهي لا تضع حملها إلا على قارعة الطريق..

قال: وأبوك؟

فقلت له: إنه لا يشغل بالي من أمره أكثر من أنه كان يتحمل الألم ولكن بصمت! بلا ثورة على الألم وبلا تجديف وإنه كان يغني ثم خاف فترك الميدان وكل من هو على شاكلته من المغنين لا يشغل بالي من أمرهم شيء!

قال: ومتى كان عهدك بالمدينة وأهلها؟

قلت منذ تركتها أما عهدي بأهلها فم منذ أن تشاجرت مع حاكمها لكثرة ما يحملهم على الرقص كالقروود.

قال: وبعد؟

قلت: وبعد فقد استمروا يرقصون حتى بعد أن طردني الحاكم شر الطرد من أجلهم.. طردني أنا ومن معي..

قال: أفأنت حاقد عليهم من أجل ذلك؟

قلت: لا.. أبداً بل غاضب..

قال: أولاً تريد أن تراهم؟

قلت: إن بريق الغضب في عيني ليصدني عن رؤيتهم.

قال: لي عابر السبيل بعد برهة وجيزة استرحت من خلالها من قال وقلت.

قال: وقد فهمت أن عنده ما يخاله هو شيئاً جديداً- إن هناك- من ورائنا!! غابة..
وارفة الظلال كثيرة الأشجار، ناضجة الثمار، شاخبة الغدران، أفلا أدلك عليها
فتستريح عندها.. ولو بالرجوع خطوات؟

قلت له عابساً: أفأنت خارج منها؟

قال: أجل.

قلت: أفأنت من أشباحها؟

فصمت مذهولاً! ولما أدركت أنه ليس منهم وأنه مجرد عابر سبيل انحدر إليها..
قلت له: لا.. لا أبداً فهل تريد أن أقص عليك أمري منها، وأدع لك أمرك وشأنك
على أن نفرق بعد الآن، لأنك حديث عهد بها، وبأرواحها ولأنني لا أطمئن إليك من
أجل هذا.

قال وقد رأيت الألم الصادق! في عينيه: موافق.

قلت له: لقد مررت بغابتك هذه، بعد أن كنت قد انحرفت قليلاً أو كثيراً- لا
أدري- عن شرع الطريق الذي كنت أريده، وكان الأمر في ذلك أنني لقيت من على
جانبي طريقي المنحرف أشباحاً وكأنها الأدلاء إلى الطريق السوي فتبعتهم- شاكرًا!
-حتى إذا توسطت الغابة استقبلتني من خلال أغصانها المتشابكة رؤوس كأنها
الشياطين وأصوات كأنها حشرة المحتضرين، وأطبق علي الظلام الذي أخافه.
ولا أنكر.

إنني كنت جائعاً وإن ثمرها كان شهياً.

وإنني كنت ظامئاً وإن ماءها كان عذباً سائغاً.
ولكنه مع هذا كله فقد أنستني حاسة الرعب والهلع من الظلام المسيطر عليها كل
الحواس الأخرى.

فلقد أدركت يا صديق الطريق العابر من بادىء الأمر بغريزي- وليس بعقلي- أن
طريقاً يقف عليه الأدلاء ليدلوا عليه المارة ليس هو بالطريق القويم فمثل هذا الطريق
ما تسير أنت مدفوعاً على هداه.

ولقد علمت يا صديق الطريق العابر أن تلك الأشباح المبتوثة في طريقي إلى الغابة
إنما هي من أرواحها! وإن كل ما عوى عليّ من ذئابها!

وكل ما طلع عليّ من رؤوسها!

وكل ما أدمى قدمي من أشواكها!

وكل ما حك جلدة رأسي من أغصانها وفروعها!

كان جزءاً لا ينفك من أرواحها أيضاً.

وحتى تلك الحيوانات المتفرجة المسالمة فيها هي منها أيضاً.

وتلك الأشباح التي كانت تتسلل من خارج هذه الغابة فتتشابك مع ما في داخلها
من أشباح وأرواح وكأئنّها تريد أن تتلاعب معها! أكثر من أن تتقاتل.

حتى تلك الأشباح التي كانت وكأئنّها تريد أن تدفع عنها كلّ البطر! وفتور الدلال!
في معركتها هذه، آمنت أنّها من سلالة أرواح الغابة ومن عناصرها!

ولقد ألفيت تلك الأرواح الشريرة ومن تابعها ترى ذلك الجنى الغض من الثمر
العاجل في هذه الغابة والماء العذب البارد خير العوض عن الظلام الرائن عليها!
وكنت أراه مجرد ثمر عاجل ومجرد سراب لامع.
وكانوا يضحكون مني وكنت أضحك منهم!!
وعندما هز عابر السبيل هذا رأسه باستحباب كمن يريد زيادة في الحديث..
قلت له: ومن الغريب أنني كنت أحمد! في خطواتي الأولى إلى هذه الغابة هؤلاء
الأدلاء..

وكنت لا أنفك أغني إلى جانب ذلك أغاني التمجيد لنور الشمس، وكان هؤلاء
الأدلاء أنفسهم - لا غيرهم - يهزون رؤوسهم وأذقانهم كالمؤمنين بما أغني.
والأغرب من كل هذا - يا صديق طريقي العابر - أنني حتى بعد أن وليت منهم
ومن غابتهم فراراً..

كنت أغني بحماس أكثر وأغاني أجود في تمجيد نور الشمس وفي شجب عشاق
الظلام..

وكانوا - هم وليس غيرهم - أيضاً يهزون رؤوسهم وأذقانهم تأمناً على أغاني هذه
في حين كانوا يشيعونني معها بنظرات الأسف.
إنهم كانوا يفعلون ذلك وهم يقضمون من نبات تلك الغابة وأثمارها ثمر الظلام
الذي يعيشون فيه..

ثم يرمون ببعضها أو ببقاياها إلى من وراءهم وحواليهم من تلك الأرواح.

وممن قصرت أيديهم أن تمتد الى أغصان أشجار الغابة.

ثم قلت وقد انتهيت..

والآن فوداعاً يا صديق الطريق العابر..

قال: وداعاً يا أيتها المغني لنور الشمس!

وداعاً أيها الشريد!

وكان هذا آخر عهد لي به، وآخر عهد له بي.

محمد مهدي الجواهري

أمنن عليّ (*)

مولاي كم لك في العدى يومٌ سبقت به أغرُّ
ومكارمٌ فُتِّ الكرا مَ بها ففات العدَّ حصرُ
لم يعُدني تقييلُ كفِّك غيرُ جودك فهو بحرُ
أنا غرسُ نعمتك الذي أنطقنني فالقولُ شُكرُ
فلا جزينك ما حييت وما بقي ليْلٌ وفجرُ
بمدائحٍ رقت كما أخذت من الألبابِ خمرُ

«كتب المرحوم الشيخ ((علي كاشف الغطاء)) صاحب ((الحصون)) في الجزء الأول من كتاب ((سمير الحاضر ومتاع المسافر)): المحروس بالله شيخ ((مهدي ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين الجواهري)) كتبها ليستعير مني كتاب ((دمية القصر للباخرزي)).»

وقد كان رحمه الله قد غضب على الشاعر ومنع عليه استعارة أي كتاب من مكتبته الشهيرة وذلك بسبب هوامش كان الشاعر يعلّق بها على بعض الكتب التي كان يستعيرها، وهو ما كان الشيخ الكبير يتشدد في منعه.

(ورد في الطبقات السابقة لديوان الجواهري، تأريخ نظم القصيدة عام ١٩٢٤، ولكن من أحاديث الجواهري وذكرياته يستدل على أنها كانت من قصائده الأولى، ولذلك وضعناها في مستهل الديوان/ د. كفاح الجواهري).

وقصائد بدوية يصبو لها بدو وحضر

أنكرت مني سيرة قبلي عليها الأهل مروا
قل لي: ((لعا)) إمّا عثرت فإني ذاك الأغر^(١)
وامنن عليّ ((بدمية)) أو لا فإنّ ((القصر)) قفر
ستريك أيام الشقا بها عداك ولا تسر

(١) لعا: كلمة تقال للعائر.

يا خمرتي

خمرتي فضلك لا يُحصى عليّ أنتِ قد حبّبتِ دنيائي إلي
عدتي في شدي خمرٌ و((ني)) لا أقولُ الشعرَ حتى أشربا
فطرتي كلّ على ما فُطِرا

النجف عام ١٩٢٠

العزم وأبناؤه

دمعة حرّى على شهداء الثورة العراقية

هو العزمُ لا ما تدعي السمرُ والقضبُ وذا الجدُّ حتّى كلُّ ما دونه لعبُ
ومن أخلفته في المعالي قضيةٌ تكفل في إنتاجها الصارمُ العضبُ
ومن يتطلّب مُصعباتٍ مسالكِ فأيسرُ شيءٍ عنده المركبُ الصعبُ
ومن لم يجد إلاّ ذعافَ مذلةٍ وروداً فموتُ العزّ موردهُ عذبُ
وهل يظماً اللاوي من الذلّ جانباً وبيضُ الطُي رقرقها عللُ سكبُ
إذا رمت دفعَ الشكِّ بالعلم فاختر بعينيك ماذا تفعل الأسدُ الغلبُ

أما والهضابِ الراسياتِ ولم أقل عظيماً، فكلُّ دون موقفه الهضبُ
لئن أسلمتهم عزةُ النفس للردى فما عودتهم أن يلّمّ بهم عتبُ
أحباي لو لم تُمسك القلبَ أضلعي لطار أسى من برج ذكراكم القلبُ
قضيتُمْ وفي صدر الليالي وليجةٌ وما غيركم يستلّها، فلها هُبا^(١)
سقالكُ الحيا أرض العراق ولا رقتُ جفونُ غواديه، وناحت بك السحبُ^(٢)

(١) الوليجة: الدخيلة وهي هنا ما تضره الليالي من شر.

(٢) الحيا: المطر. لا رقت جفون غواديه: دعاء الا ينقطع المطر فتجف الأرض.

تضمنت - لا تضمنت شرّاً لظالم - كواكب ليل الخطب إن حلك الخطب^(١)
بكيّت وحيداً في ربّاك ولم أُرْدُ مخافة واشٍ أن يساعدي الركب
فيا شرقُ حتّى الحشر تُربك فوقه دليل لمن لم يدر ما فعل الغربُ

النجف عام ١٩٢١

(١) حلك الخطب: اشتد الامر وعظم.

رثاء شيخ الشريعة(*)

أبْنُ مَا لِهَذَا الدِّينِ نَاحَتْ مَنَابِرُهُ وَقَلَّ خَفِيَّةً أَيْنَ اسْتَقَلَّتْ عَسَاكِرُهُ
وَلَمْ شَرِّقْ النَّاعِي بِمَنْعَاهُ عَلَيْهِ رَأَى شَامِتًا يُخْشَى وَعَيْنًا تَحَاذِرُهُ
وَشَكَاوَاكَ فَاکْتَمَهَا وَقَلَّ مَتَجَلِّدًا: زَمَانٌ مَضَتْ أَوْلَاهُ هَذِهِ أَوَاخِرُهُ
وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَفْجُوعَ حَبْسُ دَمُوعِهِ وَبَاطِنٌ مَا يُخْفِيهِ يَبْدِيهِ ظَاهِرُهُ

أَبَا حَسَنِ فِي الصَّدْرِ مَنِّي سَرِيرَةٌ سَأَكْتُمُهَا حَتَّى تُبَاحَ سَرَائِرُهُ
أَعْدُوكَ لِلْأَمْرِ الْجَلِيلِ وَأَضْمَرْتُ خِلَافَ الَّذِي قَدْ أَضْمَرُوهُ مَقَادِرُهُ
وَلَمْ تُدْرِكِ الثَّأَرَ الْمَنِيمَ مِنَ الْعَدَى فَجَفَنُكَ لَمْ أَغْضَى - وَهَوْمٌ سَاهِرُهُ؟
سَلَامٌ عَلَى النِّعَشِ الْخَفِيفِ فَقَدْ ثَوْتُ ثَقَالُ الْمَعَالِي عِنْدَهُ وَأَوَاصِرُهُ
أَنَاعِيهِ خَفَّضَ، ((فَالشَّرِيعَةُ)) تَعْتَزِي إِلَى ((شَيْخِهَا)) فَانْظُرْ لِمَا أَنْتَ ذَاكِرُهُ
لِفَقْدِكَ حَالِ الدِّينِ عَمَّا عَهَدْتَهُ فَمَسَلُمُهُ فِي ذِمَّةِ الشَّرْعِ كَافِرُهُ
فَلَا بَلَغَ النَّاعِي عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ مَنَاهُ وَلَا حَاقَتْ يَدِيهِ بِوَاتِرِهِ
فَلَوْ شَاءَ ذَاكَ الْقَبْرِ بَيْنَ كَمٍ بِهِ أَمَانِي نَفُوسٍ قَدْ طَوَّتْهَا ضَمَائِرُهُ
فِيَا لَا سَقَتْ إِلَّا يَدَاهُ ضَرِيحُهُ فَفِيهِ مُسِخُ الْغَيْثِ حَلٌّ وَمَاطِرُهُ

النجف عام ١٩٢١

(*) أنشدت في الحفل التآبيني المقام على روح ((شيخ الشريعة)) في الجامع الهندي في النجف وفقد قسم غير قليل من القصيدة لأن الشاعر لم يستطع أن ينشرها كاملة بسبب الرقابة الشديدة آنذاك.

ثورة العراق

[إن كان طال الأمدُ فبعد ذا اليوم غدُ
 ما آن أن تجلسوا القذى عنها العيون الرمدُ
 أسـيا فكم مرهفةٌ وعـزمكم متقـدُ
 هـبوا كفتكم عـبرةٌ أخـبارُ من قد رقدوا
 هـبوا فعن عرينه كيف ينـامُ الأسـدُ

وثورةٌ بل جمرةٌ ليعرب لا تخمدُ
 أججهـا إـبـاؤهم والحرُّ لا يُستعبدُ
 لا تشني عن بلدٍ حتّى يُشبـبـ البلدُ
 خفّوا إلى الداعي وفي الـ حرب جبالاً ركـدوا
 واستبشـروا بعـزمهم فـهلـلـوا وغـرّـدوا
 وأقسـموا إلى العـدى أن لا يلـين المقـودُ
 يا أبى لكم أن تقهـروا عـزكم والمحتـدُ
 إن كان أعيـامـوردٌ غـير الأذى لا تـردوا
 أو كان لا يجـديكم قـربى لهم فابتـعدوا
 كم جلب الذلّ على الـ مرء حسامٌ مغمـدُ
 زيـدوا لقاحاً حـربكم لعلّ عـزاً تلـدُ
 إياكم والذلّ إن جرحه لا يـضـمدُ

وللفـرات نهضةٌ مشـهودةٌ لا تجـحدُ
 هـاجوا بها لا لعب فـيما أتـوا ولا ددُ

غطَّارْفٌ مِنَ الطُّبَا صرَّحَ لَهُمْ مُمَرَّدُ
 وفتيَّةٌ عَلَى المنى أو المنايا احتشدوا
 نادِيَهُمُ الحَرْبُ وصهـ ووةُ الجيادِ المقعدُ
 لو أُوردوا عَلَى ظمأً بذلَّةٍ ما وردوا
 من كلِّ مشدِّ الحِصَا رأيه مستحصدُ

ناشد بذاك عوجَّةً ومثلها يستنشدُ^(١)
 هل اشتفتُ من العدى أم بعدُ فيها كمْدُ؟
 وهل درتُ أبناءُها إنَّ الثنا خلَّدُ
 هم عمروها خطَّةً يصلى بها ومحمدُ
 خالدة ما ضرهم أنهم ما خلدوا

وللقطار وقعَّةً منها تُفزر الكبدُ^(٢)
 ما تركوا حتَّى الحديد سلسلوا وقيدوا
 مرَّ وقد تحاشدت عديده والعددُ
 كأنَّما لسنانهُ خطيبُ جمع مُزبدُ
 كأنَّـه آلى على أن لا يطوّل المددُ

(١) العوجة: قرية على جانب الفرات وتسمى بالرميثة وفيها الواقعة المشهورة بين الثوار والبريطانيين

وقد فاز بها الثوار على الانكليز وتغلبوا عليهم وردوهم بأفطع صورة.

(٢) هو القطار المدرع الذي بعثه المحتلون لتأديب الثوار وكان مشحوناً بالضباط البريطانيين وكانت

الغلبة للثوار إذ أوقفوه وحطموه واعتقلوا من به.

تَكَادُ مِنْ هَيْتِهِ صَمُّ الْجِبَالِ تَسْجُدُ
تَحْتَهُ النَّارُ كَمَا بِالرُّوحِ سَارَ الْجَسَدُ
لَمْ يُلَفْ إِلَّا مُوعِدًا فَمِ بَرْقٍ وَمُرْعَدُ
حَتَّى إِذَا مَا أَجَلٌ دَنَا وَحَانَ الْمَوْعَدُ
لَمْ يُنْجِهِ مِنَ الرَّدَى حديدُهُ الْمَوْطَدُ
هِيَهَاتَ يُغْنِي عَنْ قِضَاءِ زَبَرٍ مَصْفَدُ
مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ أَبْرَمَ الْأَمْرَ قَدِيرٌ أَوْحَدُ
هَنَّاكَ لَوْ قَدْ وَجَدُوا سَمَّ خِيَاطِ نَفْدُوا^(١)
وَاسْتَئْجَدُوا وَأَيُّنَ مَنْ حَينَ النَّفْسِ الْمُنْجَدُ
مَلْحَمَةٌ تَشْكُرُ مَصْلِيهَا الْوَحْشُ الشَّرْدُ

وَدَعَوْهُ مَشْهُودُهُ تَدْعُو لِيَوْمٍ يُشْهَدُ
قَامَ بِهِ مَقْلَدُ بَعَزْمَةٍ مَجْتَهَدُ
((محمَّد)) وَمَعْجَزُ مِثْلِكَ يَا ((محمَّد))^(٢)

أَلْقَتْهَا شَاشِعَاءُ لَا يَطَاعُ فِيهَا السَّيِّدُ
يَرُونَ أَقْصَى مَطْمَعٍ فِي الْحَرْبِ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا
كَأَنَّمَا لَيْسَتْ لَهُمْ نَفُوسُهُمْ وَالْوَلَدُ

(١) يقال أنفدت القوم إذا خرقتهم ومشيت في وسطهم فإن جزتهم حتى تخلفهم قلت نفدتهم
(٢) الشيخ محمد تقي الشيرازي

حَتَّى إِذَا مَا وَيْلَسَنُ ضَاقت بها منه اليدُ^(١)
 ولم يجد ليناً بهم وهل يلين الجلمدُ
 وما رأى ذنباً سوى أن حقوقاً تُنشدُ
 وأنهم أولى بها قد زرعوا أن يحصدوا
 سواعدٌ مفتولةٌ بعزمها تعتضدُ
 وهممةٌ شماءٌ لا ينال منها الفرقدُ
 ممال إلى الحقّ ولم يكن لحقّ يرشُدُ
 وقال: هذا عاصفٌ هبّ وبحرٌ مُزبدُ
 وجذوةٌ تلههم من أطرافها ما تجددُ
 ولست أقوى حمل ما تنوء عنه الكتد^(٢)

يا ثورة العرب انضحي لا تُخلقي ما جددوا
 لا عاش شعبٌ أهله لسائهم مقيّدُ
 سيان عندي مقولٌ أو مرهفٌ مجرّدُ
 أفدي رجالاً أخلصوا لشعبهم واجتهدوا
 كم خطبةٍ نفائسةٍ فيها نُحِلّ العقّدُ
 ومقولٍ قصّر عن تأثيره المهنّدُ
 هذا لساني شاهدٌ عدلٌ متى تستشهدوا
 أن لا تزال أضلعي تُطوى على ما تجدُ

(١) هو الحاكم العسكري العام في العراق ابان الثورة وكان له رأي حسن في الثورة العراقية.

(٢) الكتد: مجتمع الكتفين وقيل هو أعلى الكتف.

عهداً أكيداً فثّقوا أني على ما أعهدُ
صبراً وما طاب لكم مرعاًكم والمـوردُ
صبراً وما عودتموا من قبل أن تضطهدوا
إن رفعت رواقها الحربُ فأنتم عمـدُ
وأنتم إذا الوغى أعوزه من يؤقـدُ
نيرانُ حربٍ يصطلي الأدنى بها والأبعـدُ

مواطني شقت وأبناء ((السقوط)) سـعدوا
يا إخواني كلّ الذي أملتـمـوه بهـدُ
نصيبكم من كلّ ما شـيـدتموه النكـدُ
تتركوها، تـأرمنوا تنكلـزوا، تهنّـدوا
أولاً فإنّ عرضكم ومـالكم مهـدُ
قد أكلت نتاج أقوامي أناسٌ جـدُ
أخو الشعور في العراق ضائعٌ مضطهدُ
يحتّ من فؤاده ما لا يحتّ المبردُ

النجف عام ١٩٢١

الثورة العراقية

لعلّ الذي ولّى من الدهر راجعُ فلا عيش إن لم تبقَ إلّا المطامعُ
غروُرٌ يُمنيّنا الحياةَ: وصفوها سرابٌ وجناتُ الأمانِ بلاقعُ
نسرّ بزهو من حياة كذوبة كما افتّر عن ثغر المحب مخادعُ
هو الدهرُ قارعه يصاحبك صفوه فما صاحب الأيام إلا المُقارعُ

الى مَ التواني في الحياة وقد قضى على المتواني الموتَ هذا التنازعُ
ألم تر أنّ الدهرَ صنفان أهله أخو بطنه ممّا يُعد وجائعُ
إذا أنت لم تأكل أكلت، وذلةٌ عليك بأن تُنسى وغيرك شائعُ
تحدّث أوضاع العراقِ بنهضةٍ ترددها أسواقه والشوارعُ
وصرخةٌ أغيارٍ لإنهاض شعبهم وإنعاشه تستك منها المسامعُ

لنا فيك يا نشء العراقِ رغائبٌ أيسعف فيها دهرنا أم يُمانعُ
ستأتيك يا طفلَ العراقِ قصائدي وتعرفُ فحواهن إذ أنت يافعُ
ستعرف ما معنى الشعورِ وكم جنتُ لنا موجعاتِ القلبِ هذه المقاطعُ
بني الوطن المستلفت العينَ حسنةً أباطحُه فينانةٌ والمتالعُ
يروّي ثراه ((الرافدان)) وتزدهي حقولٌ على جنبيهما ومزارعُ
تغذيه أنفاسُ النسيمِ عليلةً تُذيع شذاهن الجبالُ الفوارعُ
أأسلمتموه وهو عقدٌ مضنةٌ يُناضل عن أمثاله ويُدافعُ؟
وقد خبروني أنّ في الشرقِ وحدةً كنائسه تُدعو فتبكي الجوامعُ
وقد خبروني أنّ للعربِ نهضةً بشائرٌ قد لاحت لها وطلائعُ
وقد خبروني أنّ مصرَ بعزمها تُناضل عن حقِّ لها وتدافعُ

وقد خبروني أنّ في الهند جذوةً تُهاب إذا لم يمنع الشرّ مانعُ
هبوا أنّ هذا الشرق كان وديعةً ((فلا بدّ يوماً أن تُردّ الودائعُ))

ويومٍ نضت فيه الخمول غطارفُ يُصان الحمى فيهم وتحمى المطالعُ
تشوّقهم للعزّ نهضةً ثائرٍ حينَ ظمأ أسلمتها المشارعُ
هم افترشوا خدّ الذليل وأوطئت لأقدامهم تلك الخدود الضوارعُ
لقد عظموا قدراً وبطشاً وإنما على قدر أهليها تكون الوقائعُ
وما ضرّهم نبو السيوف وعندهم عزائم من قبل السيوف قواطعُ
إذا استكروها طعم الممات فأبطأوا أتيع لهم ذكرُ الخلود فسارعوا

وفي الكوفة الحمراء جاشت مراجلُ من الموت لم تهدأ وهاجت زعازعُ
أديرت كؤوس من دماء بريئة عليها من الدمع المذالِ فواقعُ
هم أنكأوا قرحاً فأعيت أسائه وهم أوسعوا خرقاً فأعوز راقعُ
بكلّ مُشبٍّ للوغى يهتدى به كما لاح نجمٌ في الدُجنة ساطعُ
ومما دهاني والقلوب ذواهلُ هناك وطيرُ الموتِ جاثٍ وواقعُ
وقد سدّت الأفق العجاجة والتقت جحافلٌ يحدوها الردى وقطائعُ
وقد بُحّ صوتُ الحقّ فيها فلم يكن ليسمع إلا ما تقول المدافعُ

كمي مشى بين الكُماة وحوله نجومٌ بليل من عجاج طوالع^(١)
يُعلمهم فوزَ الأماني ولم تكن لتجهله لكن ليزدادَ طامعُ
وما كان حبُّ الثورة اقتاد جمعهم إلى الموت لو لا أن تخيبَ الذرائعُ
هم استسلموا للموت، والموتُ جارفٌ وهم عرضوا للسيف، والسيفُ قاطعُ

بباخرة فيها الحديدُ معاقلٌ تقيها وأشباح المنايا مدارعُ^(٢)
وإن أنس لا أنس ((الفرات)) وموقفاً به مثلت ظُلمَ النفوس الفظائعُ
غداة تجلّى الموتُ في غير زيه وليس كراءٍ في التهيب سامعُ
تسيرٌ وألحاظُ البروقِ شواخصُ إليها وأمواجُ البحارِ توابعُ
تراها يوم السلم في الحسنِ جنةً بها زُخرفت للناظرين البدائعُ
على أمتها والغدرُ ملءٌ ضلوعها على النار منها قد طوين الأضالعُ
مدرعةً الأطرافِ تحمي حصونها كما بطّيات الحديد دوارعُ

ألا لا تشل كفّ رمتها بثاقب حشته المنايا فهو بالموت ناقعُ
من اللائي لا يعرفنَ للروح قيمةً سواءً لديها شيبٌ ورضائعُ
فواتكُ كم ميّلتن من قدرٍ معجبٍ كما ميّلت الخدَّ المصعّرَ صافعُ

(١) الكمي المفرد هنا يتضمن رمزا عاما للكُماة الوطنيين من الثوار، ويريد الشاعر كل كمي منهم وكل

شجاع وكل قائد منهم ونص في طبعة سابقة على أن الكمي هو عبد الواحد الحاج سكر.

(٢) هي الباخرة التي رست في الكوفة إبان الثورة لمحاربة الثوار هناك وكانت على أعظم أهبة

واستعداد وقد أضرت ما شاءت بالأهالي وكان آخر أمرها ان دُمرت بأيدي الثوار المدافعين الذين

نسفوها بالقذائف.

أَتَتْهَا فَلَمْ تَمْنَعْ رَدَّهَا حَصَوْنَهَا وَلَيْسَ مِنَ الْمَوْتِ الْمُحْتَمُّ دَافِعُ
هَنَالِكَ لَوْ شَاهَدَتْهَا حِينَ نُكِّسَتْ كَمَا خَرَّ يَهُوَى لِلْعِبَادَةِ رَاكِعُ
هُوَ فَهُوَ حَسَنٌ وَظَلَمٌ تَمَازَجَا بِهَا وَانْطَوَى مَرَأَى مَرْوَعٌ وَرَائِعُ
فَإِنْ ذَهَبَتْ طَيِّ الرِّيحِ جَهْوْدُنَا فَعَرَضُكَ يَا أَبْنَاءَ يَعْزَبُ نَاصِعُ
ثَبَّتْ وَحَسَبُ الْمَرْءِ فَخْرًا ثَبَاتُهُ ((كَمَا ثَبَّتَتْ فِي الرَّاحَتَيْنِ الْأَصَابِعُ))

وَمَحِيٍّ لِلَّيْلِ التَّمُّ يَحْمِي بِطَرْفِهِ ثَغُورًا أَضَاعَتْهَا الْعَيُونُ الْهَوَاجِعُ^(١)
تَكَادُ إِذَا مَا طَالَعَ الشَّهْبَ هَيْبَةً تَخَرُّ لِمَرَّاهِ النَّجُومُ الطَّوَالِعُ
مَدْبَرٌ رَأَى كَلَّفَ الدَّهْرَ هَمَّهُ فَنَاءَ بِمَا أَعْيَابُهُ وَهُوَ ظَالِعُ
مَهِيْبٌ إِذَا رَامَ الْبِلَادَ بِلَفْظَةٍ تَدَانَتْ لَهُ أَطْرَافُهُنَّ الشَّوَاسِعُ
((يَنَامُ بِإِحْدَى مَقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْأَعَادِي فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ))
يَحْفَ بِهِ كُلُّ ابْنِ هَمٍّ إِذَا رَنَا إِلَى الْحَيِّ رَدَّتْ مَقْلَتَيْهِ الْمَدَامِعُ
يَرَى أَيْنَمَا جَالَ اللَّحَاطُ مَهَاجِمًا يَصُولُ وَمَا فِي الْحَيِّ عَنْهُ مَدَافِعُ
تَثُورُ بِهِ لِلْمَوْتِ نَفْسٌ أَبْيَةُ وَتَأْبَى سِوَى عَادَاتِهِنَّ الطَّبَائِعُ
يَطَارِحُهُ وَقَعَ السِّیُوفُ إِذَا مَشَى كَمَا طَارَحَ الْمُشْتَاقُ فِي الْأَيْكَ سَاجِعُ

وَقَدْ رَاعَنِي حَوْلَ الْفِرَاتِ مَنَازِلُ تَخْلِينَ عَنْ أَلْفِهَا وَمَرَابِعُ
دَوَائِرُ مِنْ بَعْدِ الْأَنْبَسِ تَوْحِشَتْ وَكُلُّ مَقَامٍ بَعْدَ أَهْلِيهِ ضَائِعُ
جَرَى ثَائِرًا مَاءُ الْفِرَاتِ فَمَا وَنَى عَنْ الْعِزْمِ يَوْمًا مُوجُّهُ الْمَتَدَافِعُ
حَرَامٌ عَلَيْكُمْ وَرَدُّهُ مَا تَزَاحَمَتْ عَلَى سَفْحِهِ تِلْكَ الْوُحُوشُ الْكُورَاعُ

(١) هو زعيم الثورة الديني وموري شرارتها الأولى المرحوم العلامة الشيخ محمد تقي الشيرازي.

هَمْ وَجَدُوا حَوْلَ الْفِرَاتِ أَمَانِيَا لَطَافاً أَضَلَّتْهَا نُفُوسٌ نَوَازِعُ
وَلَوْ قَدْ أَمَدَّتْهُ السِّیُوفُ بِحَدِّهَا لَغَصَّ بِمَوَارٍ مِنَ الدَّمِ كَارِعُ
وَمَهْرُ الْمَنَى سَوَّقٌ مِنَ الْمَوْتِ حَرَّةٌ بِهَا يَرْخَصُ النَّفْسَ الْعَزِيزَةَ بَائِعُ
فَلَا تَوْحِدُوهُ إِنَّهُ يَسْتَمِدُّكُمْ بِأَنْفَاسِهِ تِيَارُهُ الْمُتَتَابِعُ

عَلَى أَيِّ عَذْرٍ تَحْمِلُونَ وَقَدْ نَهَتْ قَوَانِينُكُمْ عَنْ فَعْلِكُمْ وَالشَّرَائِعُ
عَلَى رُغْمِ رُوحِ الطَّهْرِ عَيْسَى أَذَلْتُمْ بَرَاءَ دِمَاءٍ هَوَّنَتْهَا الْفِظَائِعُ
فِيَا وَطَنِي إِنْ لَمْ يَحْنِ رَدُّ فَائِتٍ عَلَيْكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ مَاضٍ وَرَاجِعُ
وَأَحْلَامُنَا مِنْهَا صَحِيحٌ وَكَاذِبٌ وَأَيَّامُنَا مِنْهُمْ مَعْطٍ وَمَانِعُ
كَمَا فَرَّقَ الشَّمْلَ الْمُجْمَعُ حَادِثٌ فَقَدْ يَجْمَعُ الشَّمْلَ الْمَفْرَقَ جَامِعُ
وَمَا طَالَ عَصْرُ الظُّلْمِ إِلَّا لِلْحَكْمَةِ تُنْبِئُ أَنْ لَا بَدَّ تَدْنُو الْمَصَارِعُ

النجف عام ١٩٢١

الليل والشاعر(*)

وليلي به نَمّ السنا عن سدوفه فنمت بما تطوى عليه الأضالعُ
تلامعُ في عرض الأثير نجوّمه كأنّ الدجى صدرٌ وهن مطامعُ
رعتُ به الآمال والنسر طائرٌ إلى أن تبدّى الفجر والنسر واقعُ
خليلانٍ مذهبولانٍ من هيبة الدجى تُطالعني من أفقها وأطالعُ
سجّة مطوي الضلوع على الأسى متى يَرُم السلوى تعقه المدامعُ
صريعُ أمانٍ لم يقربه جاذب لما يرتجى إلا وأقصاه دافعُ
عمى لعيون الهاجعين وأسلموا لحرّ الأسى جنباً قلته المضاجعُ
أفي العدل صدرٌ لم تضيق عنه أضلعُ تضيقُ به ستّ الجهات الشواسعُ

النجف عام ١٩٢١

(*) هذه قطعة مستلة من قصيدة الثورة العراقية ارتأى الشاعر نشرها منفصلة لتحافظ على وحدة الموضوع، وكان مكانها بعد البيت:

أأسلمتموه وهو عقد مضنة يُناضل عن أمثاله ويدافع

الشاعر المقبور

دعا الموت فاستحلت لديه سرائره
عراه سكوت فاسترابت عدائه
وحيداً يحامي عن مبادئه جمّة
تفرّد بالشكوى فأسعده البكا
يهمُّ بيتُ النجم سراً فينشئ
وتُنطقه الشكوى فيُخرسه الأسى
يروم مُحالاً أن يرى عيش ماجد
فؤادي وإن ضاق الفضا عنه فسحة
فؤادي وكم فيه انطوت لي سريرة
سيحمل همّي عند منزل وحدتي
فيا طيرُ لا تسجع، ويا ريحُ سكّني
ويا منزلَ الأجداث رحمة مُشفق
ويا بدرُ من سامرته وجدك انقضى
عساك إذا ضاقت بصدرك فرجة
ويا خلة الباكي عليه تصنعاً
تحمل ما ينأى فشاطره الردى
ويا غاضباً قلبي لترقيق حرّه
أخو موردٍ ضاقت عليه مصادره
وما هو إلا شاعرٌ كلّ خاطره
أما في البرايا منصفٌ فيوازره
لقد ذلّ مَنْ فيض المدامع ناصره
كأن رقيماً في الدراري يحاذره
فيسكتُ لحيه إذا جدّ عاذره
أوائله محمودّة وأواخره
فلا بدّ أن تحويه يوماً مقابره
عظيماً أرى يبلى وتبلى سرائره
وتصبح آمالي طوتها ضمائره
هبوباً على جسمي ليسكن ثائره
عليه ففيك اليوم قرّت نواظره
فمن لك بعد اليوم خلّ تسامره؟
تُطالعّه في رسمه فتذاكره
ألم تكّ قبل اليوم ممن يغايره؟
فما ضرّ لو كنت الرزايا تشاطره
سراحاً فقد دارت عليه دوائره

دعا بك يستشفي فأغضيت فانطوى وما فيه إلا الهجر داءٌ يخامر
أمن بعد ما وسدته بتّ جازعاً إذا مات مهجوراً فلا رقّ هاجر
فيا ظلمة الآمال عني تقشعي فقد تتجلى عن فؤادي دياجره

النجف عام ١٩٢١

شكوى وآمال

أُعاتِبُ فيكَ الدهرَ لو كان يسمعُ وأشكو الليالي، لو لشكواي تسمعُ
أكلُ زماني فيك همٌّ ولوعةٌ وكلُّ نصيبي منك قلبٌ مروّعُ
ولي زفرةٌ لا يُوسع القلبَ ردُّها وكيف وتيارُ الأسى يتدفعُ
أغرَّكَ منِّي في الرزايا تجلّدي ولم تدر ما يُخفي الفؤادُ الملوّعُ
خليلي قد شَفَّ السُّها فرطُ سهدها فهل للسُّها مثلي فؤادٌ وأضلعُ
كأنِّي وقد رمتُ المواساةَ في الوري أخو ظمأ منّاه بالورد بلقعُ
كأنّ ولايةَ الأمر في الأرض حرّمت سياستهم أن يجمع الحرّ مجمعُ
كأنّ الدراري حُمِلت ما أبّته إلى الليل من شكوى الأسى فهي ضلّعُ
كأنّ بلاد الحرّ سجنٌ لمجرم وما جُرمه إلّا العلى والترفعُ
ستحملني من مسكن الدُّل عزمةٌ بوطأتها السبعُ السوائرُ تخشعُ
تجنّبي من كنتُ في الخطب ضلّةً بإسعافه دون البرية أطمعُ
أرى لك في هذا التورّع مقصداً وإلّا فما ضبُّ الفلا والتورّعُ
تلفعت بالتقوى وثوبك غيره فله ذياك الضلالُ الملقعُ
لعلّ زماناً ضيعتني صروفه يرقُّ فيرعى فيه قدرٌ مضيعُ
وَحِلاً أساء الظنَّ بي إن بدت له حقيقةً ما أخفي عن الشر، يقلعُ

إليك زماني خذ حياةً سئمتُها هي السُّم في ذوب الحشاشة ينقُ
ولائي وإن كنتُ القليلَ مُحائِثه في مبدأ عنه أحمي وأدفعُ
ولو أنني أُعجلتُ خيفتُ بوادري ولكن صبرَ الحُرِّ للحُرِّ أنفعُ

النجف عام ١٩٢١

صبحو بعد سكر

إنَّ عنَّ في جُنح الدُّجى بارقُ الحمى طويتَ على الشوقِ الفؤادَ المتيمًا
 وباتت تُعانيها ضلوعُك جذوةً تضيءُ إذا ما طارِقُ الوجدِ أظلمًا
 جهدتَ فلم تملكِ مع الحبِّ مهجةً بهامٍ يصحَّ الشوقُ الا لتسقمًا
 تودُّ- وفيه الحزمُ- لو كنتَ بالحشا ضنيناً ويأبى الحبُّ ألا تكرماً
 سلوتُ الهوى فليرددِ النومَ سالبٌ فجفني لم يُخلق لكيلاً يهوماً
 فما أنا من ريم الحمى بمكانةٍ تهوّن من قدري لديه ليكرماً
 ولا أنا ممن يقتفي الجهلَ كاشفاً فؤادي مرمى للغواني مُرجماً
 ومالي وسلسالٍ بخدٍ مرقري نصيبي منه لوعةٌ تُورث الظما
 قلى لك يا ظبي الصريم وللهوى فذاك زمانٌ كان، ثمَّ تصرّماً
 بمثل الذي راشت لحاظك للحشا رماني زمانى لا عفا الله عنكما
 وما فيك يا عرش الشباب مزيّةً على الشيب إلا السيرُ فيك على عمى
 سلمتَ وقد أسلمتني بيد الأسى كأني إلى الموت اتخذتك سُلماً

خليلي هل كان السُّها قبلُ واجداً خفوقَ الحشا أم من فؤادي تعلماً؟
 وهل بحمام الأيك ما بي من الأسى شكاً فتغنّى، واستراب فجمعما
 أظنك ما رنمت إلا تجلداً وإن قال أقوامٌ سلا فترنما
 وما ذاك من ظلم الطبيعة أن تُرى شجياً، ولكن كي ترى الحزنَ مثلما
 ولم تُبكك الأزهارُ وجداً وإنما نثرتَ عليهن الجُمانَ المنظماً
 فَنَحْ يَنحُ القلبُ المعنى فلنما أقام علينا الليلُ بالحزنَ مأتماً
 وبُخ لي بأسرار الغرامِ فرحةً بأهل الهوى غنى مُغنٍ ونغماً

ولا تحذر الشُّهَبَ الدراري فلم يدع لها بَرَحُ الشَّهْبِ قَلْباً لتعلما
ومنك تعلّمتُ القريضَ منمنماً فحقّ بأن أهديك شكري منمنما
فلا تبتئس إن آلمتك حوادثُ فان قُصارى الحرّ أن يتألما
أفي كلّ يوم للحواسد جولةً أرى مُقدِّماً فيها الذي كان مُحجماً
كأن لم أسر من مقولي في كتيبةٍ ولا حملتُ كَفِّي اليراع المصمماً
ولا كان لي البدرُ المعلى مسامراً وإن كنتُ أعلى منه قدراً وأكرماً

النجف عام ١٩٢١

منى شاعر

حمامة أيك الروض مالي ومالك دُعرت، فهل ظُلم البرية هالك
نفرت وقد حقّ النفور لأنني مجسّم أحزان وقفتُ حيالك
ولولا جناح طار عن موقع الأسى لكان قريباً من منالي منالك
أعندك علمٌ أنني من معاشر أبوهم جنى واختار أدنى المسالك
رمّاهم إلى شرّ المهالك آدم فهم أبرياءُ حمّلوا وزرَ هالك
هلمّي هلمّي إنّ هاتيك نسبةً تقرب ما بيني وبين الملائك

ألسنا وإن كُنّا شتاتاً يضمّنا أسانا وإن لم تُمسِ حالي كحالك
ألفتِ الرياض الزهرَ يسّم ثغرها وما ألفتني غيرُ الوجوه الحوالك
هزجت فنظمتِ الدموعَ قلائداً فليت مثلاً كان لي من مثالك
بعيشك كم غنى مثلك طائرٌ وكم نائح مثلي ثوى في ظلالك
تقولين: خلقٌ ليس يدري سوى العنا عجيبٌ.. فمن أنباك أني كذلك
رأيتك قبلت الغدير لأنّه على صفحته لاح مرأى خيالك
وداعبت فيه البدرَ فانصاع مُذعراً يموج ارتجافاً خشيةً من جلالك
فقلت مطاراً أمة الشرق هكذا تملك الأطيّارُ أعلى الممالك

تباكوا وقالوا: الشرق مال دعائمه وهل دُعِمّ قامت بغير التماسك!
وقالوا: هي الدنيا عراقك، رويدكم فإنّنا ضعافٌ مالنا والتهالك
نصحنا ولا يُجدي وكم قبل رُدّدت بمثل مقالٍ صحفهم ومقالك

سألتك ما معنى وجود مكوّن
وهل هذه الدنيا سبيلٌ لعبير
وإني أُراني بين نومٍ ويقظةٍ
أجيبني فلي صوتٌ يقطعهُ الأسى
فردّت وأورت مثلَ زنديقٍ قاذحٍ
وقالت: نعم في ذلك السرّ حكمةٌ
إذا لم تكن عقباه غيرَ المهالكِ
أم الأرضُ مهواةٌ الغُواة الهوالِكِ
أسيّان حالي في هُنا أو هنالكِ
فقد لُدَّ للقلب المعنّى سؤالكِ
خواطرٌ يسمو وقعُها عن مداركي
فقلت: وما شكّكت في غير ذلك!

وبتنا كما شاءت أخوةُ جنسنا
درسنا كتابَ العاطفاتِ وما اعتنّت
إلى أن بدا وجهُ الطبيعة سافراً
وقد شرّدت فكري هنالك ضجّةٌ
إذا ما السما كانت دُخاناً كما ادعوا
هناك شكرتُ الطيرَ رافّةً مشفقٍ
مُنَى خالجتُ نفسي وأحبب بها مُنى
فقلتُ إلى اللقياس سلامَ مُودّعٍ
خليلين أصفى من ((عقيلٍ)) و((مالكٍ))
بنو نوعنا إلّا بدرس التفارِكِ
يُضحك عن ثغر الأقاح المُضحكِ
لأطيّارها تدعو بنبذِ التفاكِكِ
فليس سوى أنفاسِ أهل الحسائِكِ^(١)
على جنسه شأنَ الحزين المشارِكِ
تُريني حياتي فوق شُهب النيازِكِ
هنالك عيشُ الخالدين هنالك

النجف، عام ١٩٢١

(١) الحسائِك: جمع الحسيكة وهي الحقد.

في الليل

وليلٍ دَجُوجيٍّ الحواشي سَعَرَتْهُ بنار الأسى بين الجوانح فاستعُرُ
نَشَرْتُ به الآمال وهي هَواجِسُ بعقد الثريا لو غدا مثلها انتشر
وردد لي همسُ الطبيعة نغمَةً من الشعر ما كانت سوى خاطرٍ خطرُ

أعرتُ الدراري فكرةً تبعث الأسى إلى القلب شأنَ الناظرين ذوي الفكرِ
شكوتُ إلى البدر الهوى شأنَ من مضى قبيلي فلم أسكت ولا نطق القمرِ
بثتُ إليه آتةً تُوهن الصفا فلما تغاضى صحَّ لي أنه حجرُ

النجف عام ١٩٢١

مبادلة العواطف (*)

يا أخا البلبِلِ رفقاً هجتي لي وجداً وذكراً
لُمتَ في أمري ولو أسطيعُ ما أخفيتُ أمراً
أنت لو تعلمُ ما يُلهب نفسي قلتَ عذراً
كان لي سرٌّ ولكـنْ بك قد أصبح جهراً
قد طويتُ الحزنَ أزماناً فخذ هذه اليوم نشرها

أنا ما غرّدتُ لو أني رضيتُ العيشَ أسراً
أنا ما جُلججتُ في أغنيتي لو كنتُ حُرّاً
أنا أخشى النفعَ إن جاهرْتُ فيه كان ضراً
غالط الوجد وسَلَّ القلبَ وادعُ الحزنَ شعراً
فأنا ذاك الفتى يطلبُ بعد ((الخمرة)) ((أمرأ))
وسيدولك ما تهواه من أمري.. فصبراً
النجف عام ١٩٢١

(*) رداً على تحية شعرية لمحمد الهاشمي مطلعها:

أيها البلبِلِ غرّد وانظم الآلام شعراً

يا شعب

زعموا التطرّف في هواك جهالةً أكذا يكون الجاهل المتطرّف
هذا فرّادي للخطوب دريئةً وأنا المعرّض فيكم فاستهدفوا^(١)
أمّا هواك فذاك ملءٌ جوانحي تحنو على ذكراك فيه وتكلف^(٢)
يا شعرنمّ على الشعور فكم وكم نمّت على زمر العواطف أحرفُ

النجف عام ١٩٢١

(١) الدريئة: هدف، وهي في الأصل الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها. واستهدفوا يقصد انخذوني

هدفاً لرميكم.

(٢) تكلف: تولع.

بين القلب والاستقلال

وهو اجس في الليل رامت حملها شهب فعثن بشملها المجموع
ما أنصفت فيه الطبيعة صبها لآدعا للشوق غير سميع
أبت الجوانح أن تقّر، فمن يطق ملكاً فلسْتُ بمالك لضلوعي
حبّ الرجوع إلى الشباب ولم أجد في مُره ما يُرتجى لرجوع
بين الأضالع صخرة لكنّها مما جنى الأحباب ذاتُ صُدوع
قلبٌ عليه تحالفت زمر الهوى فمنيعة للذلّ غير منيع
قالوا استقل عن الهموم فقلت لا فهو التبيع لظالم متبوع

النجف عام ١٩٢١

فطار الحمام

يا شعبُ كم في القلب من لوعةٍ عليك تغلي يا مُهيجَ الغرامِ
شكوتَ عيشاً خلتهُ وصمةٌ وحبذا عيشُك لو كان دامَ
تزاحمتُ فيك أمانِي الوريِّ ((والمورد العذبُ كثيرُ الزحامِ))
هم نصبوا للصيد أشراكهم فلم يجذبُ بدءاً، فطار الحمام
حنّت قلوبٌ لك شوقتها يا معهدَ الشوق سقاك الغمام
إن نجحتُ فيك أمانٍ لنا فهي، وإلا فعليك السلام

النجف عام ١٩٢١

يا يراعَ الحرِّ

أيّها الطالبُ إنصافاً لقد رُميتَ مُحالاً
أنت مثلي عاطشٌ غرّك إذ أبصرتَ آلا
كاذبٌ مانالٌ شعبٌ بسوى القوّة نالا

يا يراعَ الحرِّ قد ضاق بك الحرُّ مجالاً
فصموتاً فلكم جرّ لك النطقُ وبالا
واعتزالا أو يكون الحقّ حرّاً فاعتزالا

يا أخا البلبّل شدوا وشعوراً واعتقالاً
كلّنا يدري الذي تلقى كفيناك مقالاً
لم تطل دولة هذا الظلم إلّا لتُدالا

عثرةٌ يا شعبُ كانت أحرامٌ أن تُقالا
ألى الأحرار تشكّو وهُم أسوأ حالاً
تهت لما أخذوها فكرةً كانت ذبّالا

النجف عام ١٩٢١

جناية الأمانى

جلبت لي الهَمَّ والهَمُّ عنا آه ما أروحني لولا المنى
 آه ما أخيني من غارسٍ شجرَ الآمالِ لكن ما جنى
 كلما حدثت عن نجمٍ بدا حدثتني النفسُ أن ذاك أنا
 أملُّ أخشى عليه زمني فلو اسطعتُ أطلتُ الزمنا
 لا تذكرني هنا يشجو الحشا ذكره إني ألفتُ الشجنا
 إنما أشكو حياةَ كلِّها تبعاتُ كنتُ عنها في غنى
 لا تخله في هناءٍ ظاهرٍ كلَّ من في الأرض لا يدري هنا
 غرَّد الطير فقالوا: مسعدٌ رُبَّ نوح خاله الغرُّ غنا
 وانشى الغصنُ ولولا أنه حاملٌ ما لم يُطقه ما انشى
 أترى الأنجمَ طُراً تشتكي ذاء، أم الآلام خَصَّتْ نجمنا؟
 بات يرعى الشَّهبَ مُضْنَى جالباً سهرأ راق له وهو ضنى
 أترى استجليتَ منها غامضاً أنت يا من بالدراري افتتنا
 آه ما أهباك يا ليلُ على ظُلمةٍ فيك وما أجلى سنا!
 أترى مرتهاً بات بك الـ بذرُ أم بتَّ به مرتها
 قومنٌ أنت إذا لم تهووه فيه سرَّك أضحى علنا
 كم فؤادٍ فيك مطويٍّ على حُرِّ من غير ما ذنبٍ جنى
 ومُعْنَى أزعج الشَّهبَ له حرُّ أنفاسٍ فرادى وثنى
 فعلى الرفقِ فما أبقى الأسى أملاً يُجدي على الرفقِ بنا

أنا حملتُك يا طيرُ الأسى أنا حتَّى عُدتُ منه الكنا

تلك أثقالُ المنى شاطرُني حملها أنت فأسديك الشا
أنت مثلي شاعرٌ مُعتزلٌ يتغنى كي يُميل الغصنا
أنت لا تطلب ما لا ينبغي فدع الألقاب عنا والكُنَى
أنت يا آمالُ قد عاهدتني بالوفا لا، لا تخوني عهدنا
غنني باسم عراقِي تُشجني واترك الشام واخلّ اليمنا
لا أرى لي بدلاً عنه وقد عذبَ الوردُ وطابَ المجتنى
أترى يُغنيك عنه وطنٌ أنت يا من خان هذا الوطننا
لم تبغ شعبك لو أنصفته فمن الشعب قبضت الثمنا
خلفَ المجدَ لنا من سلفوا أفيخزي عارُنا من بعدنا

النجف عام ١٩٢١

بين الأحبة والبدر

لئن شكر الصبح المحبون إنني شكرت الدجى إذ كان ما بيننا سترًا
وليل رثى لي والأحبة نؤم له مقلّة بالشهب من لوعتي عبرى
بكيت فَرَقَ النجم لي وهو صخرة إلى أن جرت منه مجرته نهرًا
ومالي صدرٌ ينفث الهم زفرة ولكنّه الهم الذي ينفث الصدرًا
خليلي ما اخترت الدراري لو أنني وجدت بكم من يحفظ العهد والسرًا
وما أهون الآلام لو كان سرّها يباح ولكن أحمل الوجد والصبرا
على البدر من غدر الأحبة مسحة فكل قسا قلباً وضاحكني ثغرا

النجف عام ١٩٢١

بلية القلب الحساس

تلبّد لكنّ ما حكاؤه غمامٌ وناحَ ولكن أين منه حمامٌ
ألا ليت إحساساً وسلوى تجمّعا وكيف، وهل يُلفى سنى وظلامٌ؟
فمن أين للحساس قلبٌ يريحه ومن أين للقلب الغبيّ غرامٌ؟
أكلٌ نسيمٍ للأسى هبّ زعزعٌ وكلّ ضبابٍ للهموم قتامٌ؟
تطلبُ دقيقاتِ الأمورِ تفزُّ بها وخلّ التي تنوي فتلك جسامٌ

النجف عام ١٩٢١

بين النجف وأمريكا^(*)

أمريكُ يا بنتَ ((كولبس)) حُبِّك وقعَ على الأنفَسِ
صَبوتُ إليك وأين الفراتُ وأهلوه من بحرك الأطلَسِ
حنَّنا ولو كان في وسعنا سَعينا إليك على الأروِسِ
إذا آنس الصبَّ ذكرُ الحبيبِ ففي غير ذكرك لم آنسِ
هواجس تُدني إليك المنى ولولا المنى قطُّ لم أهجسِ
وإنِّي وما بي حبُّ الصخورِ أحنُّ إلى صخرِك الأملَسِ
هوى لو بشُهب الدراري صَبَّتْ ولو بالعواصف لم تهمسِ
إذا كان من ثمرٍ للمنى ففي غير أرضك لم يُغرسِ
وكم قائلٍ ما اصطلى في الهوى بناري وقد غرَّه ملمسي
أليس سواها نفيسٌ يرام فقلتُ: هوائي مع الأنفَسِ
أحباي حتَّى م يصبو لكم مَعِيْفٌ ويذكركم من نُسي^(١)
ألا هل أتاكم بأنِّي متى تَدُرُ كأسُ حبِّكم أحسنِ
وإنِّي كالليل بادي الهموم وإنِّي كالنجم لم أنعَسِ
ولي قلبٌ حرَّ عصي الزمام فإن راضه حبُّكم يسلسِ

(*) ضمن رسالة بعث بها إلى صديق مهاجر إلى أمريكا.

(١) مَعِيْفٌ - في طبعة بغداد الأخيرة - معاف، وقد نبه عليها الشارحون.

وكم ليلة بُتُّ في عَزْلَةٍ ومن طيب ذكراكم مجلسي

وبلدة ذُلُّ تُمِيتُ الشعور فمنطقُها الحرُّ كالأخرسِ
أحبُّ بلادي لو لم أخفُ بها شرَّ ذي الغدرة الأشرسِ
يجاذبُ قلبي إليها الهوى ويأبى المقامَ بها مَعْطِسي
جفوني ولا ذنب إلا الإباءَ وإن طاب من بينهم مغرسي
وقالوا تناسى ولا حَنَّةٌ وهل بلبلٌ حنٌّ للمحبسِ؟

النجف عام ١٩٢١

ابن الشام

أسفاً تبيّت رباك وهي مَدَرَةٌ للرزق، رهنَ الفقر والإملاقِ
خدعوك إذ سموا قيودك حِلِيَّةً ما أشبه الأصفاد بالأطواقِ
لك في العراق جوانحٌ ملهوفةٌ تشكو الذي تشكينه وتُلاقِي
إني شامي إذا نُسِبَ الهوى وإذا نُسِبْتُ لموطني فعراقي
ويُذيع منك البرقُ كامنَ لوعتي فيدي على قلبي من الإشفاقِ

رقت طباعُ بنيك فهي إذا انبرت سالت كصفو نميرك الرقراقِ
كم في الجوانح لي إليهم زفرةٌ كمنتُ ليوم تزاور وتلاقي
ورسائلٍ برقية مهزوزة أسلاكها من قلبي الخفاقِ
أما الهوى فدليله شَرقي متى ذكروا رُباك بدمعي المهراقِ
أرقت أجفاني فلوراودتها غمضاً لما طاعن في الإطباقِ
قالوا: دمشق، فقلتُ: غانية الربي قالوا: لذاك تطاولُ الأعناقِ

ابن الشام سلام صبٍّ واجدٍ يُهدي إليكم أكرم الأَعلاقِ
يهفو إليكم لوعة لا مُدعى ما أهون الدعوى على العُشاقِ

أنا ما بكيْتُ الشعرَ ذُلَّ وإنَّما أبكي الشعورَ يُباع في الأسواقِ
أنا للتجاذب نقطةٌ إن سرّني لقياكم ساء العراقُ فراقِي
ما كان أصفى ما أسأل من الهوى هذا اليراعُ بهذه الأوراقِ

النجف عام ١٩٢١

ذكرت الوثام

وليلٍ ذكرتُ به صبوتي فعدتُ إلى الزمنِ الأولِ
تجردتُ عن تبعاتِ الجدود وبتُّ عن الغيرِ في معزلي
قستُ شُهْبَهُ عن شكاةِ الهوى وحدقن شِزرًا ولم تحفلي
أبتُ لها همَّ عصرٍ مضى فتبسُّمُ عن عصري المقبلِ
سهرنا وشتانَ ما بيننا وأين من المستهامِ الخلي!
أمانٍ تسامتُ فمن أجلها حياتي، وفي شرحها مجملي
وأنست في جُنْحِهِ وَخَدَتِي فبتُّ كَأَنِّي في محفلي
سكونُ الدجى وجلالُ الغرامِ جناحانٍ للشاعرِ الأعزلي

وعاذلةٍ في الهوى لو درتُ بحالِ المحبِّين لم تعذلي
(ذكرت الوئام) فمن عَبرة تسيل ومن زفرة تعتلي
كألك جرَّ عليك الفناء أخا القرد ليتك لم تكمل
كأن الدنيا خصَّ في واحد فكلَّ يقول الذي فيه لي

وهاتفة راعها مقدمي فلاذت بأغصانها الميلى
أيا ورقٌ لا تُذعري، إننا شربنا العواطف من منهلي
ولا تُنفري سانحاتِ المهامِ أصبتِ الأمانَ على المقتلِ
ويا ليلُ ردِّ صدى من مضى وإن كنتِ يا ليلُ لم تعقلي
فكم بئ مثلي أخو حسرة إليك الغرامَ فلم تحفلي
ويا بدرُ كرَّر حديثَ الشجون فلو لا هوى بك لم تضؤلِ

أيا ليلُ كم فيك من خاطرٍ لذي لوعةٍ بالأسى ممّتي
وكم مقلّةٍ فيك سهرانةٍ وكم غلّةٍ فيك لم تُبللِ
تجلّى بك البدرُ ربُّ الجمال فهام بطلعته المّجّتي
أيا ليلُ هام بك المّغرمون لما فيك من عالمٍ أمثلِ
فراشاً بجُنْحِكَ حاموا على سنا البدر ينزل أو يعتلي
على رغدٍ أيّها النائمون فجفّني بالغمض لم يُكحلِ
ويا ليلُ رُحماك يا ذا الجلال ويا بدرُ عطفاً فأنت العليّ

النجف عام ١٩٢١

ما هذه النفوس قداح

قَلِيَّ لَكَ يَا عَصْرَ الشَّبِيَّةِ وَالصَّبَا فَإِنَّكَ مَغْدِيٌّ لِلْأَسَى وَمِرَاحُ^(١)
صَحْبَتُكَ مَرَّ الْعَيْشِ لَا الرَوْضِ يَانِعُ لَدَيْ وَلَا الْمَاءِ الْقَرَّاحُ قَرَّاحُ
تَفِيَّاتُ أَطْلَالِ التَّصَابِي وَإِنَّمَا نَصِييِي مِنْهَا حَسْرَةٌ وَبِرَاحُ
حَشَى أَفْسَحَتْ فِيهِ الْمُنَى خَطَوَاتِهَا فَضَاقَتْ بِهِ الْأَرْجَاءُ وَهِيَ فَسَاحُ
يَقُولُونَ: مَحْصُوصُ الْجَنَاحِ هَفَّتْ بِهِ هُمُومٌ وَمَاذَا يَسْتَطِيعُ جَنَاحُ^(٢)
عَلَى رَسَلِكُمْ إِنَّ اللَّيَالِي قَصِيرَةٌ وَمَا هِيَ إِلَّا غُدُوَّةٌ وَرَوَاحُ

أَحْبَابُنَا تَهْتُمُّ عَلَيْنَا فَلَا الْهَوَى هَوَاكُمُ وَلَا تِلْكَ الْوَجُوهُ صَبَاحُ
تَحَوَّلْتُمْ عَنْ مَرْكَبِ الْحَبِّ وَاسْتَوَى مَشُوبٌ وَدَادٍ عِنْدَكُمْ وَصَرَاحُ
إِلَى مَا انْخَدَاعِي بِالْمُنَى وَهِيَ غَرَّةٌ وَتَرْكِي فِيهَا الْجَدَّ وَهُوَ مُزَاحُ
هُمُومٌ تُرَى فِي كُلِّ حِينٍ بِمَظْهَرٍ سَوَاءً هَدِيلٌ شَائِقٌ وَنُوَاحُ
أَغَاضُ دُمُوعِي أَنَّهُنَّ كَرَائِمٌ وَأَنَّ النُّفُوسَ الْآبِيَاتِ شَحَاحُ
وَمَا أَعْرَبْتُ خَرَسُ الْأَرَاكِ بِلَحْنِهَا عَنِ الْحَبِّ إِلَّا كَيْ يَقَالَ فَصَاحُ

(١) القلي: البغض.

(٢) محصوص: مقصوص، طائر أحص الجناح: قليل ريش الجناح.

لأهل الهوى يا ليلُ فيك سرائرُ عجابٌ وغدرٌ إن يُنمّ صباحُ
رأوا فيك مخضراً الأمانى فعرّسوا بجنحك ما شاء الغرامُ وناحوا^(١)
نغصّ لمراك الجفون وإنّما عيونُ الدراري في دجلك وقاحُ
خروق نجومٍ في سماء تلاوحت كما لاح في جسم الطعين جراحُ
ومرضى قلوبٍ من وعودٍ وخلفها ولم تهو يوماً أنهن صحاحُ
براها الأسى حتى استطار شرارها فرفقاً فما هذي النفوسُ قداحُ

النجف عام ١٩٢١

^(١) عرسوا: نزلوا.

تحية الملك والانتداب

نظمت أثر تصريح ((تشرشل)) وزير المستعمرات البريطانية آنذاك- بوضع العراق تحت الانتداب.

لمن الصفوفُ تحفُّ بالأعجادِ وعلى من التاجُ الملمَّعُ بادِ
 ومن المحلَّى بالجلالِ يزيُّه وقُرُّ الملوكِ وسحنةُ العبادِ
 ليت الرشيدُ يُعاد من بطنِ الثرى ليرى الذي شاهدتُ في بغدادِ
 حيثُ الملوكُ تطلعتُ تواقَّةً لك، والوفودُ روائحُ وغوادي
 وعلى المواكب من جلالِكَ هيبةً غصَّ الصعيدُ بها وماجِ الوادي
 شوالُ جئتُ وأنتُ أكرمُ وافِدِ بالعيدِ تُسعدُ كعبةَ الوفادِ
 أمّا العراقُ فلستُ من أعياده وعليه للأرزاءِ ثوبُ جدادِ
 ملكَ العراقِ هناكَ ملككُ إنَّه وقفُ على سبطِ النبي الهادي
 زفَّ العراقُ إلى علاكِ سلامه ما بين حاضرٍ ربعه والبادي
 يدعوكُ للأمرِ الجليلِ ولم تزل تُرجى ليومِ كريهةٍ وتنادِ
 فكَّ العراقُ من الحمايةِ تحيِّيه وامدد لسوريا يدَ الإسعادِ
 عجباً ترومُ صلاحَ شعبكِ ساسةً بالأمسِ كانوا أصلَ كلِّ فسادِ
 صرَّح لهم بالضد من آمالهم أو لستُ ممن أفصحوا بالضادِ؟
 قم ماشٍ هذا الشعبَ في خطواته لا تتركُنْ وطني بغيرِ سنادِ
 الله خلفك والجدودُ كلاهما وكفَّاك عونُ الله والأجدادِ
 هذه الرقابُ ولم تعود ذلَّةً تشكو إليك نكايةَ الأصفادِ
 علت الوجوه الواضحاتِ كآبةً ومحامِ الذبولِ نضارةَ الأورادِ
 والرافدان تماوجا حتَّى لقد أشفقتُ أن يثبا على الأسدادِ

ولقد شجاني أن ترى في مآتم أم الخلائف مرقداً للأسياء^(١)
سل عن ((تشرشل)) كيف جاذبه الهوى حتى استثار كوامن الأحقاد
هيهات من دون الذي أمّلته وقع السيوف ووثبة الأسد
ومواطن حذبت على استقلالها بالسيف تُرضعه دم الأكباد
يكفيكمو بالأمس ما جرّبتُم فدعوا السيوف تقرُّ في الأغمار
أبني الشعوب المستضامة نهضة تُرضي الجدود فلات حين رقاد
هذا تراث السالفين وديعة لا تُحجلوا الأجداد في الأحفاد

النجف عام ١٩٢١

^(١) أم الخلائف: بغداد.

العلم والوطنية

ألقاها الشاعر في حفل افتتاح مدرسة ((الغري)) في النجف.

يا علمُ قد سعدت بك الأوطانُ فليسمُ منك على المدى سلطانُ
وليسقِ حُبَّيك العراقَ ليشتفي منه الغليلُ ويرتوي الظمآنُ
هذَّبْ لنا أخلاقَ أهليه فقد غشى عليها الجهلُ والعُدوانُ
يا أيُّها النشءُ الجديدُ تسابقاً بالعلمِ إنَّ حياتكم ميدانُ
صونوا البلادَ فإنَّما عزمائكم قُضِبَ ومن أقلامكم خرصانُ^(١)
يا شعبُ هل تحشى ضياعاً بعد ما حاطتْ عليك حياضك الشبانُ؟
شادوا المدارسَ بالعلوم تنافساً فكأتما بين البلادِ رهانُ
يا جهلُ رفقاً بالشعوب فأهلها كادت تذيبُ قلوبها الأضغانُ
لا لن تُفرِّقنا الحدودُ، ولم تكن تدري الحواجزَ إخوةً جيرانُ
ماذا يريد اللائمون فإنَّه وطنٌ يُحِبُّ وحُبُّه إيسمانُ
سندودُ عنه بعزمٍ حرٌّ صادقٍ منه ضميرٌ يستوي ولسانُ
لا يرتضي إلا المنيَّةَ منهلاً أو منزلاً من دونه كيوانُ^(٢)
لي فيك آمالٌ وصدقُ عزائمٍ لا بدَّ تنشرُ طيِّها الأزمانُ
ولئن هتفتُ بما أجنُّ فعاذرُ فلقد أضر بصدري الكستانُ
يا موطنَ النُجدِ الغزاةِ هزيمةً كيف ارتقت عن شأنك الأوطانُ^(٣)
ماذا التواني منك في شوط العُلَى هلاً نهضت وكلنا أعموانُ
إن تحشَّ سطوةَ ظالم فلقد تُرى والغربُ منه لحكمك الإذعانُ

(١) الخرصان: الرماح.

(٢) كيوان: زحل.

(٣) نجد: جمع نجيد وهو الشجاع.

غروك إذ دارت كؤوسُ خِداعهم حتّى سكرتَ فعقَّكَ النَّدمانُ
أمن المروءة أن تنالَ حقوقَها لِقْطٌ وأنتَ نصيبيكَ الحرمانُ
بئستَ علاقةٌ واغلين وإئبا عيشُ الكريمِ مع اللئيمِ هوانُ
قد سرَّ أكنافَ الجزيرة ما رَووا يا مصرُ عنكِ ومادتِ الأركانُ
مدي بُروجك للعراق يبنُ له نهجُ الرشادِ، أمَدك الرحمنُ

يا أيّها الوطنُ المفدّى، دونه يومَ الفداء الأَرْضُ والأوطانُ
فدَّتكَ ناشئةُ البلادِ وشمّرت لك عن سواعدِ عزمِها الفتيانُ
زاحمَ بمنكبِكَ النجومَ ولا يُطل شرفاً عليك بَرجه ((كيوانُ))
وارعَ الشبابِ وُصْنُ كريمِ عهدِهِم فهمُ لصفحةِ مجدك العنوانُ

النجف عام ١٩٢٢

خل النديم

يہنئہ بہا صدیقہ السید علی السید ابراہیم الجصانی بقرانہ.

خلّ النديم، فما يكون رحيقهُ وأدزّ لَمَاكَ إذا غفا إبريقهُ
 لم يُصبني كأسُ النديم وخمرهُ لو دام لي ثغرُ الحبيبِ وريقهُ
 إن تحمّ عن أهل الهوى كأسَ اللَّمى فالخمرُ أجودُ ما يكون عتيقهُ
 حاشا لعهدك بعد ما عودتهُ بدقيقِ خصرِكَ إن يُحَلَّ وثيقهُ
 عين تورّقها عدتكَ قروحُها وحشاً تؤججه عداك حريقهُ
 حمّل فؤادي ما تشاء يُطق به إلا جفاكَ فذاك لستُ أطيعهُ
 ما نسبة الخضر النحيف مع الحشا فهل استعير من الوشاح خفوقهُ
 أنا ليس لي عنه غنى فلو ارتضى دينَ المسيح فلأنني بطريقهُ
 لا أدعي هجر الخيال وإنما أرقتُ أجفاني فسُدَّ طريقهُ
 طرفٌ تنازعه هوى ومهابةُ هذاك يجذبه وذاك يعوقهُ
 أم كيف يسلو عنك نشوانٌ ومن كأسِ الغرام صَبوحهُ وغَبوقهُ
 قالوا: نزالٍ فقلتُ: هل يخشى الوغى قلبي وأسمر قَدّه معشوقهُ
 كذب الوُشاةُ فما يزال كعهده رَغَمَ الصدود يشوقني وأشوقهُ
 ما راق في عيني سواه ولا انثنى شيءٌ سواي عن الأنام يروقهُ
 بالرغم منّي بعدَ طولِ تَواصلٍ أرضى بطيفِ منك عزَّ طُروقَهُ
 وقف البيانُ عليكما فتغزلي بك والثناء إلى ((علي)) أسوقهُ
 ما أبعدَ الشاوين هذا إن يضيقُ منه الحشا فبذا يُفَرِّجُ ضيقهُ
 دع عنك من كعبٍ وحاتمٍ إنما للجود معنىٌ عنده تحقيقهُ
 المجدُ ما رَوّجت فيه بضائعاً للمكرّمات فما عكاظُ وسوقهُ

نسب زهت بأبي الجواد فروعه وإلى ((محمد)) يتمين عروقه^(١)
 ذو عزيمة مشهورة لو طاردت شهب السما ما عاقه عيوقه^(٢)
 صال العدى فقت صلود صفاته وسرى الندى فاهتز منه وريقه^(٣)
 لا يدعي الحساد شأوك في العلى لعريق مجدك يستدّم عريقه^(٤)
 أنعم بليلتك التي قضيتها والبدر من بين الستور شروقه^(٥)
 لله أي رتاج باب رمتّه حتى استبيح بهجمة مغلوقة^(٦)
 عجباً لقلب بالوصال تروعه ودم بلا ذنب هناك ثريقه^(٧)
 لي فيك صوغ للبلاغة لو خلا جيد الفتاة لزانها منسوقه^(٨)
 أرفدته لك لا كبائر سلعة لكن كما هنا الصديق صديقه^(٩)
 دُمت على مر الزمان مباحياً بكم وأخطى جمعكم تفريقه^(١٠)

النجف عام ١٩٢٢

(١) للسيد ابراهيم من الأولاد غير علي: جواد ومحمد.

(٢) العيوق: نجم أحمر مضيء يتلو الثريا.

(٣) الرتاج في الأصل الباب الكبير فيه باب صغير.

استعطاف الأُحبة

كلُّ ما في الكون حبُّ وجمالُ بتجليك وإن عَزَّ المنالُ
بُسط النورُ فكم نائرٍ بحرٍ هادئاً بات، وكم ماجت رمالُ
ورياضُ ضاحكٍ الزهر بها ثغرُك الصافي وناجاها الخيالُ
وسهولٌ كاد يعرفون هَضْبَها نزقٌ من صبوَّةٍ لو لا الجلالُ
ما لمن يهوى جمالاً زائلاً وعلى البدرِ جمالٌ ما يُزالُ
لا عدِمناكِ مُروجاً للهوى جدَّةٌ فيها، وللدهرِ اقتبالُ
عيشُنا غُضٌّ وميدانُ الصبا فيه مجرى للتصايبِ ومجالُ
يا أحبائي وكم من عثرةٍ سلفت ما بالٌ هذي لا تقالُ
علَّلونا بوعودٍ منكم ربَّما قد علَّلَ الظمآنُ آلُ
وعدوني بسوى القرب فقد شَفَّني الهجرانُ منكم والوصالُ
لا أملُ العيشَ ما شتَّم فكونوا لسوى حُبِّكم يحلو الملالُ
أمن العدل وما جُرْتُ الصبا ومداه يألَفُ الشيبَ القذالُ
إنها أنفُسٌ لم تُخلَقْ سدى ورققات قلوب لا جبالُ
أشتكي منكم وأشكو لكم إنَّ دائمي في هواكم لُعضالُ
فعلى الرفقِ! كفاني في الهوى ما ألاقِي، وكفاكم ذا المطالُ
ألذنبُ تصطلي حَرَّ الجوى مهجٌ كانت لها فيكم ظلالُ

أرتجيهما صفوةً منكم وإن زَعَموها بغيةً ليست تنالُ
إنما أغرى زماني بكم نِعَمٌ طابت وأيامٌ طوالُ
لا أذم الدهر هذه سُنة: لهنَّ حالٌ وللأحزان حالُ

قد حشناها مطايا صبوة لكم أو شك يعروها الكلال
ورجعنا منكم خلوا وقد أكلت منهن آمال هزال
لا تقولوا: هجرنا عن علة ربما سر حسوداً ما يقال
أنا من جربتموه ذلك الـ طاهر الحب إذا شينت خصال
شيم هذبني طبعي في الهوى مثلما يجلو من السيف الصقال

أيها الناعم في لذاته: لذة النفس على الروح وبأل
شهوة غرتك فانقذت لها ومنى المرء شعور وكمال

النجف عام ١٩٢٢

لبنان في العراق

نظمت بمناسبة قدوم أمين الريحاني إلى العراق

أَرْضُ الْعِرَاقِ سَعَتْ لَهَا لَبْنَانُ فَتَصَافِحُ الْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ
وَتَطْلَعُ لَكَ دَجَلَةٌ فَتُضَارِبُ فَكَأَنَّمَا بُعِبَاهَا الْهَيَّانُ
أَأْمِينُ إِنْ سُرَّ الْعِرَاقُ فَبَعْدُنَا أَبْكِي رُبُوعَ كَوْلِبْسِ الْهَجْرَانُ
لَكَ بِالْعِرَاقِ عَنِ الشَّامِ تَصَبَّرْ وَبِأَهْلِهِ عَنِ أَهْلِهَا سُلْوَانُ
لَوْ تَسْتَطِيعُ دَنْتُ إِلَيْكَ مُدْلَّةً فَتَزُودُتُ مِنْ رُذْنِكَ الْأَرْدَانُ

وَحَدَّ بَدْعُوتِكَ الْقَبَائِلُ إِنَّهُ أَلْقَى إِلَيْكَ زَمَامَهُ التَّيَّانُ
كَيْفَ التَّالَفُ وَالْقُلُوبُ مَوَاقِدُ تَغْلِي بِهَا الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ
أَنْزِرِ الْعُقُولَ مِنَ الْجَهَالَةِ يَسْتَبْنُ وَضَحُّ السَّبِيلِ وَيَهْتَدِ الْحَيْرَانُ
وَأَجْهَزْ بِحَدِّ رَهِيْفٍ حَدٍّ لَمْ يَنْبُ لَكَ عَنْ شَبَابِهِ مَهْنَدٌ وَسَيَّانُ
خَضَعْتَ لَعَنَوْتَهُ الطَّغَاةُ، فَأَقْسَمْتَ أَنْ لَيْسَ تَعْدُو حُكْمَهُ التَّيْجَانُ
نَارٌ تُذِيبُ النَّارَ وَهِيَ يَرَاعَةُ عَضْبٌ يَفُلُّ الْعَضْبَ وَهُوَ لِسَانُ
أَتَى يَقْصُرُ بِالْعِنَانِ إِذَا انْبَرَى وَهُوَ الْجَمُوحُ وَفَكَرُكَ الْمِيدَانُ

زَدْنَا بِمَنْطِقِكَ الْوَجِيزَ صَبَابَةً فَهُوَ السُّلَافُ وَكُلُّنَا نَشْوَانُ
مَا كُلُّ حَيٍّ قَائِلٌ مَا قَلَّتْهُ لَكِنْ أَمَدٌ بَيَّانُكَ الرَّحْمَنُ
الشَّرْقُ مُهْتَزٌّ بِمَنْطِقِكَ مُعْجَبٌ وَالْغَرْبُ أَنْتَ بِجَوْهِ مِرْنَانُ
وَالْقَوْلُ مَا نَمَّقَتْ، وَالشَّعْرُ الَّذِي يُوحَى إِلَيْكَ، فَصَاحَةٌ وَبَيَّانُ
أَنَا خَصْمٌ كُلِّ مَنَافِقٍ! لَمْ يَنْهَنِي حَذَرٌ وَلَمْ يَقْعُدْ بِيَ الْكِتْمَانُ
عَابُوا الصَّرَاحَةَ مِنْكَ لَمَّا اسْتَعْظَمُوا أَنْ يَسْتَوِيَ الْإِسْرَارُ وَالْإِعْلَانُ

يا شعبُ خذ بيد الشباب فإيَّهم لك عند كلِّ كريهة أعوانُ

واعرف حقوق المصلحين فإنما بهم الحقوق الضائعات تُصانُ
واعطف لريحان النفوس وروحها فله عليك تعطفٌ وحنانُ
واس الضعيفَ يكن ليومك أسوةً وكذا الشعوب كما تدين تُدانُ

يا شرقُ، يا مهدَ النوابعِ شذّما ساوى مكانَ بينهم وزمانُ
للناس كان.. وإن أبت لبنان ((فأمين)) ليس لها ولا ((جيران))

النجف عام ١٩٢٢

الوحدة العربية الممزقة

لم تنشر كاملة بسبب الرقابة الشديدة وضاع ما حذفه الرقيب منها.

حَتَّى مَ هَذَا الْوَعْدُ وَالْإِعَادُ وَإِلَى كَيْمِ الْإِبْرَاقُ وَالْإِرْعَادُ
أَنَا إِنْ غَصَصْتُ بِمَا أَحْسُ فَفِي فَمِي مَاءٌ وَبَيْنَ جَوَانِحِي إِيْقَادُ
يَا نَائِمِينَ عَلَى الْأَذَى لَا شَأْنَكُمْ شَأْمٌ وَلَا بَغْدَادَكُمْ بَغْدَادُ
تِلْكَ الْمَرْوُجُ الزَّاهِرَاتُ تَحَوَّلَتْ فَخِلَا الْعَرِينُ وَصَوَّحَ الْمَرْتَادُ
هُضِمَتْ حَقُوقُ ذَوِي الْحَقُوقِ، وَضُيْعَتْ تِلْكَ الْعَهُودُ وَخَاسَتْ الْآسَادُ^(١)
أَعَزَزَ عَلَى الْأَجْدَادِ وَهِيَ رَمَائِمُ أَنْ لَا تُعَزَّزُ ثُرَاتُهَا الْأَحْفَادُ
فَزِعْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَرَاقِدِ فِي الثَّرَى لَوْ كَانَ يُجْدِي بِالثَّرَى اسْتِنْجَادُ

قَرَّيْ شُعُوبَ الْمَشْرِقَيْنِ عَلَى الْأَسَى مِيعَادُ فَكِّ أَسَارِكِ الْمِيعَادُ
أَخَذُوا بِأَسْبَابِ السَّمَاءِ تَعَالِيَاً وَاسْتَنْزَلُواكَ إِلَى الثَّرَى أَوْ كَادُوا
يَسْمُو الْخِيَالَ بِنَا وَيَسْمُو جَهْدُهُمْ بِهِمْ، فَكُلُّ عِنْدَهُ مَنْطَادُ

إِيَّاهُ زَعِيمَ الشَّرْقِ نَجْوَى وَامِقٍ لَهَجٍ بِذِكْرِكَ هَزَّةُ الْإِنْشَادُ
إِنْ فَتَّ فِي عَضْدِ الْخِلَافَةِ سَاعِدُ فَلَكُمْ هَوَاتِ بِسَوَاعِدِ أَعْضَادُ
وَلَكُمْ تَضَرَّتْ فِي الْقُلُوبِ عَوَاطِفُ ثُمَّ انْتَنَتْ وَكَأَنَّهَا رَمَادُ^(٢)
خُطَّتْ عَلَى صَفْحَاتِ عِزِّكَ آيَةٌ إِنَّ الْحَيَاةَ تَرْفَعُ وَجْهَهَا
حَاطَتْ جَلَالَكَ عَصَبَةٌ مَا ضَرَّهَا إِنْ أَبْرَقْتَ، أَنْ يَكْثُرُ الْإِرْعَادُ

(١) خاس: غدر، لم يف بعهده.

(٢) تضررت: اشتدت.

أنا منكم حيث الضُّلوعُ خوافقُ يهفوها التصويبُ والإصعادُ

أنا شاعرٌ يبغي الوفاقَ موحدٌ بين الشعوب سبيله الإرشادُ
ما الفرسُ والأعرابُ الاكفَّتَا عدلٍ، ولا الأتراكُ والأكرادُ
لم تكفنا هذه المطامعُ فرقةً حتّى تُفرّقَ بيننا الأحقادُ
ألغاتِ هذا الشرقِ سيري للعلی جنباً لجنبٍ رافقتك الضادُ

النجف عام ١٩٢٢

أمين الريحاني

نظمت عند قدوم ((أمين الريحاني)) إلى العراق عام ١٩٢٢، وكانت معدّة لإلقائها في الحفلة التي عزم النجفيون على إقامتها له عند زيارته النجف، ولكن عدم مكثه فيها أكثر من ساعتين حال دون إلقائها.

لمن المحافلُ جمَّةُ الوفاِدِ جَلَّ المقامُ بها عن الإنشادِ
 مَنْ زان صدرَ المجلس الأعلى وقد طفَحَ الجلالُ بحيثُ فاض النادي
 من صاحبُ السَّمة التي دَلَّت على أدبِ الحضارة في جمال البادي
 يا نجل ((سوريّا)) وتلك مزيّة شهدت بها بمهارة الأولادِ
 في كلّ يومٍ للمحافل رنةٌ لك من نيويورك إلى بغدادِ
 ما قدرُ هذا الاحتفالِ وإنّما كلّ الزمان محافلٌ ونوادي
 تُعدّادُ مجدِ المرء منقصةٌ إذا فاقت مزاياه عن التَّعدادِ

يا كاشفَ الآثارِ زوّد أهلها وكفت بذورُك عندهم من زادِ
 رُحماك بالأُمم الضَّعاف هوت بها إحْنٌ، فمُدَّ لها يدُ الإسعادِ
 واشفقْ على تلك الجوانح إنَّها حُنيت أضالعُها على الأحقادِ
 وخذْ بدعوتك القبائل تهتدي عن غيِّها ولكلِّ شعبٍ هادي
 اقرأْ على ((مصرَ)) السلامَ وقل لها حيَّ ربّاكِ روائحُ وغوادي
 لا توحشي دارَ الرشيد فإنَّها وقفَتْ على الإبراق والإرعادِ
 وتصافحي بيد الإخاء فهذه كفَّ العراق تمُدُّ حبل ودادِ

لا ترهبَنَّك قسوةٌ من غاصبٍ عاتٍ فإنَّ الحقَّ بالمرصادِ
 لا تخدَعَنَّك حليّةٌ موهومةٌ ما أشبه الأطواقَ بالأقيادِ
 ما أنصفوا التاريخَ وهو صحائفُ بيضُ نواصعُ لُفَعَتْ بسوادِ

أَمْثَقَفَ الْقَلَمَ الَّذِي آلَى عَلَى أَنْ لَيْسَ تَرْجَحُ كَفَّةُ اسْتِعْبَادِ
وَمُشِيداً لِلشَّرْقِ رَكْناً يَلْتَجِي مِنْهُ بِأَمْنٍ ذِمَّةٌ وَعِمَادِ
أَنْصَفُ شَكِيَّةً شَاعِرٍ قَدْ حَلَّقَتْ بِالصَّبْرِ مِنْهُ فُظَائِعُ الْإِنْكَادِ
إِنِّي سَمِعْتُ، وَمَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ، نَبَأُ يَرْنُ عَلَى مَدَى الْآمَادِ
سُورِيَّةً أُمُّ النُّوَابِغِ تَغْتَدِي هَدَفَ الْعِدَاةِ فَرِيَسَةَ الْأَوْغَادِ
تُضْحِي عَلَى الْبُلُوى كَمَا تُنْسِي وَقَدْ خَفَّتَ الزُّئُرُ بِهَا عَنِ الْآسَادِ
لَمْ تَكْفِهَا آرَاؤُكَ الظُّلَمَ الَّتِي غَشِيَتْ وَلَمْ تَهْمُ بِقَدْحِ زِنَادِ
أَكْذَا يَكُونُ عَلَى الْوُدَادِ جَزَاؤُهَا أَمْ لَسْتَ مِنْ أَبْنَائِهَا الْأَجَادِ

حَنَّتْ إِلَيْكَ مَرَابِعُ فَارَقَتْهَا لَوْ أَنَّ بُعْداً هَزَّ قَلْبَ جِمَادِ
حَدَّثَ عَنِ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ إِنِّهَا أُمُّ الشُّعُوبِ حَدِيثَةُ الْمِيلَادِ
مَاذَا تَقُولُ غَدَاً إِذَا بِكَ حَدَّقَتْ خُوصُ الْعَيُونِ بِمَحْضَرِ الْأَشْهَادِ^(١)
وَتَسَاءَلُ الْأَقْوَامُ عَنَّا هَلْ نَمَا فِينَا الشُّعُورُ وَمَا غِنَاءُ الْحَادِي
وَتَعْجَبُوا مِنْ مَهْبِطِ الْوَحْيِ الَّذِي سَمِعُوا وَلَيْسَ سِوَى قَرَارَةِ وَادِي
وَعَلِمْتَ مَا فِي الدَّارِ غَيْرُ تَشَاوَرِ وَتَطَاوَرِ وَمَذَلَّةٍ وَفَسَادِ

أُذْيِعُ سِرَّ حُضَارَةٍ إِنْ غَيَّبْتَ مِنْهَا السَّرَائِرُ فَالْرُسُومُ بِوَادِي
(كُلُّ الْمَصَائِبِ قَدْ تَمَرُّ عَلَى الْفَتَى فَتَهْوَنُ غَيْرَ شِمَاتَةِ الْحُسَادِ)

قُلْ إِنْ سُئِلْتَ عَنِ الْجَزِيرَةِ مُفْصَحاً مَا أَشْبَهَ الْأَحْفَادَ بِالْأَجَادِ

(١) الخوص من العيون: التي تنظر شزراً بمؤخرة الطرف.

ما حوّلت تلك الخيام ولا عدت فينا على تلك الطباع عوادي
 نارُ القرى مرفوعةً وبجنبها نارُ الوغى مشبوبةُ الإيقادِ
 أبقيةُ السلفِ الكريمِ عجيبةٌ ما غيرتكَ طواريءُ الأبادِ
 ما بدلتُ منكِ الحقائقُ مسحةً موروثةً لك قبلَ أعصرِ عادٍ^(١)
 ما للحوادثِ فاجأتكِ كأنها كانت على وعيدٍ من الأوعادِ
 نام ((الرشيدُ)) عن العراق وما درى عن مصره ((فرعونُ)) ذو الأوتادِ
 حالتُ عن العهدِ البلادُ كأنها لبست لفقدِهم ثيابَ حدادِ
 واستوحشتُ عرصاتها ولقد تُرى دارُ الوفاةِ كعبةُ الوفاَدِ
 إذ مُلئُها غُصنُ الشبابِ، وروضُها زاهي الطرازِ، مفوّفُ الأبرادِ
 وعلى الحمى للوافدينَ تطلّعُ بتعاقبِ الإصدارِ والإيرادِ
 أغرى بها الأعداءَ صيقلُ حُسْنِها وجنتُ عليها نَصْرَةُ المرتادِ
 ففساندوا بعد اختلافِ مطامعٍ أن لا يقيمَ الشرقُ أيَّ سنادِ
 وإذا أردت على الحياة دلائلاً لم تلقَ مثلَ تآلفِ الأضدادِ

إن هزّكم هذا الشعور فطالما لان الحديدُ بضربةِ الحدادِ
 أو تنكروا منّي حماسةً شاعِرٍ فالقومُ قومي والبلادُ بلادِي
 عَجَلْتُ على وطني الخطوبُ فحتمت أن لا يَقَرَّ وُسادهُ ووسادي

النجف عام ١٩٢٢

(١) الحقائق - في طبعة بغداد - الحقائق وهي مما نبّه عليه الشارحون.

في سبيل الكتاب (*)

إِعَارَةُ الْكُتُبِ رَسْمٌ بَيْنَ الصَّاحِبِ وَرَمَزُ
وَقَدْ أَخَذَتْ كِتَابِي أَظُنُّهُ سَيِّزُ^(١)
الْمُسْتَعَارُ عَزِيْزُ وَالْمُسْتَعِيرُ أَعَزُّ
((قَرْنَاكَ)) تَغْدُو طَحِيناً وَالصَّوْفُ مِنْكَ يُجْزُ

النجف عام ١٩٢٢

(*) يداعب صديقا أمسك عليه كتاباً استعاره.

(١) سبب: سبب.

يا أحيائي

يا ليالي السفح من جنب الحمى قابلي حرَّ الجوى من نفسي
إن رعيننا في هوائك الذمما فلَكُمْ عندك عهدٌ قد نسي

يا أحباي وإن حال الودادُ وذوى عُصن الصِّبا وهو رطيبُ
فلكم ما بين أضلاعي فؤادُ حظُّه منكم عذابٌ ووجيبُ
فسقى دمعِي لا صوبَ العهدِ زمناً مرَّ ولم يدِرِ الرقيبُ^(١)
تُشهدُ الأرضُ بنا شُهَبَ السما فسوى الريبةَ لم نحترسِ
عريت أشواقنا لكتِّنا حاكتِ العفةُ أبهى ملابسِ

يا مراحَ العيش في ((الحيرة)) لا زلتَ ضحاكاً من الغيث العميمِ
كنتَ فينا للتصابي مأهلاً حيثُ صحَّ الجو واعتلَّ النسيمِ
إن يكن روضُ شبابي أمحلاً فلقد يُقنعني منه الشميمِ
ليت ملأكَ الهوى ما حرّما ثمرَ اللهو على المغترسِ
ودرى أيَّ فؤادٍ إذ رمى منه أضحى نَمْزةَ المفترسِ

يا مواليقَ عهدٍ سلفت ذكّري أحبابنا ما عاهدوا
وانشديهم نفسَ حرّ تَلَفَّت في هواهم ضلَّ عنها الناشدُ
عرفوا كَفَّ النوى ما خَلَفَتْ فيَّ لوبعض همومي كابدوا
لا ترى في الحبِّ خطباً مثليها مُضْعَبٌ يُعطي قيادَ المسلسِ

(١) العهد: المطر المتواتر.

شيمة منها أعيذُ الكرما يستوي المحسنُ فيكم والمسي

لي فؤادُ فيكمُ إن سُعرا بلظى الشوق يُقلُّ: هل من مزيد
أفمن أجل حديثٍ مُفترى يؤخذُ المغدورُ بالحكم العنيد
أم كذا الأحاب كانوا أم ترى ضاعت الأخلاقُ في العصر الجديد
كيفما شئتم فكونوا إنما لكم انقادت ضعافُ الأنفس
لم يدغ منها الجفا إلا ذما كبقايا غسقٍ في غلسٍ

أنا ما استبدلتُ عن كأس اللمى بدلاً يشهدُ لي مرشفهُ
ذكروه العهدَ والسفح وما ضمنا إن قال لا أعرفهُ
فإذا رَقَّ فقولوا حرّما ربُّك الظلم فلم تُتلفهُ
واذا ما ازورَّ قولوا أجرما وهو من عطفك لما يأس
إنما الحبُّ ضلالٌ وعمى فاهده نورَ الرضا يستأنس

مستهامٌ بكم إن عَنفا عاذلٌ داجاه عن أشواقه
قلت لا ترجعْ لعهدٍ سلفا ((إنَّ عمراً شَبَّ عن أطواقه))
قال غالطتَ خبيراً عرفا كلُّ ما في القلب من إخفاقه
قلتُ يا قلبُ نقضتَ المُبرما أنا لولاك شديدُ الملمسِ
ظالم خاصمته فاختصما آه لو أمهل دقُّ الجرسِ

النجف عام ١٩٢٢

هجرت الديارا

هجرت الديارَ فقلتُ العَفَاءَ لربيع السـرورِ وزُؤارِهِ
وبتُّ بليلاً لفرطِ الأسى كَلِيلِ الضجيجِ على ناره
وظلُّ يحنُّ فؤادُ المشوقِ لذكر الحبيبِ وأخبارِهِ
تفيض دُموعي بتذكاره زماناً تقضى بأوطاره
ولو بنت - لا بنت - عن ذا المحيط لضاقَّ عليَّ بأقطاره
أطلتُ المقامَ ألا عودةً تحيي ((الغريَّ)) بأنواره
لعمري أساء إليك الصنيعَ زمانٌ يُشاب بأكدارِهِ
كذا الدهرُ كم حاز من خاملٍ وحرَّ تصدى لأفكارِهِ
علوتَ على موجه بعد ما تحذاك عارمُ تيارِهِ
تُنم بطيب شذاك البلاد كما الروضُ فاح بأزهارِهِ
بعيشك شاطر فؤادي الهموم فقد ضاق صدري بأسراره
فمشك يُنهضُ قطرَ العراق ويجمَعُ أشتاتَ أحراره
فلا تحرم الشرقَ من مَقولٍ تروع عداه بيتَّارِهِ
دُعوا ودُعيتَ لنظم القريضِ فكنتَ السَّبوقَ بمضمارِهِ
فهل أنت تغنمُها فُرصةً فتُنهضُ قطرَكَ من عاره

النجف عام ١٩٢٢

الشباب المر

طوبِ الخطوبُ من الشبابِ صحيفةً لم ألقَ منها ما يُعزِزُ فراقَها
 ومسهَّدِ راعِ الظلامِ بخاطرٍ لو كان بالجوزاءِ حلَّ نطاقَها
 ترنوله زهرُ النجومِ وإنَّها لو أنصفتَه لسودت أحداقَها
 أفدي الضُّلوعَ الخافقاتِ يروعني إنَّ الرُّقَّادَ مُسكِّنَ خفاقَها
 وأنا المواءِخُ في شظايا مهجةٍ حمَلْتُ ما لا تستطيعُ، رفاقَها
 ضمنتُ لي العيشَ المهناً لوعةً أخذتُ على شُهبِ السما آفاقَها
 يشتاقي أن يردَّ اللواذعَ منهالاً صبُّ ولولا لذة ما اشتاقَها
 هزجٌ إذا ما الورقُ نُحنَ لآتني خالفتُ في حبِّ الأسي أدواقَها
 كم نفثةٍ لي قنعتُ وجهَ الدجى هماً وأوحت للسهلِ إخفاقَها
 ومُهمونٌ وجدي عدتهُ لواعجٌ أخرسن ناطقَ عدله لو ذاقَها
 ما في يدي، هي مهجةٌ وهفا بها داءُ ألحَّ، وعبرةٌ وأراقَها

يا مهبطَ الرسلِ الدُّعاةِ إلى الهدى عليا بنيك عن العلى ما عاقها؟
 زحفت بمدرجة الخطوبِ ففاتها شأؤُ المجدِّ من الشعوبِ وفاقها
 لحقت فلسطينُ باندلسٍ أسيَّ والشامُ ساوت مصرَها وعراقها
 مهضومةٌ من ذا يردُّ حقوقَها وأسيرةٌ من ذا يُفكُّ وثاقها

يسمو القويُّ وذاك حكمٌ لم يدع حتَّى الغصونَ فشذبت أوراقها
 نقضت مواثيقَ الشعوبِ ممالكُ باسمِ العدالة أبرمت إرهابها

لَمْ تُنْصَفُوا الْأُمَمَ الضَّعَافَ، وَرَدُّتُمْ عَذْبَ الْحَيَاةِ وَأُورِدَتْ غَسَاقُهَا^(١)
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْوَرَى جَعَلَ الْحَبَا نَصْفًا وَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ أَرْزَاقُهَا

هُبِّي لِيَوْتَ الْمَشْرِقِينَ وَجَدَّدي مِنْهَا الْحَيَاةَ وَقَوَّمي أَخْلَاقُهَا
صَبِّحْ مِنَ الْأَمَالِ أَشْرُقَ إِنْ يَكُنْ حَقًّا فَشَمْسُكَ عَاوَدَتْ إِشْرَاقُهَا
أَسْمَعْتَ تَهْدَارَ الْأَسْوَدِ مَهِيْجَةً تَحْمِي الْعَرِيْنَ وَهَلْ رَأَيْتَ وِفَاقُهَا^(٢)
تِلْكَ الشُّعُوبُ الْمُسْتَكِينَةُ مِنْ جَلَا عَنْهَا الْقَذَى؟ مِنْ حَثَّهَا؟ مِنْ سَاقِهَا؟
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ ذَاكَ لَغَايَةِ تَسْمُو بِهَا إِذْ أَكْثَرَتْ إِطْرَاقُهَا
لَكَ فِي مُحَانِي ((الدردنيل)) مَعَاصِمٌ أَلَّتْ تَمَدُّ عَلَى رُبَاكِ رِوَاقُهَا
حَلَفْتُ بِمَجْدِ الشَّرْقِ لَا خَانَتْ لَهُ عَهْدًا فَأَحْكَمَ حِلْفُهَا مِيثَاقُهَا

النجف عام ١٩٢٣

^(١) الغساق: الماء البارد المتتن.

^(٢) مهيجة: في طبعة بغداد الأخيرة ((مُهَاجَة)) وقد نبه عليها الشراح.

الروضة الغناء

نَسَجَ الرِّبْعُ لَهَا الرِّدَاءَ الضَّافِي وَهَمَّتْ بِهَا كَفُّ الْحَيَا الْوَكَّافِ^(١)
فَضَّتْ بِهَا عِذْرَاءَ كُلِّ سَحَابَةٍ خَطَرَتْ فَنَبَهَتْ الْهَزَارَ الْغَافِي
قَضَى الرِّبْعُ بِهَا دِيُونَ مَصِيفِهَا مِنْ سَحَّ كُلِّ مُدِرَّةِ الْأَخْلَافِ
الْحَبِّ مَا ضَمِنَتْ ضُلُوعُ سَمَائِهَا لِلْأَرْضِ لَا مَا يَدْعِيهِ الْجَافِي
قَلْبٌ كَمَا اتَّقَدَّتْ لَظَى، وَجَوَانِحُ رَعْدٌ، وَجَفْنٌ دَائِمُ التَّذْرَافِ
إِنَّ الَّذِي قَسَمَ الْحُظُوظَ مَوَاهِباً أَعْطَى الرِّبْعَ نِقَابَةَ الْأَرْيَافِ
وَكَاثِمًا لَبَسَتْ بِهِ أَعْطَافُهَا حِلَالًا يُوشِيهَا السَّحَابُ ضَوَافِي
وَكَاثِمًا الْعُشْبُ النَّضِيرُ خَمَائِلُ وَمِنَ الْوُرُودِ لَهَا طِرَازُ وَافِي
وَكَاثِمًا هَزَجُ الرُّعُودِ إِذَا حَدَثَ رَكِبَ السَّحَابِ، بِشَائِرِ الْأَلْطَافِ
وَكَاثِمًا مَيَّاسُ الْغُصُونِ إِذَا انْتَشَى غَبَّ السَّحَابِ يَعْبُ صِرْفَ سُلاَفِ
وَكَاثِمًا مَخْتَلَفُ الْوُرُودِ صَحَائِفُ فِيهَا تُخَطُّ بِدَائِعِ الْأَوْصَافِ
وَكَاثِمًا خَلَّاقُ الطَّبِيعَةِ شَاعِرُ نَظَمِ الرِّيَاضِ قِصَائِدُ الْبَقَوَافِ
وَكَاثِمًا الْجَوُّ الْمَغِيمُ كَاثِمُهُ قُطِرَ عَرْتُهُ سِيَاسَةُ الْإِجْحَافِ
وَكَاثِمًا الْمَاءُ النَّمِيرُ مَهْنَدُ لِلْمَخْلُ تَصْقَلُهُ يَدُ الْإِرْهَافِ
وَكَاثِمُهُ سَلَبَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ أَوْ دَسَّ قَرْنَ الشَّمْسِ فِي الْأَجْرَافِ
أَيْنَ الصَّفِيِّ سَرَائِرًا وَخَلَائِقًا يَحْكِي لَنَا لُطْفَ النَّمِيرِ الصَّافِي
مُتَرَفِّقًا تَلْقَى السَّمَاءَ بِأَرْضِهِ لَوْ لَا خِيَالُ تَشَابِكِ الصَّفِصَافِ
وَتَخَالُ إِنْ لَمَعَتْ حِصَاةُ لَأَلَاءِ تُجَلَّى بِكَفِّ النِّقَدِ الصَّرَافِ

(١) الحيا الوكاف: المطر الغزير.

ترتدُّ عنه الطيرُ وهي مُليحةٌ ثمّا عليه من الجلال الطافي

أوحى النسيمُ إليه أنّ عواصفاً بعدي فأرجفَ خَشيةَ الإرجافِ
واهتاجَ حتّى ودَّ أنّ ضفافه سالت فلم يُضْبَحْ رهينَ ضفافِ
ليت الذي قاد الزعازعَ ردّها عن مثل هذا الجوهرِ الشفافِ

الروضةُ الغنّاء مفرشٌ لذّي حيثُ الخيالُ مطرّزُ الأفوافِ^(١)
تتساند الأعشاب في جَنابِها فترى القويّ يشدُّ أزرَ ضِعافِ
باكرتُها والنجمُ متقدُّ السنا لهثٌ وقد ضرب الدُّجى بسِجافِ
والطيرُ يكتُمُ نطقه متحذّراً خوفَ انتباه الصبحِ للأسدافِ^(٢)
حتّى إذا ما الفجرُ حان نشوره وسطا الصباحُ بجيشه الزّخافِ
خلعت عليه ذُكَا مَلأة نورها فتبشرت منها ربّى وفيافي
فأخذتُ أنشدّها وعنديّ هاجسٌ أخذَ الهمومَ عليّ من أطرافي
لو شاء من ضمِّ الأزاهرِ لم تكن لتعيثَ في الأكوان كَفُّ خلافِ
لما تزاومت القُوى وتهافتت منها سِمانٌ لانتهاك عِجافِ
مُتكالين كأنّ ربَّ لغاتهم ما خطَّ فيها لفظةُ الإنصافِ
لو أن ألقاب الورى في قبضتي حلَّ الوضيعُ محلّةَ الأشرافِ

(١) مطرّز الأفواف: الثوب المطرز.

(٢) الأسداف: جمع سدف وهو الظلمة.

لو كان في مالِ الغنيِّ مُغَوِّزٌ حقُّ لِسَادَتِ عَيْشَةٍ بِكَفَافٍ^(١)
يسمو الغنيُّ على المُقِلِّ وعنده أنَّ الثِّراءَ قَوَادِمٌ وَخَوَافِي
عاثوا بشمل الاجتماع فحبذا يومٌ يَعِثُ القصدُ بالإسرافِ^(٢)
خير من الأشرِ الضنينِ صعلَكُ لا يسألونَ الناسَ بالإلحافِ
لِتُبَجِّلَ الناسُ الغنيَّ فلإنني كلفُ بتبجيلِ الفقيرِ العافي

النجف، عام ١٩٢٣

(١) الكفاف: المساواة.

(٢) القصد: العدل.

النقمة

قد كنتُ أقربَ للرجاءِ فصرتُ أقربَ للقنوطِ
كلُّ البلادِ إلى صعودٍ والعراقُ إلى هبوطِ
في كلِّ يومٍ مبدأٌ أوَّاهُ من هذا السَّقوطِ

وطنٌ أقامت ركنه شبائنا بدمٍ عبيطٍ^(١)
يا للرجالِ تلاقفته يدُ الأعاجمِ والنَّبِيطِ
سقط النشيطُ على افتقارِ الخاملينِ إلى النشيطِ
ولقد بكيتُ على حُبوطنك يا بلادي لا حبوطي

يا نائماً ما نبّهته الحادثاتُ من الغطيظِ
لم يبقَ من نسجِ الأكفِّ المحكّمتِ سوى خُيوطِ
خُدعتِ جُموعٌ عن صريحِ الحقِّ بالكَلِمِ البسيظِ
أبدأَ تَقَرُّ على ضياعٍ في حقوقٍ أو غموطِ

أما أنا فكما ترى بين الطبيعة والمحيطِ

(١) الدم العبيط: الخالص الطري.

أَفْ لَهَا مِنْ عَيْشَةٍ مَا بَيْنَ وَغَدٍ أَوْ لَقِيْطٍ
يَا شَعْرُ تُرْ إِنْ الشَّعُورَ مَهْدَدَّةً، يَا نَفْسُ شَيْطِي

النجف عام ١٩٢٣

أمنعم القلب الخلي

أَمْنَعَمَ الْقَلْبِ الْخَلِيَّ تَرَكْتَنِي حِلْفَ الْمُحَنِّ
لَمْ تَرْعَ عَهْدَ فَتَى رَعَاكَ عَلَى السَّرِيرَةِ وَأَتَمَّنْ
سَلَّ جَفْنُكَ الْوَسْنَانَ هَلْ عَلِمْتَ جُفُونِي مَا الْوَسْنُ
لَحْظُ الْحَيِّبِ أَثَارَ بَيْنِ النَّوْمِ وَاللَّحْظِ الْفِتْنِ
إِنْ كَانَ لَا بَدَّ الرَّهْمَا نُ فَرَحْمَةً بِالْمُرْتَهْنِ
رَفَقًا بِقَلْبٍ مَا دَرَى غَيْرَ الشَّجَا بِكَ وَالشَّجْنِ
يَصِيبُ لَذَكْرِكَ كُلَّمَا نَاحَ الْحَمَامُ عَلَى فَنَنِ
أَخْشَى يَطْوُلُ عَلَى الصَّرَاطِ عَذَابُ مَطْلَعِكَ الْحَسَنِ

مَا ضَرَّ مَنْ ضَمِنَ الْحَشَا لَوْ كَانَ يَرَعَى مَا ضَمِنُ
طَرَفُ قَرِيرُكَ كَانَ فِيكَ رَمَاهُ هَجْرُكَ بِالذَّرْنِ
اللَّهُ مَآذَا حَمَلَتْ كَفُّ النُّوَى هَذَا الْبَدْنِ

لَا تَحْسَبُوا مَاءَ الْفُرَاتِ كَعَهْدِكُمْ فَلَقَدْ أَجَنُ^(١)
حَسَدَ الزَّمَانِ لِيَالِيَا سَمَحَ الْوَصَالُ بِهَا فَضْنُ
أَعْدَزْتُمْ لَوْلَا النُّوَى وَوَفَيْتُمْ لَوْلَا الزَّمْنُ
لَوْ تُشْتَرَى بِالرُّوحِ أَيَّامُ الصَّبَا قَلَّ الثَّمْنُ

(١) أجَن: تغير لونه وطعمه.

ولقد وقفتُ بداركم وكأتمها بطنُ المَجْنُ^(١)
يا مألَفَ الأحبابِ حُلَّتْ وحال عهدك بالسَّكنِ
واعترضتْ أراماً سوانحَ فيك عن ريمي الأغنِ
وذعرتْ سربي بالفراقِ فليتْ سربك لا أمِنِ
ويحَ المعذبِ بالبعادِ تَهَيَّجُهُ حتَّى الدَّمِنِ
ماذا على العُدَّالِ إن وجدَ المقيمُ بمن ظعنِ
أيُّ لأمِ إلَفٌ بان عنه أليفُهُ فبكى وحنِ
لـو لم يُشَفِّ القوسَ مرمى سهمه ما كان رنِ

النجف عام ١٩٢٣

(١) المَجْن: الدرع.

النشيد الخالد

تزاحمت الآمالُ حولكِ وأنبرتُ قلوبٌ عليهنَّ العُيونُ شواهدُ
مشت مهجتي في إثرِ طرفكِ واقتفتُ دليلَ الهوى والكلُّ منهنَّ شاردُ
حُشاشةُ نفسٍ أجهدتُ فيكِ والهوى يُطاردها عن قصدها وتطاردُ
أجابت نفوسٌ فيكِ وهي عصيةٌ ولانت قلوبٌ منك وهي جلامدُ
أعلَّ الشَّها مَسرى هواكِ وأوشكتُ تَنازُلُ عن أفلاكهنَّ الفراقدُ^(١)
ورغبتني في الحبِّ أن ليس خالياً من الحبِّ إلا باردُ الطبعِ جامدُ
إذا كان وحيُّ الطرفِ للطرفِ مُدلياً بأسرارِ قلبينا فأين التباعُدُ
خليليَّ ما للعينِ في الحبِّ ريبةٌ إذا كَرُمْتَ للناظرين المقاصدُ
ولي نزعَاتُ أبعدها عن الخنا سجيةُ نفسٍ هذبتها الشدائدُ
أقاويلُ أهلِ الحبِّ يفنى نشيدها وأما الذي تُملي الدموعُ فخالدُ
وما الشعرُ إلا ما يُزان به الهوى كما زينت عُطلَ النحورِ القلائدُ

النجف عام ١٩٢٣

(١) أعل: أمرض.

سلام على أرض الرّصافة

صبتُ إلى أرضٍ ((العراقِ)) وبَرَدِها إذا ما تصابى ذو الهوى لربى نجد
بلادُ بها استعذبتُ ماء شبيبتى هوى ولبستُ العزَّ بُرداً على بُرد
وصلتُ بها عُمَرَ الشباب وشَرَحَه بذكرٍ على قربٍ وشوقٍ على بعد
بذلتُ لها حقَّ الودادِ رعايَةً وما حَفِظَ الودَّ المُقيمَ سوى الودَّ

سلامٌ على أرضٍ ((الرّصافة)) إنها مراحُ ذوي الشكوى وسلوى ذوي الوجد
لها الله ما أبهى ودجلةٌ حولها تلفُ كما التفَّ السوارُ على الزنيد
يُعطّرُ أرجاءها النسيمُ كأنما تنفسُ فيها الروضُ عن عابق النَّدِ^(١)
هواؤك أم نشرٌ من المسكِ نافحٍ وأرضك يا بغدادُ أم جنةُ الخلدِ

أحباي بالزوراء كيف تغيّرتُ رسومُ هوى لم يُرعَ جانبُه بعدي
رَضينا بحكم الدهر لا جوُّ عيشنا بصافٍ ولا جبلُ الودادِ بممتدٍ
كان لم نحملُ بيننا عاتقَ الصّبا رسائلُ أعيته من الأخذِ والردِ
جفوتُم ولم أنكر جفاكم فلستمُ بأولِ صخبٍ لم يدوموا على العهدِ

التجف عام ١٩٢٣

(١) الند: الطيب.

لا تفكوا إيساره

شبابٌ ولكنْ في هواكم أضعتهُ وغرسٌ ولكنْ ما جنيْتُ ثمارهُ
أسرُّكم فؤاداً لا يحبُّ انعتاقه بحبِّ سواكم ما رضيتُم إيساره
خذوه تُريحوا أضلعاً كابدتْ به هموماً برتها.. أبعد الله داره!!
ولم أنسَ يومَ السفح إذ طلَّه الندى ولا كأسَ إلّا طرفُـه فأداره
أقولُ له لا تُرجع اللحظ إنني من النظرة الأولى عَرَفْتُ اقتداره

النجف عام ١٩٢٣

الشاعر السليب

((بلينا وما تبلى النجوم)) الرواكذُ رسومٌ عَفَتَ منها العلا والمحامدُ^(١)
أصاخ بها للجهلِ طيرٌ مشرَّدٌ وسابت بها للغِيِّ رُقْمٌ أساودُ^(٢)
وليلةٌ بتنا بالغريِّ بساطنا رياضٌ ومن خدَّ الشقيق الوسائدُ
تخال الصَّبا إمَّا سرتُ كفَّ لاقطٍ وقد نُظِمَتْ للطلِّ فيها فرائدُ
تجمّع للأحزانِ جوٌّ ملبدٌ وهبت من البلوى رياحُ رواكدُ
ومما شجا أنَّ الثلاثة قادهم لما قادي حَظٌّ عن الكلِّ شاردُ^(٣)
صغارٌ بغوا للنحو شرٌّ وسيلةٌ تضلُّ بها للسالكين المقاصدُ
يقولون أعرب قام زيدٌ وخالد وما جرَّ إلا الشؤمَ زيدٌ وخالدُ
فقلتُ: لئن قاما فذا الفعل حاضرٌ وقد بان عَمَّا تسألون الشواهدُ
وقالوا: جلاميدٌ أُقيمت محارباً فقلتُ: جسومٌ دونهن الجلامدُ
فلما دنونا وانجلي ضوءٌ بارقٍ من الحقِّ، جلى الظنُّ والظنُّ فاسدُ
هناك التقى الجنحانِ منها وأخفقا ضعيفان مقصودٌ هناك وقاصدُ
وما منهم إلا كما البرجُ ناهضٌ علينا ومثلَ الكلب للثرب ساجدُ

(١) تضمين من مطلع قصيدة للبيد: بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الديار بعدنا والمصانع.

(٢) رقم: جمع أرقام وهو الحية فيها سواد وبياض والأساود: جمع أسود وهو الحية.

(٣) هم ثلاثة من طلبة العلم في النجف كانوا مع الشاعر.

يقولون: لا تَهْمِسْ، وباهمس قولهم فقلتُ: استوى منا خليٌّ وواجدٌ
أراكم ((حسبتم كلَّ بيضاء شحمةً)) من الناس أو ضاقت عليكم فداقدٌ^(١)
وإلا فهل أغنتكم عن طرائفٍ من المال هذي البالياتُ الأوابدُ^(٢)
لهم حسبٌ في اللؤم دقت عروقه طوارفه تسمو بهم والتوالدُ
مُحالا أرى تصحو من الغي قفرةً أراذلها تُكسى وتَعْرِى الأماجدُ
لئن سلبوا ثوباً أرث فبعد ما كستهم ثياب العار منّي القصائدُ

النجف عام ١٩٢٣

(١) فداقد: جمع فدقد وهو الفلاة.

(٢) الأوابد: القديمة.

في تقريظ ديوان ابن الخياط

وما الروضُ راوَحَه مُثَقِّلٌ من المُنْزِنِ يَحْمِلُ ما لا يُطِيقُ
فعاطاه من صوبِ أكوابه هنالك ما لا يُعاطى الرحيقُ
وفَضَّتْ لَطَائِمُهُنَّ الرِّياحُ عليه كما فاح مسكُ فتيقُ^(١)
بأحسنَ مما أجادَ القريضُ وحلّاه هذا الكلامُ الرشيقُ
بألفاظه وهي غُرُرُ رِقاقُ ومعناه وهو الغريبُ الدقيقُ
سيُبلي زمائِكُ حتى الحديدَ ويُبليه هذا النسيجُ الرقيقُ

النجف عام ١٩٢٣

(١) اللطيمة: وعاء المسك والمسك الفتيق الذي خلط وطيب بعود.

أعيذكُم من كذبتين

خذوا كيدي قبل الفراق فإنها معودةٌ ألا تقَرَّ على النَّزحِ
ومن نسماتِ الصبحِ روحٌ جديدةٌ بعثتُم بها لي قبلَ مُنبِجِ الصبحِ
يُصعدُ من وجدي بكم رونقُ الضحى إذا ارتفعت شمسُ النهارِ على رمحٍ

وَبُئِيتُ أَنَّ البعدَ أوريَ زنادكُم فلم تعرفوا غيرَ الوقعةِ في قَدحي
هَلُمُّوا انظروا قلبي فإنَّ صفاءه بينُ الذي خَلَفْتُم فيه من قَرَحِ
محضتُ لكم رشحَ الودادِ كعادتي ولم تعرفوا لي غيرَ مُحتَلِّطِ الرشحِ
لئن سرَّكم أيُّ إلى العيشِ كادحٌ لقد ساءني أيُّ لغيرِ العلي كدحي
فما عرفت كَفِّي التسوُّلَ للغنى ولا صافحت كَفًّا تُمدُّ إلى المنحِ
وإني مُذ فارقتكم كان لي غنى وشغلٌ عن المالِ المَجْمَعِ بالطرحِ
أُعيذكُم من كذبتين فلم يكن ليصدقُ في الذمِّ المَصْدَقُ في المدحِ

النجف عام ١٩٢٣

(١) ورد البيت في طبعة دار العودة - بيروت - كالآتي:

بذكرني علياًكم رونقُ الضحى إذا ارتفعت شمسُ النهارِ على رمح

صوت من النجف

إثر ضجة مدسوسة على مقال ((الأكثرية الشيعية في العراق)) الذي نشرته جريدة الشاعر ((معروف الرصافي)) ((الأمل)) وقد قدم الرصافي الشاعر والقصيدة تقديمًا رائعًا: (أحدث بعض تجار الوطنية في هذه العاصمة ضجة كبيرة في الصحف حول مقال نشرته هذه الجريدة بعنوان ((الأكثرية الشيعية في العراق)) (نشر في العدد الأول منها) فأساء ذلك الضجيج عقلاء الأمة في جميع أنحاء القطر لا سيما في النجف، فقد جاءتنا كتب عديدة يستحسن فيها مرسلوها، وهم من عليّة القوم، خطتنا وبالخاصة مقالتنا تلك، ويستهنون دعوى المتاجرين المنافقين، كما وردت إلينا قصائد شائقة من أفاضل ذلك المركز الديني الخطير توجت هامتنا بتاج من الشرف والمجد وما نحن ننشر الآن إحداها وهي لفاضل نجفي معروف طالما تحلّت صحفنا العراقية بقصائده الرائعة، وازدانت بأدبه الجم).

أنابغة الدين الذي دون عرضه تدافع يُسبّراه وتحمي يمينه
 مقالك هز المشرقين وقد بكى لما هاجه ركن الصفا وحجونه
 شحذت له الذهن البذكي توقداً كما شحذت غضب الغرار قيونه
 فجاء كما راقى شمول أجادها ((بناجودها)) دهر أسفت سينه^(١)
 وما كنت شيعياً ولكن مذهباً دعاك لكف الظن عنه يقينه
 صدقت فإما ذنبه فسكوته ليدنا وأما عاره فسكوته
 كثير محبوه الكرام وإنما لما قد عراه أخرستهم شجونه

هو الدين إما حاكمته خصومه فقرأه يقضي عليهم ميينه
 وما هو إلا واحد في جميعه وإن رجم الغاوي وساءت ظنونه
 أخلاي ما أحلى التآلف في الهوى اذا كثرت عذائبه وعيوننه
 هلّموا فهذا الروض زاه أريضه لنتاده والماء صاف معينه
 نسير معاً لا العرق مني بنايض سواكم ولا عهد الإخاء أخونه
 فلو ريم كشف الستر عن قبر أحمد إذن لشجانا نوحه وحنينه
 تجمّعنا من أمره لو نطيعه ووحدنا من عهده لو نصونه

أعد نصرة الإسلام تقض ديونه سيجزيك عنه الله فالدين دينه
 أثرها على اسم الله نفثة واجد تهيج الذي يطوى عليه حزينه
 ألت الذي إن قال أصغت لشعره رياض الحمى واستشدته غصونه

(١) ((الناجود)): هي ((الخمرة)) المتميزة بجودتها، و((الشمول)): الخمرة التي بردتها ريح الشمال.

يُبين له السرُّ الخفيُّ إذا خفى على غيره ما لا يكاد يبينه^(١)
وتُرقصُ أوتارَ القلوبِ لحونه يُحال بها مسُّ الصِّبا أو جنونه
فلا تبتئسْ إن طاولتك قصائرُ وناطحك الكِبشُ الخفاءَ قرونه
فذلك دأبُ الدهرِ جرَّع من مضى بمثل الذي جرَّعته مَنْجُونُه^(٢)
مضى عالمُ الآدابِ عَنَّا فهذه حقائقه تَفنى ويحيا مُجُونُه
وللعلم مثلُ الشعبِ عمرٌ مقدَّر وكلاً أراه حانَ للموت حينه
أفي العدلِ يعلو من دُبابِ طينِه ويَصْفِرُ بالليث الهزيرِ عرينه؟
ويُسكَّتْ عن حقٍّ، ويُعزى بباطل وتُغضى على هضم الأبيِّ جُفُونُه؟
ويُظلمُ من كانت تَهشُّ لصوته سهوُ الفلا شوقاً، وتبكي حُزُونُه
يُردِّد في صدح الهزار صُداحه وتستقطر الصخر الأصمُّ لحونه
وما كان بالمستضعفِ العزم من سطا بعزِّ المعالي والمعالي تُعينه
وراءك أقلامٌ يهَوُّون وقُعُها شبا السيف إن ساوى القرينَ قرينه
تُمَدُّ بها أيدي طِوالٍ يُطيعها الـ بيانٌ جنيباً إن تعاصت فُنونُه
ويرفدها الفكرُ الغزيرُ كأنه مَصْبٌ غدير طافحاتٍ مُتونُه

النجف عام ١٩٢٣

(١) خفى: مثل خفي.

(٢) المنجون: الدولاب.

على أطلال الحيرة

وقفتُ عليه وهو رمةٌ أطلالٍ أسأله عن سيرة العُصر الخالي
مضى أهله عنه وخلفَ موحشاً مُعاصرَ أجيال مُترجمَ أحوالٍ
خليليّ مالوحُ الكتاب مغلداً بأفصح منه وهو مندرسٌ بالي
مُهَيِّجٌ بلبالٍ ((المناذرة)) الأولى بأنسك، هجتَ اليومَ بالحزن بلبالي^(١)
أهابُك إن أدنو إليك كأنني أرى الملكَ الغضبانَ في دسته العالي^(٢)
أفي يوم ((بؤس)) أم ((نعيم)) زيارتي إليك لقد خاطرتُ بالنفس والمال
أخاف ((أبا قابوس)) أن لا يسره لساني ولا يرضيه شكلي ولا حالي^(٣)
أبعد ابن ((ذبيان)) زيادٍ لسانه ونابغه يُصغي لسمع أقوالي^(٤)
بلادك يا ((نعمان)) ملّ كيف أصبحت فغيرك ليس اليوم عنها بسألٍ
فلا تحسبن أن العروبة معقلٌ منيعٌ: فقد أضحت نهاباً لدُخالٍ
ولا تحتقر هذا المقال فإنه وإن قلّ يكبو دونه كلُّ قوَالٍ
لقد أعدتِ العربَ المقاويلَ رطنةً وزمزمةً ليست بزجر ولا فالٍ

(١) المناذرة: هم ملوك الحيرة في الجاهلية.

(٢) الملك الغضبان: يريد به ((النعمان بن المنذر)) أقوى ملوك الحيرة.

(٣) أبو قابوس: هي كنية النعمان.

(٤) ابن ذبيان: ((زياد)) هو النابغة الذبياني.

لو أنّ ((زياداً)) و((المنخل)) راجعا زماني لمبا جاء ابراء ولا دال^(١)
يَعْيُوكَ يَا أُمَّ الْجَمَالِ مَبْغُضٌ مِنْ الْقَوْلِ عَارٍ عَنْ جَمَالٍ وَإِجْمَالٍ
خَلِيلٍ بَاعَ النَّاسَ بِخَسَاءٍ بِلَادَهُمْ فَمَالِي وَحَدِي سُبْمَتَهَا الثَّمَنُ الْغَالِي

النجف عام ١٩٢٣

^(١) الراء إشارة الى قصيدة المنخل اليشكري شاعر النعمان ومطلعها:

إن كنت عاذلتي فسيري نحو العراق ولا تحبوري
والدال إشارة الى معلقة ((النابعة الذبياني)) ومطلعها:

من آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود



اطلال الحيرة

وخزات

طال السكوتُ لأمرٍ خيراً عسى أن يكونا
قالوا اليوم وشهرٍ فكيف عاد سنينا
ما بين ((أمرٍ)) و((خيرٍ)) ظنَّ ((العراقُ)) الظنونا
لا تفهموا من كلامي يا ناسُ أيَّ اعتراضٍ
أساخطُ لبتَ شعري ((مولاي)) أم هو راضي؟!

((طيارة)) في بلادٍ تكفي لحلَّ ((المشاكل))
وحفنةً من نُضارٍ تُهدُّ كلَّ ((الهاكل))
أصاحبُ ((الأمر)) يهوى شيئاً ونحن نجادل؟
نريد وضعاً جديداً لكنْ بغير غراضٍ
شعبي لهذا وهذا غنيمَةٌ بالتراضي

أشكو ضياعي ولكنْ أشكو من الخُرّاسِ
ماذا جتته بلادٍ من كلِّ هذا الغراسِ
أما أنا فبراسي لم يبقَ أيَّ ((عطاس))
لم يبقَ أيُّ حراكٍ في قلبي النضاضِ
يا حاكمي يا خصيمي إقضِ بما أنت قاضٍ
أواجدون لشعبي في كلِّ يوم ديسسه
يَهْنِكُمْ قد أكلتم حتّى عظامَ الفريسه
حتّى ((الدجاجة)) تأبى ترفعاً أن تسوسه

قالت بما في مبيض من صُفرة وبياض
(وزارة) أنا فيها قبلتها بامتعااض

ظننتُ ماءً فلماً سبحتُ سُبْحاً طويلاً
لم أُلِفِ الأَسْرَابَ وساءَ ورداً وبليلاً
أردتُ شيئاً كثيراً لم أعطَ حتّى القليلاً
العيشُ صَوِّحَ لَكُنْ آمألُنَا في رِيَاضِ
عن دجلة وفراتٍ غنى لنا بالحياضِ

النجف عام ١٩٢٣

مستهام

إن سعى الواشي يُريك الغيَّ رشداً لا تكن أهلاً وُصن للودِّ عهداً
حاش لله بقاء ذمّةٍ منك أن تُشمتَ بي خصماً ألدّاً
أنا إن بُلغتُ عنكم ربيّةً قلت: شكراً لهم منّي وحمداً
وإذا قيل جفّ من سلوةٍ قلت: لا أسلو وإن عاف وصدّاً
مستهامٌ كَرَعَ الدمعُ فما زاده إلا جوىً فيكم ووقداً

النجف عام ١٩٢٣

رسالة

من مبلغٌ عني رسالةٌ موجد كلفٍ إلى الرشأ الأغن محمد
خادعتني باللحظ منك فصدتني ولقد يعزُّ على سواك تصيدي
ولقد ذكرتكَ والكؤوسُ مُرَّةً والصحبُ بين مصرعٍ ومعرِدِ
وجذبْتَنِي وأنا البعيدُ تناولاً وبريتني بري الحديدِ بمبردِ
وغمزتُ للساقِي وقلتُ له ادع لي باسم الذي أهوى ولا تترددِ
واذا خشيتَ المرجفينَ فغن لي ((من آل مية رائحٌ أو مغتدي))

النجف عام ١٩٢٤

تذكر العهد

قدمت إلى الملك ((فيصل الأول)) عند قدومه إلى النجف واجتماعه بعلمائها الذين طالبوا بإعادة العلماء الذين هجروا العراق احتجاجاً على نفي الشيخ ((مهدي الخالصي)).

أَعِدَّ لَكَ النَّهْجُ الْوَاضِحُ فسر لا هفا طيرك السانح
وحيّاك رؤيك من ناصح إذا عزّنا المشفق الناصح
يُحَدِّثُ عَنْكَ بِطَيْبِ الْهُبُوبِ نسيم له عبّقى نافع
فكلُّ مكانٍ ربيعٌ يروق وكلُّ ترابٍ شذى فائح
سلامُ الإله على طالعٍ يحار بطلعته المادح
مهيبٌ يرُدُّ سنانه العيون وإن أجهد النظر الطامح

ملك العراق وكم جمرة يضيق بأمثالها القادح
ينوح المغرّد شجواً فلا يغرنك إن غرّد النائح
أبتك أن الفؤاد الرقيق يمضّ به الحادث الفادح
ألا لا يُقلّ - وحُببت الحياة - ويريدك أنت له ذابح
وأنتك مستبدلٌ باليسار يميناً لها الشرف الراجح
وأنتك خودعت عن نيّة فؤاد الحسود بها طافح
وكيف تصوّل لردّ الصّيال يمين لها عضد طائح
فقد سار بين حُداة الركاب حديث يرقّ له الكاشح
تنمّ الشمال به للجَنُوب ويُنبي به الغادي الرائح
وحاشاك، حاشاك كيف استُخِفَ لما بلغوا، حلّمك الراجح
بودي لو مجملات الحديث تُباح لينشُرها شارح
لتعلم كيف خبايا الصُّدور ومن هو في غيبه جارح
لئن سرّهم أننا عزّل فقد أخطأ المقتل الرامح

وفيمن تصول لردّ الصّيال يمينٌ لها عَضْدُ طائِحُ
تذكّرْ لعلّ اذكّارَ العُهود يُراح به نَفْسُ رازِحُ
غداةً استضمّك في ((كربلاء)) وإياهم المجلِسُ الفاسِحُ^(١)
هُمُ ألقحوا الأمرَ حتّى إذا تمخّضَ لم يَجْزِهِ اللاقِحُ
فيا جَبَرَ اللهُ ذاكَ الكسير ويا خَسَرَ الصّفقةَ الرابعُ
ووالله لا الورْدُ عذبُ النّмир ولا العيشُ من بعدهم صالحُ
وأقسمُ لو لا أمانٍ عِجافُ بتعليهنّ الحشا الجامعُ^(٢)
لِبتنا وكلُّ له شاغلُ وكلُّ على قربه نازِحُ
ولو لا قدومك كان ((الغريُّ)) لفقدهم وجهُهُ كالحُ
وإنّا لنأملُ نصرَ اللّيوث وأن يُلَقِّمَ الحجرَ النابحُ
ودام مقامُك للوافدين كالركنِ ما مَسَحَ الماسحُ

النجف عام ١٩٢٤

^(١) هو المؤتمر الذي عقد بدعوة من الشيخ ((مهدي الخالسي))، في كربلاء عام ١٩٢٢.

^(٢) ورد هذا البيت في طبعتي وزارة الثقافة والإعلام العراقية ودار العودة ((بيروت)) بالشكل الآتي:

وأقسمُ لو لا أمانٍ يُراض بتعليهنّ الحشا الجامع

يا فراتي

إي وعيشٍ مضى عليك بهيِّ وشُعاعٍ من شطّك الذهبيِّ
والتفافِ النّخيلِ حولك حتّى لو تقصّيتَ لم تجد غيري في
وانبساطِ السّفح الذي زاحمته دَفَعَاتُ من موجك الثّوريِّ
وسنا الشّمس حين مجّت لُعباً أرسلته من نورها الكسرويِّ
فتخالّ الضياء- والماء موجٌ في رواحٍ من جانبٍ ومحيّ-
كخيوطٍ من فضّةٍ بتنّ طوع الرّ يح بين الشمالِ والشرقيِّ
وابتسامِ البدرِ المطلِّ إذا ما بات يجلو الدّجى بوجهٍ وضيِّ
وزمانٍ حلّو كطلّ نديِّ لم يشبهه صفو السّماء بشيِّ
لو تحوّلت عن مجاريك أو حلّ ست لما جئت بالنكير الفريِّ

يا فراتي وهل يُحاكيك نهرٌ في جمال الضّحى وبرد العشيِّ
ملكث جانبيك عُربٌ أضاعوا إذ أضاعوا هماك عهدَ قصيِّ
نضجت بالصّغار منهم جلودٌ ولقد تنضج الجلودُ بكّيِّ
إي ومجرى الجياد يوم التّنادي ومجرّ الرماح حول النديِّ
دَسَسْتُ طُهرَكَ المطامع حتّى لم تُعد تنفّع الغليلِ بريِّ
الحنى.. أين منه نفسُ أبي والحمى.. أين عنه طُرفُ الحميِّ

لا القنا يومَ تشني لذبَّ عن حريم، ولا الطُّبى لكمي
آه.. لو لا خصبُ العراق وريفُ هو لولاه لم يكن بمري
ما استجاشت له المطامعُ والتفُّ ث عليه من المحلّ القصي
واستخفت به الشعوبُ، وباتت وهي ترنوله بلحظٍ خفي
قد نطقنا حتّى رُمينا بهجرٍ وسكتنا حتّى اتهمنا بعِي
ورضينا حُكْمَ الزَّمانِ وما كا نَ احتكامُ الزَّمانِ بالمرضي
فإذا كلُّ يومٍنا مثلُ أمسٍ وإذا كلُّ رُشدنا مثلُ غي
وعلمنا أن ليس نملكُ أمراً فصبرنا على احتكام ((الوصي))!

بغداد عام ١٩٢٤

النجوى

يقولون: ليلٌ علينا أناخ نهارٌ على الغربِ يُعشي العيوننا
وإننا نسينا عناء القلوب لأننا بهذا الدُّجى هادئونا
وأن ليس في الكون من رحمة يواسي بها معشراً آخروننا
فليت عيوننا سُهاداً درت بأننا - كعادتنا - راقدوننا
سألناكم عن مثار السديم فعن حُرْقِ الهَمِّ لا تسألونا
فلإن معاملكم والبخار وقلبي وزفرتة مستوتونا

أرى أمماً هي والمالكين متاعٌ أعد لمن يأكلونا
نظنَّهم خُلقوا للغلاب وأننا خُلقنا لأن يغلبونا
وعصرٌ تناهض فيه الجمادُ عجيبٌ به يجمُد الناهضونا
ألا هزةٌ تستثير الشعوب فقد يُدركُ النَّهْزةُ الثائروننا
ألا قبساً من شعاع الكليم تُعيدُ على الشرقِ يا ((طور سينا))
خليلي أين نبوغ العراق وأين ذوو حُكمه النابغونا
أذاك الذي خَلَفَ الذاهبون كهذا الذي ترك الوارثونا؟
أغير المطامع لا تعرفون وغير الهياكل لا تعبدونا؟
زيفاً وقد حُلّق المعتلون وزحفاً وقد أبعد الرَّاكضونا؟
ولسنا وقد أعجزتنا الحياة عن الموتِ في نيلها عاجزينا

وإن أنس لا أنس حول ((الفرات)) مناظرٌ تُصبي الحليم الرزينا
نسيماً يلاطف رخو النмир كما حرَّكَ الوَرَقَ اللاعبونا

وساكن جو يعيد الأثير
ونوراً كسا سُدفات الأثير
يدلُّك يا بدرُ هذا الجمالُ
كفتني الكرى داجيات المحاق
تجلى علينا إله الشعور
على مهل بعض هذا الخداع
إذا ما اعتلى البدرُ خيطَ الرمال
بأمرِكَ تحريك درع الفضا
سلامٌ على أنفُسٍ رُفِرت
خليلي حتّى وعورُ الجبال
ولي مضغةٌ بين عُوج الضلوع
فديتُ المنى أئمه راحةً
ولولا قلوبٌ تحسُّ الأذى
رقاقٌ ترى أنّ مَيْلَ الغصون
وأنّ من الشَّعر وهو الخيالُ
خليلي إنّ أدكار الصّبا

كما الحُبُّ شاء شجياً حزيناً
جمالاً يردُّ التّصايبى جنوناً
على الخلق لو أنصفَ الشاكرون
فجئتُ تُماسِحُ منى الجفون
سجوداً معي أيها الشاعرونا
فبورُك قد أوهمَ اللاقطينا
تخيّلها الطرفُ عقداً ثميناً
وإن رجم الخلق فيك الظنون
من الحبِّ هام بها المغرمونا
تَهيّجُ الصّبا لي والحنينا
تحاولُ أن تجعلَ الفوق دونا
ورُوحٌ يعيشُ بها الشاعرونا
لما عرف اللذة العاشقونا
إذا ما الصبا جال في الروض هونا
عروشاً وأنهم المالكونا
يُهيّجُ من عيشنا ما نسينا

هلمّوا رفاقي فهذا الضياء
أبن أيها البدرُ كيف النّجاة
وكيف استحال صفاء الربيع
وكيف اختفائي تحت الظلال

سينشُرُ أعمالنا إن طويننا
وأيّن اقتنصنا، وأنّى رميننا
هموماً تصاحبنا ما بقينا
زمان صباي مع اللاعيننا

وكيف اذا البدرُ حيّا الوهاد نَخِفُ لطلعتِهِ أجمعونا
نسيرُ على خُطُواتِ الشّماع كأنّا إلى غايَةٍ سائرنا
وكيف السّلام عَقِيبَ الصّدام وكيف التمازُجُ ماءً وطننا
أعيدوا الطفولةَ لي إنّهّا تُعيدُ النّزاهةَ لي واليقينا

وليلٍ أراني ديبُ السّنا بهِ كيفَ تحيا أمانِ بلينا
وقد ذهب اللّيلُ إلّا ذمّا كما ردّدَ النّفسَ الجارضونا^(١)
وأذن بالصّبح صوتُ الهزار كما هَيَّجَ النّعمَ العازفونا
صُداخٌ هو الشّعْرَ زاهي البيان يُكذّبُ ما زخرفَ المُدّعونا
وكم هاجَ في شدوه الأعجمي خواطرَ أعجزتِ المُفصّحينا
يهبُّ على نسماتِ الصّباح اذا ما استهانَ بها الرّاقدونا
خليليّ روح الحياة النّسيم فلو لا انتشاقُ الصّبا ما حيننا

ويومٍ تضاحكُ فيه الرّبيعُ وحيثُ وروّدُ الرّبى المجتلينا
تمشّى على الروضِ روحُ الإله فمالَ وملنّاله ساجدينا
حدائقُ خطّ عليها الجمال قصائدُ أعجزتِ النّاظمينا
كأنّ جلالَ الهوى شفّها ففاضتْ دموعاً وسالتْ عيوننا

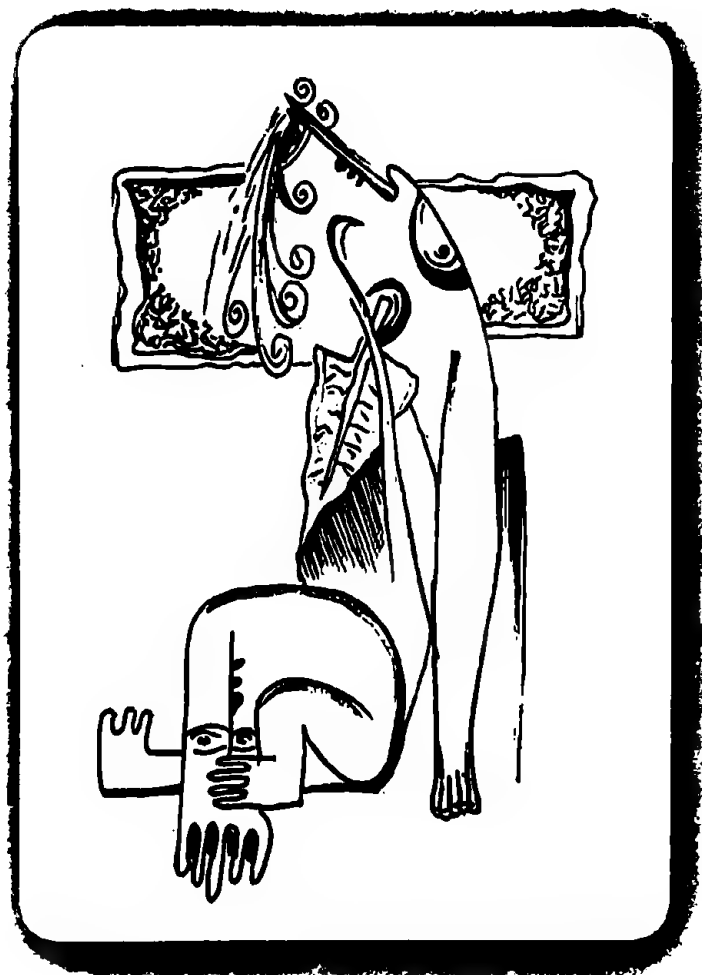
وساقية باتَ قلبُ الدُّجى يُعيد عليها الصّدى والأنيّنا
جرتُ وأجرتْ دموع الغرام فلا عذبَ الورْدُ للشاريينا

(١) الجرض (محرّكة): الغصص و((جَرَضَ)) يجرض غصص بريقه حتى أشرف على الموت.

عليها رياض كساها الرّيع
أحبّ الحقول لأنّ الجمال
فيا ساكني فجوات البطاح
نعيماً فلا ريح خاوي المهبّ
خليّ أفّ هذي المروج
وليتّ الفداء لكوخ الفقير
إذا ما استدارت خطوب الزّمان
فإنّ الهبوط بقدر الصّعود
ومنّ في البسيطة يفدي البسيط
مطارف يعياها المبدعون
تجمّع فيها فنونا فنونا
هنيئاً لكم أيّها الخالدون
ولا الرّوح ذلّ لها الطّامعون
إذا ما استبدّ بها المالكون
قصور أناف بها المترفون
ستعلم أيّهم الخاسرون
فإن شئت فوقاً وإن شئت دوناً
وفدي دؤو الجشع القانعين

ألا هل أتى نوماً في العراق
أحبّتنا إن همس البحار
أصيحوا ولو لا هتزاز القلوب
إذا ما وردتكم نمير الحياة
وإنّ لآخ صبح لكم فاذكروا
وإنّ عضالات هذا المحيط
هياكل أخنى عليها الجمود
أنّا لأجلهم ساهرونا
زفير الأجرة لو تعلمونا
فليس من العدل أن تؤحدونا
وراق لكم وزده فاذكرونا
بأنّا بليلى العمى خابطونا
نقائص أعوزها المصلحونا
فغير الذي وجدوا لن يكونا

النجف عام ١٩٢٤



عاطفات الحب

عاطفاتُ الحبِّ ما أبَدَعَهَا هَذَّبْتُ طبعي وصَفْتُ خُلُقِي
حُرَّقُ تَمَلُّاً رُوحِي رَقَّةً أَنَا لَا أَنْكَرُ فَضْلَ الْحُرْقِ
أَنَا بَاهَيْتُ بِمَوْتِي فِي الْهَوَى لَا بِشَوْقِي أَيْنَ مَنْ لَمْ يَشْتَقِ
ثِقَ بِأَنَّ الْقَلْبَ لَا تَشْغَلُهُ ذَكْرِيَاتٌ غَيْرُ ذَكَرَاكَ ثِقِ
لَسْتُ تَدْرِي بِالَّذِي قَاسَيْتُهُ كَيْفَ تَدْرِي طَعْمَ مَا لَمْ تَذُقِ
لَمْ تَدْعُ مِنِّي إِلَّا رَمَقاً وَفِدَاءً لَكَ حَتَّى رَمَقِي
مَضْبَحِي فِي الْحَزْنِ لَا أَكْرَهُهُ إِنَّمَا أَطِيبُ مِنْهُ مَغْبَقِي
إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ يُشْجِي نَقْلُهُ كَيْفَ لَوْ تَسْمَعُهُ مِنْ مَنْطِقِي
رَبِّ بَيْتٍ كَسَرَتْ نَبْرَتَهُ زَفَرَاتٌ أَخَذَتْ فِي مَخْنَقِي
أَنَا مَا عَشْتُ عَلَى دِينَ الْهَوَى فَهُوَ أَكْمَ بَيْعَةٍ فِي عُنُقِي

النجف عام ١٩٢٤

في بغداد

٢٠٧

ديوان الجواهري

يا نسمة الريح من بين الرياحين حي الرصافة عني ثم حيني
إن لم تُمرِّي على أرجاء شاطئها فليت لم تحملي نشراً لدارين
لا تعبقي أبداً الا مُعطرةً ريانةً بشذا وردٍ ونسرين
أهديت لي ذكرَ عصرٍ قد حيت به من علم الريح أن الذكر يُحيني
حيث الزمانُ وريقُ العودِ ريقه والدهرُ دهرُ صباباتٍ تواتيني
معي من الصبح يسعى كلُّ مُقتبلٍ نُصرِ الشباب طليق الوجه ميمون
خالٍ من الهَمِّ لو لامست غُرته أعداك واضح تهليل وتحسين
ولي إلى الكرخ من غريبها طربٌ يكاد من هزة للكرخ يرميني
حيث الضفافُ عليها النخلُ مُسقٍ تنظيم أياتٍ شعرٍ جدّ موزون
وللنسيم استراقٌ في مرايعها للخطو مشبيّ ثقل القيد موهون
يا ربّة الحسن لا يُحصي لنحصره وصفٌ فكلُّ معانينا كتخمين
والله لو لا ربوعٌ قد ألفت بها عيش الألفين أرجوها وترجوني
وأنّ لي من هوى أبنائها نسباً دون العشيرة للأصحاب ينميني
لاخترتها منزلاً لي أستظلُّ به عن الجنان وما فيهن يُغنيني
لحُبرّت كيف شوق الهائمين بها وكيف صفق عذولي كف مغبون
إخواننا حيث راق الجسرُ وانتظمت بُروجه بوجوه الخرد العيين
واعتلّ نشرُ الصبا من طولٍ ما حملت إلى مغانيكم أنفاسُ محزون
فالشمسُ كلُّ بروج الأفق تصحبها سيراً وتسري إلى برج بتعين
سقاكم ريقٌ من صوب غاديةٍ ينهل عن عارضٍ بالبشرِ مقرون
لا تحسبوا أن بُعد الدار يُذهلني عنكم ولا قصر الأيام يُنسيني

ضِيقُكُمْ قُلُوباً لَمَّا ضُمَّتْ جَوَانِحُنَا لَوْ كَانَ يُسْمَحُ فِي نَشْرِ الدَّوَابِّ
 ذَاوِي النَّبَاتِ هَشِيماً لَسْتُ آمِنٌ مِنْ رِيحِ الصَّيْبِ أَنَّهَا جَاءَتْ لِتَذَرُونِي
 خَلَّ الْمَلَامَةُ فِي بَغْدَادَ عَاذِلْتِي عَلَامٌ فِي شَمِّ رَوْحِ الْخُلْدِ تَلْحِينِي
 هَلْ غَيْرُ نَفْسٍ هَفَّتْ شَوْقاً لِمَالِئِهَا شَوْقاً، يَصْعَدُ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ
 أَمَّا النَّسِيمُ فَقَدْ حَمَلْتَهُ خَبِراً غَيْرُ النَّسِيمِ عَلَيْهِ غَيْرُ مَأْمُونٍ
 مَا سَرَّنِي وَفَنَوْنُ الْعِلْمِ ذَاوِيَّةٌ أَنَّ الْأَفَانِينَ لُفَّتْ بِالْأَفَانِينَ
 وَلَا الرِّبَوعُ وَإِنْ رَقَّ النَّسِيمُ بِهَا إِنْ كَانَ مِنْ خَلْفِهَا أَنْفَاسُ تَتْنِينَ
 هِيَهَاتَ بَعْدَ رَشِيدٍ مَا رَأَتْ رَشْداً كَلَّا وَلَا أَمِنْتَ مِنْ بَعْدِ مَأْمُونٍ
 أَمَّا اللِّسَانُ فَقَدْ أَعْيَا الضَّرَابُ بِهِ وَكَانَ جِدّاً رَهيفِ الْخَدِّ مَسْنُونٍ

النجف عام ١٩٢٤

عدّ عنك الكؤوس

عَدَّ عَنْكَ الْكَؤُوسَ قَدْ طَبِثْتُ نَفْسًا وَاسْقِنِيهَا مَرِاشِفًا لَكَ لُغْسًا^(١)
 إِنْ يُحْسَسَ الْغَرَامُ قَلْبِي فَحَقُّ خَلَقَ اللَّهُ عَبْدَهُ لِيُحْسِنَا
 لَسْتُ أَنْسَى عَيْشِي، وَخَيْرُ زَمَانٍ زَمَنْ طِيبُ عَيْشِهِ لَيْسَ يُنْسَى
 حَبَا دَجَلَةٌ وَعَيْشِي رَهْوٌ طِيبَ الرُّوحَتَيْنِ مَغْدَى وَمَمْسَى
 حِينَ أَيَّامُنَا مِنَ الدَّهْرِ يَوْمٌ فِيهِ تُسْتَفْرَغُ الْكَؤُوسُ وَتُحْسَى
 يَحْسَبُ الشَّرْبُ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الْغِيَا بَبَ وَهُمْ يَخْطُئُونَ ظَنًّا وَحَدْسًا^(٢)
 طَافَ وَهَنًا بِهَا عَلَيْنَا إِلَى أَنْ لَمْ يَكْدَأْ أَنْ يَعْيَ مِنَ الْقَوْمِ حَسًا
 عَيَّ مَنَا اللِّسَانُ فَالْكَلَّ خُرْسٌ يَنْقُلُونَ الْحَدِيثَ رَمَزًا وَهَمْسًا
 رَمْتُ كَأْسًا وَمَذْتَاجِلَجْتُ أَوْمِيَا سْتُ بِكَفِّي فَظَنَّنِي رُمْتُ حَمْسًا
 فَأَتَانِي بِهَا فَلَمْ اعْتَرِضْهَا حَذَرًا أَنْ يَكُونَ مِثْلِي جَبْسًا
 إِنْ رَدَّ الْكَرِيمُ عَارًا عَلَى النَّفْسِ سَ وَحَاشَايَ إِنَّنِي صُنْتُ نَفْسًا
 أَفْرَغْتُ كَالنُّضَارَةِ بَلْ هِيَ أَبَى فَعَلِيهَا لَمْ يَوْجِبِ الشَّرْعُ خَمْسًا
 وَلَهَا فِي الْعُرُوقِ نَبْضٌ خَفِيٌّ مِثْلَمَا يُمَسِّكَ الطَّيِّبُ الْمَجْسًا
 وَكَأَنَّ النَّدِيمَ لَمَّا جَلَاهَا أَفْقُ يُطْلِعُ الْمَسْرَّةَ شَمْسًا
 يَا نَدِيمِي أَمْرِي إِلَيْكَ فِرْذَنِي أَوْ فِدَعْنِي فَلَسْتُ أَنْطِقُ نَبْسًا
 لَا تَقْطُبْ إِنِّي أَرَى الْإِنْسَ جِنًّا وَتَبَسُّمَ لِأَحْسَبَ الْجَنِّ إِنْسًا
 مَا تَرَى الْفَجَرَ وَالْدَجَى فِي امْتِزَاجٍ مِثْلَ خَيْطِي ثَوْبٍ خِلَاطًا وَمَسًا
 كَمْ أَرَادَ الصَّبْحُ الْمَتَاحَ انْطِلَاقًا وَأَرَادَتْ لَهُ دَيَاجِيهِ حَبْسًا

(١) يهنيء بها صديقه بزفافه، اللعس بفتحيتين لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلا وذلك

يستملح ولعس جمع لعساء.

(٢) الشرب: بالفتح الشاربون.

ما شربنا الكؤوس إلا لآثنا أنت تدري حرمان ذي العقل في الند
 لا تملها عنّي وفي حراك إن عُمراً مستلطفاً باعه المرء
 أنا جلس الطلا ولسْتُ كشيخ لو يبيع الحمار ديناً بدين
 إن أحلى مما يسبح هذا الحب لا تلم في الطلا ولا في انتهاكي
 إن نيل الحرام أشهى من الحل قد طويت الحديث خوف رقيب
 وهجرنا الكؤوس لكن لعُرس وانتقلنا لكن لبرج سُعود
 هي جَلَّتْ عرساً فزيدت بهاء طاب مُسمى سروره فليكُز
 لك عمٌ أحياء مزايا ذويه لا تلمه إن هزّ للشعر عطفاً
 هو أصفى من اللجين وأوفى وهو إن يتسبب فمن أهل بيت
 قد رأينا فيها لحديك عكسا ساس فزدني منها جُنوناً ومسا
 واسقنيها حتى تراني ييساً^(١) بغير الكؤوس قد بيع بخسا
 خلّس الدين وهو يُحسب حلساً^(٢) لا شتراها وباع أخراه وكسا^(٣)
 رُقِرُغُ النديم بالكأس جرساً ما أبى الله.. إذ نهى أن تُحسا^(٤)
 وأحلى نيلاً وأعذب كأساً يتغني فيه مطعناً ليُدسا
 هو أصفى كأساً وأطيب أنسا قَرَنَ اللهُ فيه بَدْرُاً وشمساً
 دارةً المجد إنّه جلّ عرساً أبد الدهر مُصبحاً حيث أمسى
 وأرانا الجدودَ تنفضُ رؤسا إن فيه من دوحه المجد رسا
 في المعالي من الهضاب وأرسي أذهب الله عنه عاراً ورجسا

(١) اليبس: اليابس.

(٢) حلس: ملازم، لا يبرح.

(٣) الوكس: الغبن والغرم.

(٤) تحس: تشرب.

بيتٌ مجدٍ كالبحرِ طامٍ ولكن أنـت فيه أبا ((الضـيائـن)) مَرسى
يا ابنَ بنتِ البيت الذي كان نجماً لك سـعداً وفي أعاديـك نحـسا
لست أنسى مدحَ الجواد ومن كا ن من المدح فرضه كيف يُنسى
مستفيض الندى وكم من يمين صخرة زلقة الجوانب ملسا
خـيرت مادحـيك رقة طبع تحلفُ الخمرُ أنها منه أقسى
قد بلونا سـجـليك قبضاً وبسطاً وخبرنا دهرـيك نـعمى وبؤسى^(١)
فوجدناك في الجميع رضياً وحميداً مصبّحاً ومُتمسّـى
وهزـزنا في الأريحية عُصناً ورأينا في الدست رضوى وقُـدسا
وكان اللغات بتن يفرقـ من كما تشتهيـه نـعماً وبـئسا
فكسـون الصديق شهماً ونـدبا وأعدن العـدو نـدلاً ونكسا^(٢)
وارتديت العلى لباساً وتاجاً وسواك ارتدى الحـريـر الـدمـقسا
لك كف كالركن فينا فأقصى مـية الـنفس عندنا أن تُمـسا

وبليد لا يكتفي من سنا النار بومضٍ حتّى يجربَ لمسا
قال هل الحقّنه قلت: تغيا قال: حتّى غـارَه قلت: تُخـسا
رؤضت كفه فلولا رجا مُ الناس أقرى بها الطيور وعسا^(٣)
ردّ نـداه وبطشه وتُقاه واتركن حاتمياً وعمراً وقُسا^(٤)
وذكرنا في اليوم عُرس عليّ فكان السـرور قد كان أمسى

(١) السجل: الدلو، سجليك يراد بها حاليك.

(٢) النكس: الجبان.

(٣) أقرى وعسا بمعنى أطعم.

(٤) مدحه بالكرم والشجاعة والفصاحة، والمراد بـ عمرو: عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

حيث مُدّاحه تجول وثوب الـ
طاب غرساً مُصدّقاً لا كمن يُجسّد
هو قاسٍ إن أغضَبُوهُ ولكن
لو تكون النجوم بُرداً وتاجاً
إن علوتم فحقّكم أو لستم
هزني مدحكم فقلت ولا يصـ
أيتها المقتفون شأوي هلُمُّوا
أنا أليّت أن أعيد رسوماً
أنا لا أدّعي النبوة إلا
أنا في الشعر فارسٌ إن أغالب
كلُّ محبوبكة فلا تُبصِرِ المعنى
وإذا ما ارتمت عليّ القوافي
إن أكن أصغر المجيدين سنأ
طبقت شهرقي البلاد وما
نحس يُنضّي ومطرف السعد يُكسي
بُ نكراً إن قيل قد طاب غرساً
لو يهز الصفا نداءه لحسا^(١)
كسيناكهن عطفاً ورأساً
قد رفعتكم لكعبة الله أسأ
لح عود الغناء حتّى يُجسا
وخذوا عنّي البلاغة درساً
منه أضحت بعد ابن ((حبّوب)) درساً^(٢)
أنني أرجع المقاييل خرساً
يكن الطبع لي مجنّاً وثرساً
معمّى، ولا ترى اللفظ لبساً
نلت مختارها وعفّت الأخسا
فأنا أكبر المجيدين نفساً
جاوز عمري عشراً وسبعاً وخمساً

النجف عام ١٩٢٤

(١) الصفا: الصخر. وحسس: قطع.

(٢) ابن حبّوب: الشاعر محمد سعيد الحبوبي.

على مجلسي

على مجلسي ما دمتُ حيّاً أخطئها وفي مرقي إن ميتٌ خطوا نصائحي
فهل غير أن أفضي وعندي بئّة نعم سوف أشكوها لأهل الضرائح
بعين الهوى لي بالفراتين وقفةً أهاجتُ كمينَ الشوقِ بين الجوانحِ
وقد خفتَ الليلُ البهيمُ فما به سوى هاجساتِ الفكرِ لي من مطارحِ
أبهجُ من هذا جالاً ومنظراً فما بالها سُدتْ عليّ قرائحي
أعرفُ أمواجَ الفراتين مُهجتني إذا استَشَدُّوها عن قلوبِ طوائحِ
أبحثُ لكِ الشكوى فهل تسمعينها وإلا فبعدَ اليومَ لستُ بياحِ

أقمنّا بجوٍّ كلُّ ما عند أهله مجالسُ ألهامٍ صفيروا المدائحِ
ألا هل يعودُ الشعرُ فينا كأنه من الطهر يُملي عن غيوثِ رواشحِ
فأحسنُ مما ردّدتَ نبراتكم من الكلمِ العاري غناء المسارحِ
قطعتُ ولم يبلغ بي العمرُ شوطه من الشعرِ، أشواطاً بَعَادَ المطارحِ
فقل لسنّيح الطير إن لم ترق له أهازيجُ شعرٍ أينَ عنه ((سوانحي))

النجف عام ١٩٢٤

الشاعر

لا أريدُ ((النأي)) إني حاملٌ في الصدرِ نايًا
عازِفاً آنأً فأنأً بالأُماني والشُّكَايا
البلايا أنطَقْتُه سامحَ اللهُ البلايا
حافظاً كلَّ الذي مرَّ عليه كالمرايا
سيئَءَ الحالِ ولكنَّ حُسْنَتَ منه النوايا
حجزَ الهَمُّ على أنفاسِه إلا بقايا
أفلتت في نبراتٍ شائعاتٍ في البرايا
ترقصُ الفتيانُ إن غَنِيْتُ فيه والفتايا
هو وِردي في صباحي وصَلاتي في مسايا
مُعجِزٌ تهيجُ كـ لِّلْ مَغْنَيْنِ سِوَايا
أدركتُ ظاهِرَه النَّـ اسُ وأدركتُ الخفايا

رئةُ المِعْوَلِ في الخُـ فرةٌ صوتٌ للمنايا
كومةٌ للرملِ أم جُمُمةٌ طارتُ شظايا
حملَ الناسُ سكوناً وجَلالاً في الحنايا
شاعراً أدركه المـو تٌ غريباً في الزوايا
سبرَ الأفقَ بعينٍ أدركتُ منه الخبايا

فانبرى يُوحي إلى النَّـ س من الأسرار آيا
ثمَّ أغفاهما وفي النَّفـ س ميوْل ونوايا

قال لَمَّا لَقْنُوهُ: أَنَا لَا أَمْلِكُ رَايَا..
لَسْتُ أَدْرِي مَا أَمَامِي.. لَسْتُ أَدْرِي مَا وَرَايَا..
لَا أَرَى مَن شَيِّعُونِي مَنكُمْ إِلَّا مَطَايَا..
رَجَعْتُ إِذْ لَمْ يَجِدْ سَا ثَقُهَا لِلْسَّيْرِ غَايَا..
حَزِنَ ((الشَّيْخُ)) وَلَكِنْ ضَحِكْتُ مِنْهُ الصَّبَايَا

النجف عام ١٩٢٤

كذب الخائفون

رمى الأفق طرفه فترامى ورأى الحق فوقه فتعامى
كل يوم للحاكمين كؤوس جرعوها الشعوب جاماً فجاما
كذب الخائفون ما الضيم منا أي شعب يرضيه أن يستضاما؟
إن حفظتم على الصدور وساما فمن الشعب قد أضعتم وساما
آيتا العرب في ندى وزحام طيوا ذكركم، وموتوا كراما
أنا ذاك الحر العراقي إما حن يستنهض العراق الشاما

النجف عام ١٩٢٤

سبحان من خلق الرجال

يا للرفاق لموطنٍ جَوَّابه حتَّى ازدرى أخلاقَه فتخلَّقا
فإذا نزت همَّجٌ إلى طمع نزا أو صَفَّقَتْ فيه قروءٌ صَفَّقا
ترك القريبَ من الصلاح ففاته ورجا البعيدَ من الظنون فأخفقا
دبَّست عقارِيَّه إلى جيرانه أو ما ترى بغداد أعدت جَلَّقا
أهلُ ((الخورنق)) و((السدير)) ولو سعوا رفعوا سديراً ثانياً وخورنقا

سبحان من خلقَ الرجال فلم يجذ رجلاً يحقَّ لموطني أن يُخلقا
ما إن يزأل مرشَّحاً لأموره مُتَجَبِّراً، أو طامعاً، أو أحمقا
وطني وداؤك أنفُسٌ مملوءة جَشَعاً فمن لي أن تُبَلَّ وتُفَرِّقا^(١)
بلوى الشعوب مخادعون إذا ادَّعوا للنصح كذَّبتِ الفِعالُ المنطقا

الآن يلتمسون فكَّ وثاقه من بعد ما نزل البلاء وأحدقا
وطني ومن لك أن تعود فترتقي من بعد ما أعيأ وعزَّ المرتقى
ما أن ترى عينٌ كصَبْحِكَ مَضْبَحاً للعاشقين، ولا كليلِكَ مَغْبَقا

(١) الإفراق: الإبلال من المرض.

زَهَرْتُ رِيَاضُكَ وَاجْتَلَيْتَ مَحَلًّا^(١) وَصَفْتُ مِيَاهَكَ وَاحْتَسَيْتُ مَرْتَقَا^(٢)
أَفْتَلَكُ دَجَلَةً بِالنَّعِيمِ مُرْقَرَقَا^(٣) تَجْرِي وَبِالْعَذْبِ الزَّلَالِ مُصَفَّقَا^(٤)
بَاتَتْ تَدْفِقُهَا الرِّيحُ وَإِنَّمَا ضَاقَتْ مَسَايِلُ مَائِهَا فَتَدْفِقَا
وَبَكَتْ لَوَارِدَهَا أَسَىُّ وَكَأَنَّهَا أَمْسَتْ تُصْعَدُ مِنْهُ صَدْرًا ضَيِّقَا
أَقْصَى مَرَامِكَ أَنْ تَغِيضَ فَتَشْتَكِي ظَمًا رُبُوعُكَ، أَوْ تَفِيضَ فَتَغْرَقَا
لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الَّذِي أَنْبَتَهُ مَا حَلَّ فِيكَ مِنَ الْأَذَى مَا أَوْرَقَا
رَجَعْتَ خِلَاءُ أَكْفَهُمْ بِكَ ثَرَةً وَرَجَعْتَ أَنْتَ أَبَا الْخِزَانِ مُمْلِقَا
اشْفَقْتُ مِمَّا قَدْ مُلِكتَ قَسَاوَةً أَنْ لَا تَرِقَّ إِذَا مُلِكتَ فَتُشْفِقَا
مَالِي وَطَارِقَةُ الْخُطُوبِ إِذَا دَهَتْ فَلَكُمْ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ لَا تَطْرُقَا
عِزُّمُ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَى حُدُّهُ مِثْلُ الْكِهَامِ إِذَا اسْتَوَى فَتَفْتَقَا^(٥)

مَثَلُ جَرَى فِيهَا مَضَى لِمَحَنِّكَ مِنْ ((يَعْرِبِ)) رَامِ السَّدَادِ فَوْقًا
أَعْيَابُهُ جَمْعُ الْعِصِيِّ فَلَمْ يُطِيقْ تَحْطِيمَ وَخَدَتَهُنَّ حَتَّى فَرَّقَا
أَهْدَى لَكُمْ، لَوْ تَقْتَفُونَ سَبِيلَهُ مَثَلًا بِهِ كَانَ السَّبِيلَ إِلَى الْبَقَا

النجف عام ١٩٢٤

(١) محلاً: ممنوع، مطرود. مرنق: كدر.

(٢) المصنفق: المصفى.

(٣) الكهَام: جمع كهامة وهي وعاء الطالع وغطاء الزهر.

بم أستهل؟

رثى الشاعر بها السيد ((محمد علي الحكيم))، وقد توفي بوباء (الكوليرا) الذي اجتاح البصرة سنة ١٩٢٤، وكان الفقيه في ريعان شبابه، وهو من أصدقاء الشاعر المقربين.

بِمَ أَسْتَهْلُ بِمَوْتِهِ وَرِثَائِهِ؟ أُم قَبْلَ ذَاكَ بَعْرِسِهِ وَهَنَائِهِ
عَيَّ اللِّسَانُ فَإِنْ سَمِعْتَ بِمَقُولٍ فاعلم بَأَنِّي لَسْتُ مِنْ أَكْفَائِهِ
هُوَ مَوْقِفٌ مَا بَيْنَ قَلْبِي وَالْأَسَى جَلِّي، فَكَانَ الصَّبْرُ مِنْ شَهْدَائِهِ
سَكَنَ الثَّرَى مِنْ كَانَ لَا يَطْأُ الثَّرَى وَهُوَ إِلَى وَكَانَ فِي جُوزَائِهِ^(١)
وَلَقَدْ خَشِيتُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِ الصَّبَا أَسْفًا لَوَاهُ الْمَوْتُ فِي نَكْبَائِهِ^(٢)
نَجْمٌ هَوَى مِنْ أَفْقِهِ فَتَنَاقَصْتُ وَلِتَشْهَدَنَّ عَلَيْهِ شُهْبُ سَمَائِهِ
مَنْ كَانَ يَفْتَرِشُ الْجَفُونَ وَطَاؤُهُ قَدْ وَسَدَتْهُ التَّرْبُ غَيْرَ وَطَائِهِ
بَشْرَى أَيْبِكَ وَبُورِكَ الْعُرْسُ الَّذِي زُفُوكَ فِيهِ ثَرَى بَوْغَائِهِ^(٣)
مَا الْمَوْتُ أَطْبَقَ نَاطِرِيكَ وَإِنَّمَا رَقَّ الصَّبَا فَكَرَعْتَ مِنْ صَهْبَائِهِ
أَجَانِبًا عَرَضَ الْبَسِيطِ أَعْيَذُهُ مِنْ أَنْ يَضِيقَ عَلَيْكَ رَحْبُ فَضَائِهِ
لَكِنْ رَأَى زَمَرًا تَمُورُ وَعَالَمًا خَلَطَ الظَّلَالَ هَدِيرُهُ بَرُغَائِهِ
فَطَوَاكَ فِي أَحْشَائِهِ مَتَخَوِّفًا مِنْ أَنْ يَضِيعَ الدَّرُّ فِي حَصْبَائِهِ
هَذَا الرِّيْعُ - وَأَنْتَ مِنْ أَزْهَارِهِ - يَكِيكَ طَيْبٌ أَرْيِجُهُ وَهَوَائِهِ
أَسْفًا فَلَا رَوْضَ الْحَمَى زَاهٍ وَلَا نُوَارُهُ مَتَفَتِّحٌ بِشِذَائِهِ
مَا اهْتَزَّ نَعْشُكَ يَوْمَ صُفْفَ عَوْدُهُ إِلَّا لِأَنَّكَ كُنْتَ مِنْ خُطْبَائِهِ
يَكِيكَ مِنْبَرُكَ الرِّفِيعُ وَإِنَّمَا يَكِي لَفَقْدِ وَقَارِهِ وَعِلَائِهِ
قَدْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَبْلُغَ مُنِيَّةً حَتَّى يَرَاكَ وَأَنْتَ مِنْ بَلْغَائِهِ
لَا تَوْقُظُوهُ بِالْأَدْمُوعِ فَرَبِّمَا أَغْفَى لَطُولَ سُهَادِهِ وَعَنَائِهِ

(١) وهوى اليه وكان: في الأصل - ((وهوى له من كان)) - وهي من تعديلات الشاعر المتأخرة.

(٢) من نفس: من مر - وهي من التعديلات المتأخرة.

(٣) البوغاء: التربة الرخوة.

ولقد خشيتُ عليه قبلَ حمامه أن سوف يُحرقَ لهيبُ ذكائه
 غصنُ لوتهُ الحادثاتُ فلم يُطِقْ دفعاً لها فذوى بخضرةِ مائه
 جاذبتهُ فضلُ الحياةِ فقصّرتُ منه وما قصّرتُ فضولُ ردائه
 قالوا أأعوزه الدواءُ جهالةً ولربّما ماتَ الفتى بدوائه

يا أيّها ((السّلكُ)) المبلغُ نعيه هلاّ حملتَ لنا حديثَ لقائه^(١)
 ركبٌ تحمّلَ والحمامُ يسوقه عَجلاً ووقعَ البرقُ صوتُ حُدائه
 قلتُ: البشارةُ بالقدومِ، فهذه أوتارُهُ هزَجَتْ بلحنِ غنائه
 فإذا على أسلاكِهِ مهزوزةٌ نبأ يرنُّ الحزنُ في أثنائِهِ^(٢)
 عَجَباً له خلو الحشامِ من لوعةٍ وجليلُ رزءِ الموتِ في أحشائه^(٣)
 قاسٍ تحمّلَ وقعَ كلِّ عزيمةٍ جَلَلٍ تحطُّ البدرُ في عليائه
 كالعودِ في أهزاجِهِ، والسّهمِ في إصمائه، والطّرفِ في إيمائه
 متملّكٌ سمعَ الملوكِ وإنّما يروي فصيحَ القولِ في فأفائه
 لا يستكينُ السّرُّ بينَ ضلوعِهِ وتراهُ محموداً على إفشائه
 تتراجعُ الأفكارُ رازحةً الخطى ما بينَ عودتهِ إلى إبدائه

(١) يقصد سلك البرق.

(٢) فإذا على أسلاكه مهزوزة: في الأصل، رنت لنا أسلاكه ودوى بها. من التعديلات المتأخرة.

(٣) خلو: في الأصل، خالي.

ما كنتُ أعلمُ ((والغريُّ)) حِلَّةً لك أن ستقضي في ربي ((فيحائه))^(١)
 كنتُ الهلالَ تنقلاً وقد ارتدى ثوبَ المحاقِ رعايةً لإخائه
 لفؤوه في شطنِ الردى ومضى فلم يحللُ لغيرِ الله عقدَ قبائه^(٢)
 أفديه مصدورَ الفؤادِ تقاطرت أفلاذهُ بالنارِ من صُعدائه
 أبكيه رِيَّانَ الشَّبابِ، رداؤه نُضِرُ الصَّبا، شَرِقُ بحسنِ روائه
 أبكيه منطوياً على نارين من داءِ النَّوى، وهو الأَمْضُ، ودائه
 أبكيه مذعوراً تقسَّمَ طرفُهُ ما بينَ أهليهِ، إلى رفقاءهِ
 أو بعدما بَرَقَتْ أسرَّتُهُ لنا وبَدَتْ مخايلُ حُسنِهِ وبهائِهِ
 تتناشُهُ كَفُ المنيَةِ صارماً عَضْباً يَفُلُّ العَضْبَ حَدُّ مضاءهِ
 ما بعدَ يومك غيرُ عينِ ثَرَّةٍ ومدامِ سُحٍّ وحِلْمِ تائه
 لا تسألني عن ((أبيكَ)) فبعض ما لا قِلاه أن بكاءنا لبكائه
 عينُ تسيلُ دماً لفقدِ سوادها وحشى يذوبُ أَسَى على سودائه
 والمرءُ سلوةٌ واليدُ متصبرٌ فإذا استقلَّ فصبرُهُ بإزائه
 ولقد عَهدْتُكَ والشَّمالكُ غَضَّةً غنيَ النَّدِيمِ بهنَّ عن نُدمائِهِ
 قالوا: ((الوباءُ)) فقلتُ من أدوائنا وهو القَتيلُ بهنَّ لا بوبائه
 رُحْ سالماً، ودَعَ الحياةَ لجاهلٍ وغروره، أو عالمٍ وريائه
 والدينُ، كلُّ الناسِ تعرِفُ حَمَلُهُ والفرقُ كلُّ الفرقِ عندَ أدائه
 هل كنتَ لو نُجِّيتَ إلّا ساخراً من حُكمِ دَهرِكَ، سادراً بشقائقهِ
 صبراً أباهُ، وإنْ دهاكَ برزئه دهرٌ يذوبُ الصَّبْرُ في أرزائه

(١) الفيحاء: البصرة حيث كانت تقيم أسرة الفقيد.

(٢) الشطن: الحبل.

أَخَذَ الْإِلَٰهَ وَأَخَذَهُ أَجْرُ كَمَا أَعْطَى وَكَانَ الْفَضْلُ فِي إِعْطَائِهِ
وَلَرَبِّمَا جَزَعِ الْفَتَى مِنْ عَلَّةٍ كَانَتْ سَبِيلَ الشُّكْرِ عِنْدَ شَفَائِهِ
صَبْرًا وَشَافِعُ مَنْ تَسَمَّى ((مَحْسَنًا)) أَمَلُ بِحَسَنِ الصَّيْرِ عِنْدَ بَلَائِهِ^(١)
بِالْحُلْدِ عَنْ هَذَا الْحَيَاةِ تَصَبُّرًا يُغْنِي وَعَنْ أَكْدَارِهَا بِصَفَائِهِ
إِنِّي نَظَمْتُ الدَّمْعَ فِيهِ قَصِيدَةً لَمَّا وَجَدْتُ الْقَوْلَ دُونَ رِثَائِهِ
وَعَلِمْتُ أَنَّ الْحُلْدَ مَلِكُ ((مَحْمَدٍ)) فَعَسَى أَكُونُ هُنَاكَ مِنْ شِعْرَائِهِ
صَبْرًا وَإِنْ ذَهَبَ ((الْعَلِيُّ)) وَأَنْتُمْ ((بَسْعِيدٍ)) هَذَا الْجِيلُ مِنْ سَعْدَائِهِ^(٢)

النجف عام ١٩٢٤

ملاحظة:

بعد عام على الوفاة نقل جثمان الفقيد من البصرة إلى النجف فأقام والده مجلس
الفاحة فنظم الجواهري قصيدة أخرى منها هذه الأبيات:

أَعِيدَ لِأَهْلِهِ نَعَشُ الْفَقِيدِ فَعُدْنَا لِلصَّبَابَةِ مِنْ جَدِيدِ
أَعِيدَ لِأَهْلِهِ صَعْدًا وَلَكِنْ أَعِيدَ مِنَ الصَّعِيدِ إِلَى الصَّعِيدِ

(١) محسن، هو ((محسن الحكيم)) والد الفقيد.

(٢) سعيد: هو أخو ((محمد علي)) الجيل: في الأصل، الدهر.

على حدود فارس

أحبّنا بين محاني العراق كلفتم قلبي ما لا يُطاق
العيش مرّ طعمه بعدكم وكيف لا والبُعْدُ مرّ المذاق
أمنيّةٌ تعاقبها شقوةٌ آه على أمنيّةٍ لا تُعاق
كلُّ لياليكم هنيئاً لكم بيضٌ وذهري كلّهُ في محاق
لي نفسٌ كيف بتّ صعيده والشوقُ مني آخذٌ بالخِناق
الله يرفعني ((حمداً)) إنه غادرني ذكراه رهنُ السياق^(١)
هل جاءه أن أخاه متى يذكره يشرق بدموع المآق

يكفيكم من لوعتي أنني في فارس أشتاقُ قُطرَ العراق
لا سوّحها وهي جنانٌ زهتُ بكلِّ مارقٍ جمالاً وراقٍ
ولا الرّبي مخضرةٌ تزدهي حسناً حواشيها اللطافُ الرِّقاقُ
خُطَّتْ على أوساطها خضرةٌ سبحان من قدّر هذا النِّطاقُ
تنال من شوقي وهل سلوةٌ لمن قضى الله له أن يُشاقُ
صبّ الشتاءُ الثلجَ فوق الرُّبى يرفعُهُ فيها طباقاً طباقُ

(١) حمد: شقيق الشاعر الصغير، وهو الاسم المحبب له، أمّا الاسم الحقيقي فهو ((جعفر)) وهو

((شهيد يوم الوثبة)) عام ١٩٤٨.

حتّى إذا الصيفُ انبرى واغتدتْ تُصَبِّحُ الأرض بكأسٍ دهاقٍ
هَبَّ عليها ريحُها لا صَحَا وماسَ سُكراً روضُها لا أفاقٍ
أحسنُ ما في وجهِ هذا الثرى عيُونُهُ، لا رُمِيَتْ بانطباقٍ
تجري وتجري أدمعي ثرّةً وأدمُعي أولى بشأو السباقِ
لم يُجَيِّ هذا الماءُ مَيِّتَ الثرى لو لم يكن ماءً المروج استراقِ
ليس يقي النفسَ امرؤ من هوى إلّا إذا كانَ من الموت واقِ

النجف عام ١٩٢٤

الذكرى المؤلمة

أقول وقد شاقنتني الريحُ سحرةً ومن يذكر الأوطان والأهل يشتقي^(١)
ألا هل تعود الدار بعد تشتت ويجمع هذا الشمل بعد تفرق
وهل تنتشي ريح العراق وهل لنا سبيل إلى ماء الفرات المصفق
حيب إلى سمعي مقالة ((أحمد)): ((أحبنا بين الفرات وجلق))^(٢)
فوالله ما روح الجنان بطيب سواكم، ولا ماء الغوادي بريق
ووالله ما هذي الغصون وإن هفت بأخفق من قلبي إليكم وأشوق
شربنا على حكم الزمان من الأذى كؤوساً أضرت بالشراب المعتق
فمن كان يهنيه صبح ومغبق فإن من البلوى صبحي ومغبي

خليلي لا تلحى سهام مصائب أتحت فلولا حكمة لم تُفوق
تعنف أحكام القضاء حماقة كأن القضاء الحتم ليس بأحق
كفى مخبراً بالحال أن ليس منية لنفسي إلا أن نعود فلتلقي
وما فارس إلا جنان مضاعة ويارب خمير لم تجد من مُصفق
هنيئاً فلا مسرى الرياح بواهن وبى ولا مجرى المياه بضيق

(١) يتشوق الى العراق وهو يصطاف في ايران.

(٢) أحمد: ابو العلاء المعري.

أتى الحسنُ توحيه إليها من السما يدُ الغيثِ في شكلِ الكمامِ المفتقِ
مضى الصيفُ مقتاداً من الحسنِ فيلقاً وجاء الشتاء زحفاً إليها بفيلقِ
كأن الثلوجَ النازلاتِ على الربى عمامُ بيضٍ كُورَتْ فوق مفرقِ

النجف عام ١٩٢٤

على كـرند^(١)

خليليّ أحسنُ ما شاقني بفارسَ هذا الجمالُ الطبيعي
إلى الآن تجري مُتونُ الجبالِ علينا بمثل مُذاب الدُموعِ
هَلُمّا معي نحو هذي الرياضِ نجدُ عهداً بفصلِ الربيعِ
فقد أضحَتِ الأرضُ مخضرةً تضاحكُ عن شملِ حسنِ جميعِ
ومهلًا فظلمُ هذا الجمالِ نمرُّ عليه بلحظٍ سريعِ

خليليّ إنَّ جيوشَ الغمامِ عرفنَ لفارسَ حسنَ الصنيعِ
ألم ترياً كيف ضرعُ الغمامِ يرقُّ لهذا النباتِ الرضيعِ؟
ولم لا تريعِ بأريافها بلادُ تسيلُ بماءِ مريعِ؟
خليليّ ما في بقاعِ الوجو دأبهجُ من وشي هذا البقيعِ

بني الفرسِ فارسُكم لا العراقِ وزاهي رُبوعكم لا ربوعي
وما أبهجَ الشمسَ عند الغروبِ يُحيي رُباهَا وعند الطُلوعِ

(١) كـرند: مصيف في إيران.

خَلِيلِي مَا غَيَّرَتْ فَارِسُ حَلَّ الْبَصِيرِ بِكُمْ وَالسَّمِيعِ
وَلَوْ شِئْتُ حَمَلْتُ بِرَقِيَّةً تُزِفُ لَكُمْ مِنْ رَجِيفِ الضُّلُوعِ

إيران عام ١٩٢٤

الريف الضاحك

كُلُّ أَقْطَارِكِ يَا ((فَارِسُ)) رِيْفُ طَابَ فَصْلَاكَ: رِيْعٌ وَخَرِيْفُ
لَا عَرَتْ أَرْضُكَ مِنْ لَطْفٍ فَقَدْ ضَمِنَ الْحَسْنَ لَهَا جَوْ لَطِيْفُ
يَا رِيَاضاً زَهَرَتْ فِي فَارِسٍ شَكَرْتُكَنَّ عُيُونٌ وَأَنْفُوفُ
مِثْلَهَا لِلْقَلْبِ مِنْ حَرِّ الْجَوَى رَفْقَةً لِلطَّيْرِ فَيَكُنَّ رَفِيْفُ

أَلِشَيْءٍ غَيْرَ أَنْ نَقْطِفَهُ ثَمراً غَضّاً دَنْتُ مِنْكَ الْقُطُوفُ
نَزَلْتُ ضَيْفاً بِهَا أُرْوَا حُنَا فَقَرَنْتُهَا خَيْرَ مَا تُقَرِّى الضُّيُوفُ
مِنْ جَمَالٍ خُطَّ مَعْنَاهُ عَلَى فَارِسٍ وَاخْتَصَّتِ الْأَرْضُ حُرُوفُ
وُخْيَالٍ تُطَرِّبُ النَّفْسَ بِهِ هِزَّةُ الرُّوضِ وَيَشْجُوها الْحَفِيْفُ
صَنْعَةً لِلْفَرَسِ فِي الْوُشْيِ وَلَا مِثْلَ مَا وَشَى بِهَا الرُّوضُ الْمَقُوفُ
لَدَّ مَشْتَاهَا فَأَنْسَانَا بِمَا هَزَّ مَنْنَا أَنَّهُ لَدَّ الْمَصِيْفُ
مَا لِأَكْنَافِ الرَّبَى مَبِيضَةٌ أَتْرَاهَا بُدِّلَتْ مِنْهَا الشُّفُوفُ
أَمْ هُوَ الشَّيْبُ دَهَاها عَجَباً شَيَّبَتْ حَتَّى الرَّبَى هَذَا الصَّرُوفُ
إِنَّمَا جَلَّلَهَا الثَّلَجُ الَّذِي غُمِرَتْ مِنْهُ جِبَالٌ وَكُهُوفُ
فَارِسُ أَيْنَ وَأُلْفُ الصَّبَا أَوْ هَلْ يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ أَلِيْفُ؟

أَمِنْ النَّاسِ تُرْجِي صَفْوَةً عَنْكَ يَا نَاشِدُ فَالْحَيُّ خَلُوفُ
لَا تَعُدْ تَسْلُكُ فِيهَا قَفْرَةً فَطَرِيقُ الْوَدِّ فِي النَّاسِ مَخُوفُ
كُلُّ هَذَا وَهُوَ يَوْمٌ وَاحِدٌ كَيْفَ لَوْ مَرَّتْ مِائَتٌ وَأَلُوفُ

قد تناوَمْنَا على رُغمِ الكرى لنراكم أَفلا طيفٌ يطوفُ
سِمةً للشوقِ كانت سبباً لسؤالِ الناسِ: مَنْ هذا النحيفُ؟
لا تقولوا وَحدةً تُوحِشُهُ كيف يستوحشُ والشوقُ رديفُ
أيها الحُضُرُ وفي أبياتكم أوجه تُفدى بما ضمّ النصيفُ
لم يفتها ترفُ الظلِّ ولا نالَ من أوراكها السيرُ الوجيفُ^(١)
جذا حُبُّكم من معهدٍ كم نما فيه أديبٌ وظريفُ

إيران عام ١٩٢٤

(١) الوجيف: السريع.

بين قطرين

متشوقاً إلى العراق خلال اصطيفائه في إيران

سقى ثربها من ريقِ المزن هطالُ دياراً بعثنَ الشوقَ والشوقُ قتالُ
خليليَّ أشجى ما ينغصُّ لذتي مناحُ أقامته عيالُ وأطفالُ
وأيدٍ وأجسادٌ تمُدُّ وتلتوي ومنهنَّ حالٍ بالدموعِ ومعطالُ
خليليَّ لو لم ينطقِ الوجدُ لم أقل فقد كذبت قبلي لذي الحبِّ أقوالُ
وحيداً فلورُمتَ على الوجدِ شاهداً لما شَهِدتُ إلا بُكوراً وأصالُ
وما برحت أَيْدي الخطوبِ تنوشُني بفارسٍ حتَّى بغَضِّ الحلِّ ترحالُ
وما سرَّني في البُعدِ حالٌ تحسَّنتُ بلادي أشهى لي وإن ساءت الحالُ
فمن شاقه بَرْدُ النعيمِ بفارسٍ فلاني إلى حَرِّ العراقينِ مَيَّالُ
أحبُّ حصاها وهو جمرٌ مؤجَّجٌ وأهوى ثراها وهو شوكٌ وأدغالُ

وإني على أن البلادَ جميلةٌ تروق كما ازدادت من الدلِّ مكسالُ
منعمةٌ أمّا هواها فطيِّبٌ نسيمٌ وأمّا الماءُ فيها فسلسالُ
يسيل على أجبالها وهو جُنةٌ ويجري على حصائبها وهو أوшалُ
تحيط به خُضرُ الرياضِ أنيقةٌ كما رُقمت فوق الصحائفِ أشكالُ
أحنُّ إلى أرض العراقِ ويعتلي فؤادي خُفوقٌ مثلما يَحْفُقُ الآلُ
وما الهولُ غُشيانَ الدروبِ وضيئها عراكُ الهوى والوجدُ والذكرُ أهوالُ

خليليَّ أدنى لليبِ رُقِيَّةُ إلى النجم من أن يَسْلَمَ العزُّ والمالُ
ألا مُبلغٌ عني ((المعرِّي)) أحمداً لُسمِعَه والشعرُ كالريحِ جوالُ
بأنِّي وإياه قُرِينا مصائباً وإن فرقت بين الشعورينِ أحوالُ
وإني وإياه كما قال شعره: ((مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلالُ))

((تَمَنَيْتُ أَنْ الْخَمْرَ حَلَّتْ لِنَشْوَةٍ تُجَهِّلُنِي كَيْفَ اسْتَقَرَّتْ بِي الْحَالُ))
أَحْبَايَ بَيْنَ الرَّافِدِينَ تَيَقَّنُوا بَأَنِّي وَإِنْ أَبْعَدْتُ عَنْكُمْ لِسَالٍ
لَنْ رَاقَكُمْ مَاءُ الْفِرَاتِ وَظَلَّلْتُ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّفْصَافِ وَالنَّخْلِ أَظْلَالُ
فَلِإِنِّي مِنْ دَمْعٍ عَلَيْكُمْ أَذِيلُهُ شَرِبْتُ وَمِنْ سَوْدَاءِ قَلْبِي أَكَّالُ
لَقَدْ كَانَ هَذَا الْقَلْبُ فِي الْقُرْبِ مَضْغَةً وَهَاهُو مِنْ بَعْدِ الْأَحْبَةِ أَوْصَالُ

ايران عام ١٩٢٤

الأحاديث شجون

يتشوق فيها إلى العراق في أثناء اصطيفه في إيران

ضَحِجَتْ فِيهَا مِنَ الرُّوضِ وَجُوهٌ وَجَرَتْ بِالسَّلْسَلِ الْعَذْبِ عُيُونُ
وَاکْتَسَتْ بِالْحَسَنِ هَامَاتُ الرَّبَى كَيْفَمَا شَاءَ لَهَا الْغَيْثُ اهْتَوْنَ

حَبَّذَا فَارِسُ مِنْ مُسْتَوَظِنٍ عَافَهُ الْأَهْلُ وَخِلَاءَهُ الْقَطِينُ^(١)
أَفْهَذَا قَصْرُ ((فَرِهَادِ)) الَّذِي جَمَعْتَهُ مَعَ ((شِيرِينَ)) الْمَنُونُ
مَثَلًا لِلْحَبِّ دُورًا طَاهِرًا لَمْ يَشِبْ أَثْوَابُهُ الْبَيْضُ مُجُونُ
لَيْسَ مِنْهُ غَيْرُ رَسْمٍ دَارِسٍ تُخِيرُ أَنْ رَحَى الدَّهْرُ طَحُونُ
أَوْ لَا ((كَسْرَى)) وَلَا أَجْنَادُهُ خُلِّيتْ مِنْهُمْ قِلَاعٌ وَحُصُونُ
سَلَفَتْ فِيهِمْ سَنُونُ تَرْفَأُ وَأَتَتْهُمْ بِالْبَلَيَّاتِ سَنُونُ
وَكَذَا الدَّهْرُ عَلَى عَادَاتِهِ إِنَّ صَفَا حِينَ نَبَا وَالتَّاثُ حِينَ
جَدَّدِي رِيحَ الصَّبَا عَهْدَ الصَّبَا وَأَعْيَدِي فَالْأَحَادِيثُ شُجُونُ
إِنْ أَبَاحَتْ لِكَ أَرْبَابُ الْهَوَى سِرَّهُ فَالْحَكْمُ عِنْدِي أَنْ يَصُونُوا
يَوْمَ كُنَّا وَالْهَوَى غَضُّ وَمَا فُتِحَتْ إِلَّا عَلَى الطُّهْرِ الْعُيُونُ
مَا عَلِمْنَا كَيْفَ كُنَّا وَكَذَا دِينَ أَهْلِ الْحَبِّ وَالْحَبُّ جُنُونُ

أَشْرَقَ الْبَدْرُ عَلَى هَذَا الرَّبَى أَفْلا يُحْسِفُهُ مِنْكُمْ جَبِينُ
جَلَّ هَذَا الْجِرْمُ قَدْرًا فَلَقَدْ كَادَ يَهْتَزُّ لَهُ الصَّخْرُ الرَزِينُ
كُلُّ أَوْقَاتِي رَهْنٌ عِنْدَهُ الدُّجَى الْفَجْرُ، الصَّبِيحُ الْمَبِينُ

سَأَلُونَا كَيْفَ كُنْتُمْ؟ إِنَّ مَنْ دَابَّ بِهِ ذِكْرُكُمْ كَيْفَ يَكُونُ!

(١) القطين: الساكون.

هوّن الحبّ على أهل الهوى أن تترك الحبّ خطباً لا يهون
 ما لهم فيه مُعينون وما لذّة الحبّ إذا كان مُعين
 ميّزت ما بين أرباب الهوى ودعّاءوهم: وجوّة وجفون
 وهواكم لا نقضنا عهدكم وضمين لكم هذه اليمين
 أي في النجم فيبقى ساهراً مُحيياً سود الليالي ونخون
 شرّع في الناس، والدين وعو دّعم فيها الخلف والوعد ديون^(١)
 أين من يُرضيك منه حاضر وهو في عرضك إن غبت ضنين
 فعلى الخير يقين ظنّه وعلى الشرّ فكالظنّ اليقين

جدّدي كيف أطراحي فارساً ولمرأى وطني كيف الحنين
 وسلي قلبي لم ضاقت به فارسٌ وهي رياض لا سجون

جدّدي ذكر بلادي إنني بهواها أبد الدهر رهين
 أنالي دينان: دين جامع وعراقي غرامي فيه دين
 القوافي أدمع منظومة والأناشيد بكاءً وحنين
 كيف لا تُحزنكم أهزوجة كان من أوتارها القلب الحزين

اكسّ ياربّ بلادي رحمةً وحناناً مثلما يكسى الجنين
 امح عنها ذلّ إرهاب العدى إنهما ما عودت عاراً يشين
 يا مُدانين أضاعوا وطناً هو للحشر بمن فيه مدين

(١) شرع: سواء.

أَيْنَ كَانَ الْوَطَنُ الْمَحْبُوبُ إِذْ قَلَّتِ الزَّيْنَةُ مَالٌ وَيَنُونَ
 لَيْسَ يَخْفَى أَمْرُكُمْ مِنْ بَعْدِ مَا قُلِّبْتُ مِنْهُ ظُهُورٌ وَبُطُونَ
 كَمْ يُرَى مِنْفُوخَةً أَوْ دَاجَةً مِنْ نِعَاجٍ هَزَلْتُ ذَنْبٌ سَمِينُ

تُبَخَسُ الْأَوْطَانُ ظُلْمًا حَقَّهَا ثُمَّ لَا يُسْتَرْخَصُ الْعَمْرُ الثَّمِينُ
 هَذِهِ بَغْدَادُ هَذَا كَرْخُهَا هَذِهِ ((دَجْلَةٌ)) وَالْمَاءُ الْمَعِينُ
 هَذِهِ الدُّورُ الَّتِي شَيَّدَهَا لِلْسَّيِّدِ ((مُسْتَنْصَرٍّ)) أَوْ ((مُسْتَعِينٍ))
 كُلُّهَا تَصْبِحُ إِرْثًا ضَائِعًا لِيَنْحُ ((هَارُونُ)) وَلِيَبْكُ ((الْأَمِينُ))
 لَيْسَ تَنْفَكُ بِلَادِي كُلُّهَا يَبْسُ أَوْ كُلُّهَا مَاءٌ وَطِينُ
 دَجْلَةٌ وَ((النَّيْلُ)) وَ((الشَّامُ)) مَعًا وَ((الصَّفَا)) تَنْدُبُ شَجْوًا وَ((الْحُجُونُ))
 قُطِّعَتْ أَوْصَالُهَا وَافْتَرَقَتْ فِشَالٌ لَيْسَ تَدْرِي مَا يَمِينُ؟

ايران عام ١٩٢٤

وفي الربيع

یہنیء بہا صدیقہ السید ((محمد علی العلاق)) بزواجہ

غَدَرَ الصَّبَا وَوَفَى الرِّبْعُ لِرَيْفِهِ
 عَادَتْ لَتَفْوِيفِ الصَّبَا أَزْهَارِهِ
 سَقِيًّا لَشَرْقِي الرُّصَافَةِ إِذْ صَفَا
 مِنْ سَفْحِ دَجَلَةٍ حِينَ رَقَّ نَسِيمُهُ
 أَحْبَابُنَا فِي الْكَرْخِ هَلْ مِنْ زُورَةٍ
 أَهْوَى لِأَجْلِكُمُ الْعِرَاقُ فَمُنِيتِي
 لِي فِيكُمْ قَمَرٌ يُبَيِّجُنِي لَهُ
 وَمُسَجَّفٌ لَوْ لَمْ يُحْجَبْ كَانَ مِنْ
 مُتَنَقِّلِ الْأَفْيَاءِ شَيِّعَ رَكَبِهِ
 يَلْوِي الْوَعْدَ فَلَا تُزَرُّ جِيُوبُهُ
 مَا الطَّيْرُ حَامَ عَلَى الْغَدِيرِ فِرَاعِهِ
 ظَمَانٌ لَا وَرْدٌ سِوَاهُ فَيَتَشَنَّى
 يَوْمًا بِأَوْلَعٍ مِنْ فُؤَادِي إِذْ نَاوَا
 لَا تُنْكِرُوا قَلْبِي الْخَفُوقَ فَإِنَّمَا
 مَا هَاجَ قَلْبَ الصَّبِّ إِلَّا الصَّدْعُ فِي
 أَرَقَّتْ طَرْفًا لَمْ تَرِقْ لِقَرَحِهِ
 اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّنِي أَلْقَى الْهَوَى
 إِنِّي وَإِنْ كَانَ التَّصَابِي هَفْوَةً
 شَتَانٌ بَيْنَ أَلْفِنَا وَأَلْفِهِ
 أَثَرِي صَبَابِي يَعُودُ فِي تَفْوِيفِهِ
 عَيْشٌ بِمَرْتَبَعِ الْهَوَى وَمَصِيفِهِ
 سَحَرًا وَرَاقَتْ دَانِيَاتُ قُطُوفِهِ
 لَنَحِيلِ جَسَمٍ بِالْفِرَاقِ نَحِيفِهِ
 فِي قُرْبِكُمْ لَا خِصْبِهِ أَوْ رَيْفِهِ
 إِنَّ الْبَعَادَ يَرَوُّ عُنْيِي بِخُسُوفِهِ
 زَفَرَاتِ أَنْفَاسِي بِمِثْلِ سَجُوفِهِ^(١)
 نَفْسِي يُنَاطُ بِسَايِرِهِ وَوُقُوفِهِ
 إِلَّا عَلَى نَزْرِ الْوَفَاءِ ضَعِيفِهِ
 وَحَشٌّ فَظْلٌ يَحُوطُهُ بِرَفِيفِهِ
 عَنْهُ، وَلَا يَسْطِيعُ خَوْضَ مُحُوفِهِ
 عَنْهُ بِمَجْدُولِ الْقَوَامِ رَهِيفِهِ
 هِيَ مَهْجَةٌ قَدْ عُلِّقَتْ بِشُفُوفِهِ^(٢)
 تَشْوِيشُهُ، وَالشَّعْرُ فِي تَصْفِيفِهِ
 وَأَخْفَتَ قَلْبًا لَمْ تُرَعِ لَحْفِيفِهِ
 بِلِسَانِ فَاسِقِهِ وَقَلْبِ عَفِيفِهِ
 مَنِّي، وَكَمْ سَاعٍ جَلَبِ حُتُوفِهِ

(١) مسجف: مستر، السجف: الستر.

(٢) شفوف: جمع شف (بفتح الشين المشدد وكسره) وهو من رق الثياب ومن النسيج.

لأَجْنُ لِلْعَهْدِ الْقَدِيمِ صَبَابَةً كَحَنِينِ إِلْفٍ نَازِحٍ لِأَلْفِهِ
وَلِئِنْ سَلَوْتُ فَفِي التَّهَانِي سَلْوَةٌ ((بِمَحَمَّدٍ)) صَنِوِ النَّدَى وَحَلِيفِهِ

يا ابن ((الحسين)) وأنت تخلف ذكره أكرم بمخلوف مضى وخليفه
سرت ثراه بروق عرسك فاغتدت عنه وذكر هُناك أنس مخوفه
بك في ((العلي)) عن ((الحسين)) تصبر بممجد ثبت الجنان رؤوفه
لا تُجهدنَّ الشعرَ يا نظامه فصفاة تُغنيك عن توصيفه
جَمَّ النَّدَى أنساه عن عثراته في الجود بذل مئاته وألوفه
طرب يُغنيه سَمِيرُ ضيوفه لا ((معبود)) بثقله وخفيفه
شيم أناف تليدُها لطريفها فساها بتليده وطريفه
يا ابن النبي وتلك أشرف نسية ومُضاف مجد يتمي لمُضيفه
لم يُرغم الحُسادَ إلا مفخر شرف محل الشهب دون محله
شرف محل الشهب دون محله ومُنيف بُرج الشمس دون مُنيفه
بيت به طاف العُفَاة ففضله باد كفضل البيت في تطويفه^(١)
يفديك من ضربت به المثل الوري بخلا فقرض الشمس قرص رغيته
شحت عطاياه فما من ناظر إلا تمنى الطيف من معروفه
لورام يمحو البخل عنه مُدافع عكفت طبيعته على تعنيفه
ويقول إن قالوا تصرف درهم ليت الجمود عداه عن تصريفه
ولقد أراك ولليراعة مسرّح في القول بين غريبه ولطيفه
قلم سقاؤه فيض كفك فالتقت بيض الأماني بين سود حروفه

(١) العفاة: جمع عاف وهو طالب المعروف.

لَدُنْ إِذَا مَا الدَّهْرُ جَدَّ فَهَزَّةٌ فِي طَرَسِهِ تَكْفِيكَ رَدَّ صُرُوفِهِ
مَا جَالٍ فِي حَلَبَاتِ طَرِسِكَ سَابِقاً إِلَّا وَجَاءَ مِنَ النَّدَى بَرْدِيْفِهِ
كَمْ مُشْكَلٍ مُسْتَنْبِطٌ بِدَقِيقِهِ وَسَمِينٍ خُطْبٍ مُذْعِنٍ لِعَجِيفِهِ
كَالسَّيْلِ فِي تَحْدِيرِهِ، وَالسَّيْفِ فِي تَطْيِيقِهِ وَالرُّمَحِ فِي ثَقِيفِهِ
وَكَأَنَّهُ بَيْنَ السُّطُورِ مَدْبَرٌ لِلْجَيْشِ أَعْجَبَهُ انْتِظَامُ صُفُوفِهِ
مَعْرُوفٌ شَعْرِي فِي مَدِيحِ مُحَمَّدٍ أَزْرَتْ بِدَائِعِهِ عَلَى ((مَعْرُوفِهِ))^(١)
نَفْسٌ شَأَى نَفْسِ الْكُهُولِ وَإِنَّمَا ظَرَفُ الشَّبَابِ يَلُوحُ فِي تَفْوِيفِهِ
وَقَصَائِدُ رَقَّتْ فَكَانَ مَدْبُهَا كَالْخَمْرِ مِنْ ثَمَلِ الْقَوَامِ نَزِيفِهِ^(٢)
أَسِفَ الْحَسُودُ بِمَا عَلَوْنَ وَإِنْ أَعَشَ لِأَطْوَلْنَ بِهِمْ حَزَنَ أَسِيفِهِ
إِنْ زَيْنَ قَوْمٌ بِالْقَصِيدِ فَلِإِنِّي بِأَسْمِي يَزَانُ الشَّعْرُ فِي تَعْرِيفِهِ
دُمْتُمْ وَدَامَ الْمَجْدُ فِي تَشْرِيفِهِ جُوداً وَدَامَ الْفَضْلُ فِي تَأْلِيفِهِ

النجف عام ١٩٢٤

(١) إشارة الى الشاعر معروف الرصافي.

(٢) التزيف: السكران.

وشاح من الورد

٢٥٧

ديوان الجواهري

قدمها الشاعر برسالة إلى صاحب الصحيفة، ((محسن ناجي صالح)) هي:

أخي المحترم صاحب ((مرآة العراق)) المفضل..

بعد السلام عليك..

بمناسبة إرسال الموشحة الصغيرة لجريدتك الغراء أقول:

إنّ إخواني الشرقيين عامة يدينون اليوم بدين التقليد وأنا معهم.. ولكنّي، مع هذا كلّ، فأنا غيرهم..
لقد ضاقت خطة الأدب العربي الوسيعة بكثير من إخواني أصحاب الأذواق في الأدب الشرقي كما
يظنون، وعوضاً من أن يستخرجوا من أوزانه وأعاريضه أوزاناً وأعاريض أخرى لتكون لهم أيادي خالدة
عليه فقد نزلوا كلّاً على الأدب الإفرنجي، وآخر ما أتخفونا به من ذلك الشعر المنثور.
أجل.. أخي، خير من هذا الشعر المنثور الغربي الفاقد لرقّة الشعر الموسيقية التي تنزل بها القافية على
أعماق القلب بلا إذن، الموشحات الأندلسية المتشعبة الفنون، الكثيرة اللطف والرونق.
وخير لناقلها إلى العرب الأديب ((أمين الريحاني)) أن يكون ثاني ((ابن باجة)) و((ابن زهر)) و((ابن
الخطيب)) من أن يكون ثاني فلان الإفرنسي والإمريكاني وهو العربي القح.
أمّا أنا، المخلص، فلا أزال مشغولاً بالآثار الأندلسية المعتوقة أقرأها عند كلّ صباح ومساء، بنغمتي التي
أقرأ بها كل ما يعجبني ويُطربني.. ولا تزال موشحات الأندلسيين وأهازيجهم قبلتي وقُدوتي.
وإليك واحدة منها نظمت قبل سنين عثرت عليها بين أوراق المتناثرة، وبعثت بها إليك على ما بها،
دليلاً على إعجابي بهذا النوع من النظم منذ صغري.

والسلام عليكم

المخلص / محمدى مهدي الجواهري

يغزل للفجرِ بيضَ الخيوطِ
والصبحُ إذ يسري مطالع البشرِ على النواحي
وريق القطر يحوك للزهر ثوبَ ارتياحِ
والكأس ملآن

والشهب ندمان بعض لبعضِ

والكلُّ فرسان
والروضُ ميدانُ للقطف والعص
والصدغُ بستان
واللحظُ وسان كالنرجس الغص

والشعرُ كالشعرِ في اللف والنشرِ فيه افتضاحي
والخدَّ كالبدْرِ كالشمس في الظهرِ والأفق ضاحي

رُوح الصبا تسري بالبعث والنشرِ على البطاح
ويانع الزهر يلتف بالنهرِ مثل الوشاح
والروضُ مزدان

تكسوه ألوان من الربيع

والنبت فينانُ
رُوح وريحانُ زاهي الفروع

والشمسُ في سُكرٍ من رشفة الخمر من الأقاحِ
تسري ولا تدري بالنهي والأمرِ بلا جراحِ
ومبسمُ الفجرِ

يفترُّ عن درٍّ من السقيطِ

وطائرُ النَّسرِ
يلوذُ بالوكرِ خوف السقوطِ
والبدر في الأسرِ
واهبي الخيوطِ

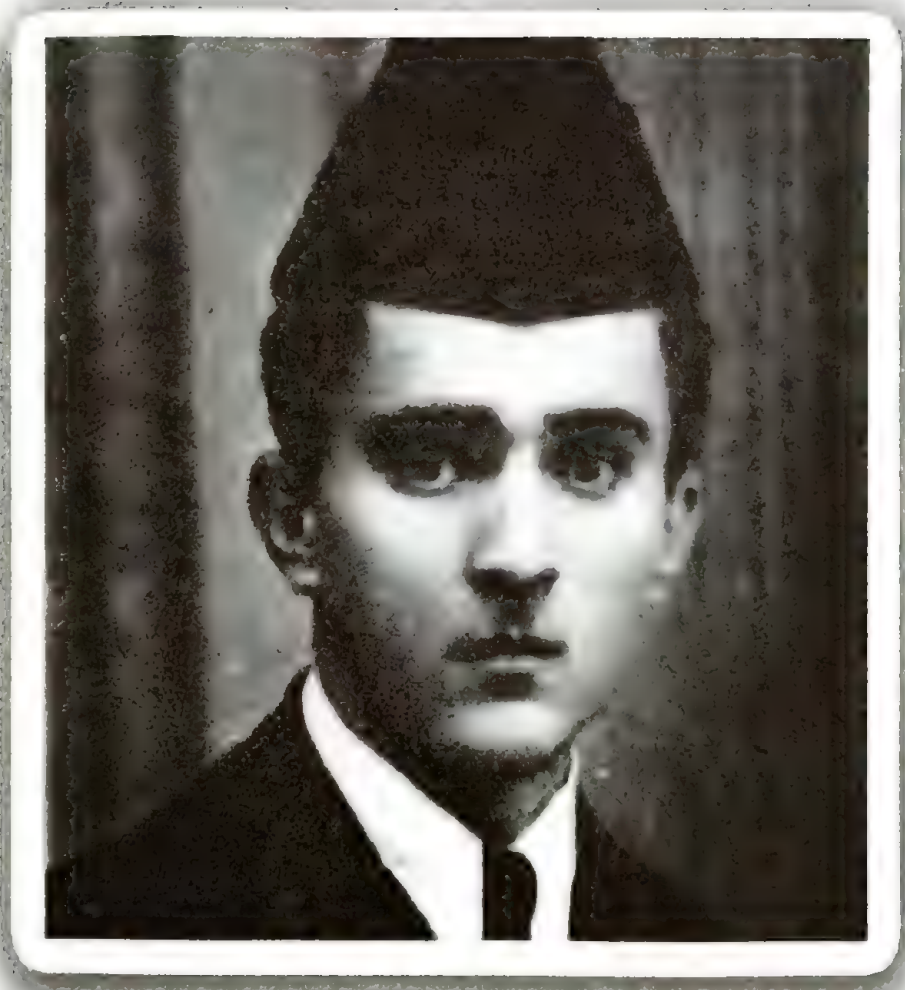
النجف عام ١٩٢٤

سيكفيك رسمي (*)

أ ((أحمد)) ما أبشئتُك الهمَّ والنجوى مكاشفةً إلا لأنك ((عارف))
ألا لا تنل شكواي منك فإنها تؤلم حتى الصخر هذي القذائفُ
يقولون: ((مطبوعُ القريض لطيفة)) فهل قوبلت باللفظ تلك اللطائفُ
ألا لو يبوح الشعرُ مني بما انطوى هبت على هذي الطروس العواطفُ
سيغنك رسمي عن أمور كثيرة فظاهره عن باطن الأمر كاشفُ

النجف عام ١٩٢٥

(*) مقطوعة ضمنها كتاباً أدبياً أرسله مع صورته إلى صديقه الشيخ ((أحمد عارف الزين)) صاحب مجلة ((العرفان)) اللبنانية.



٢٦٢

ديوان الجواهري

علي الخالصي

مرثاة للمجاهد الوطني وأحد زعماء ثورة العشرين الشيخ ((مهدي الخالصي)).

صَدَقْتَ يَا بَرْقُ بِهَذَا النَّبَا وَمَنْ لِي الْيَوْمَ بِأَنْ تَكْذِبَا
 مِنْ هِزَّةِ الْحُزْنِ غَدَا خَافِقَا سَلَكُوكَ أَمْ مِنْ هِزَّةِ الْكَهْرُبَا؟
 طَارَتْ بِيَوْمِ النَّحْسِ بَرَقِيَّةٌ آهَ عَلَى الْأَمَالِ طَارَتْ هَبَا
 شَقَّتْ عَلَى الْأَسْمَاعِ أَصْدَاؤُهَا وَهَزَّ فِيهَا الْمَشْرِقُ الْمَغْرِبَا
 مَوْجَزَةُ اللَّفْظِ وَدَاعِي الْأَسَى بِالْحُزْنِ فِي أَثْنَائِهَا أَطْنَبَا
 تَكَادَ أَنْ تَمْرُقَ مِنْ سِلْكِهَا لَوْ وَجَدْتَ مِنْ بَيْنِهِ مَهْرِبَا
 عَلِمًا بِمَا تَحْمِلُ مِنْ خَطَرَةٍ بِالرَّغْمِ أَنْ تَقْرَأَ أَوْ تَكْتَبَا
 لَسَايُهَا الْأَخْرَسُ مِنْ حَلٍّ؟ وَلَفْظُهَا الْمَعْجَمُ مِنْ أَعْرَبَا؟

قُومِي الْبَسِي بِغَدَادُ ثَوْبَ الْأَسَى إِنَّ الَّذِي تَرْجِينَهُ غُيَّيَا
 إِنَّ الَّذِي كَانَ سَرَاجَ الْحُمَى يَشْعُ فِي غِيهِبِهِ كَوَكْبَا
 بَاتَ عَلَى نَهْضَةٍ أَوْطَانِهِ مَلْتَهَبَ الْجَمْرَةِ حَتَّى خَبَا
 قَصَرَ مِنْ أَيَّامِهِ هُمُّهُ أَنْ يُنْقِذَ الْمَوْطِنَ وَالْمَذْهَبَا
 قُومِي افْتَحِي صَدْرَكَ قَبْرًا لَهُ وَطَرِّزِيهِ بِوُرُودِ الرُّبَى
 خُطِّي عَلَى صَفْحَتِهِ: ((هَكَذَا يُرْفَعُ مَنْ مَاتَ شَهِيدَ الْإِبَا))
 وَدَرِّسِي نَشَأَكَ تَارِيخَهُ فَإِنَّ فِيهِ الْمَنْهَجَ الْأَصُوبَا
 رُدِّي إِلَى أَوْطَانِهِ نَعَشَهُ لَا تَدْفِنِي فِي فَارَسٍ ((يَعْرَبَا))

لا تدعي فارس تختصّه فالولدُ البرُّ لمن أنجبا^(١)
شمس أضاءت ههنا حقبةً وهي هنا أجدر أن تغربا

كان يهزُّ الصُّلبَ من غالبٍ ويدفع المغلوبَ أن يغلبا
يُهبّ بالطالب أن يركب الأخطـ سار حتّى يبلغَ المطلبا
لا يأتلي ينشُد حقّاً ولا ينفك أن يغضب أو يغضبا
كان صليبُ العود في دينه وكان في آرائه أصلبا
يمنعُه المبدأ أن ينثني والدينُ والجرأة أن يكذبا
عفٌّ عن الدنيا سوى خُطّة يذبُّ عنها وكفى مأربا
ورابطُ الجأش متى ما يشأ جهّز من آرائه مقبلا
يُغضُّه المعجب إذ إنّه أخواتضاع يُبغض المعجبا
محص بالتجريب أياّمه وكيسُ الأقوام من جربا
يكاد أن يشرب من رقة ومن جمال الروح أن يُنهبها
شاء العلى والمجد أن يجتلي وشاءت الأقدار أن يُحجبا
تنازع للكون في أهله صيرّ منا الحولَ القلببا
ما الجودُ في أعمارنا طولها وإنما الجود بأن تُوهبا
سيان طال العمر أو لم يطل ما دامت الغاية أن يُسلبا

سمعا زعيمَ الدين من نادٍ عزّ عليه اليوم أن تُندبا
اليوم يرثيك وفي أمسّه كان يُغنيك لكي تطربا

(١) في طبعة دار العودة: البرّ.

كان وما زال بأنفاسه ينفث كالجمر وقد ألهبا
 ما دأبه العُجبُ ولكن كفى أنك قد كنتَ به معجَبَا
 بكلِّ غرّاء إذا أنشِدت تُلهي العطاش الهيمَ أن تشربا
 تُزري على الشمس إذا أشرقَت وتغرّبُ الشمس ولن تغربا
 من أين سارتُ وجدتُ قائلًا أهلاً، وسهلاً، مرحباً مرحبَا
 إليه بلادي هل يقيك الأذى أني انتضيتُ المقولَ المقضبا^(١)
 تعيا القوافي أن تصدَّ الجوى يغلي، ويعيا الدمعُ أن ينضبا
 شيئانٍ ما مثلهما لذة في السمع ذكراكَ وذكرُ الصُّبا
 من فلذ القلب وأنياطه حقُّ لتمثالكَ أن يُنصبا

النجف عام ١٩٢٥

(١) المقضب: القاطع.

بعد الفراق

خليلي سلّ القلبَ عن هذه البلوى وناجِ فإنَّ الهمَّ تدفعُهُ النَّجوى
ألا لو وجدنا عن أذاننا مُحامياً أقمنا على الدهر الذي ضامنا الدعوى
سلّ الفلكَ الدوارَ يرفقُ بسيره فإنّا بَلَّغْنا للأذى الغايةَ القصوى
نأث دجلةٌ عني وبانت ضفافُها وأبعدَ ذاكَ الروضُ ذو المنبتِ الأخوى
فوا الله لا أقوى على ما تَهيِّجُهُ لقلبي من الذكرى ويا ليتني أقوى

النجف ١٩٢٥

سيصدني وأصده

شَرُّ تَمَادِي حَادِي سِيَّصْدُنِي وَأَصْدُهُ
أَمَّا الْعِرَاقُ فَجُرْحُهُ مَنِّي وَعِنْدِي ضَمُّهُ
سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بِلَا دِي لَيْتَ قَلْبِي غَمْدُهُ
مَاجَ الْفِرَاتِ فَلَمْ يُطِقْ صَبْرًا عَلَيْهِ سَدُّهُ
مَهْتَاجٌ عَزِمَ عَكْسُهُ يُوهِي الْجَلِيدَ وَطَرْدُهُ
هَذَا حِمَاسُهُ ثَائِرٌ عَزِمَ الْإِلَهَ يَمْدُهُ

يَا بَانِيَا مُلْكَأ تَعَالَى فَوْقَ مَجْدِي مَجْدُهُ
وَطَنِي وَعِنْدِي شَوْكُهُ أَسْفَاً وَعِنْدَكَ وَرْدُهُ
هَذَا الرِّبْعُ لَكُمْ، وَلِي حَرُّ الْعِرَاقِ وَبَرْدُهُ
أَلَيْتُ أَنِّي حَرْبٌ مِنْ نَاوَى الْبِلَادِ وَضَدُهُ
هَذَا الْيَرَاعُ ذُبَابُهُ لِلذَّبِّ عَنْهُ أَعْدُهُ^(١)
وَاخْذُوا لِسَانِي إِنْ تَبَدَّلَ أَوْ تَحَوَّلَ عَهْدُهُ

النجف عام ١٩٢٥

(١) ذباب السيف: حده، وقد استعاره للقلم (اليراعة).

سجين قبرص

(الشريف الحسين بن علي)

هي الحياة بإحلاء وإمراء تمضي شعاعاً كزند القادح الواري
سجية الدهر والبلوى سجيته تَقْلُبُّ بين إقبال وإدبار
لم يدِرْ من أحسنوا صنْعاً لغيرهم بأن عقباهم عُقبى ((سِنَارِ))
ودَّ الأباهُ وقد سيموا مناقصةً في الرّوح لو أبدلوهم نقص أعمار
من ضامن لك والأيام غادرة أن ليس ينشُب فيك السهم يا باري
ما للتمدّن لا ينفك ذابّدع في الكون يأنف منها وحشه الضاري
كم ذا يُسمون أحراراً وقد شهّدت فعالمهم أنّها من غير أحرار

ما للجزيرة لم تأنس مرابعها بعد ((الحسين)) ولم تحفل بسمار
مُغبرة خلّف الليل السواد بها أو جلّلتها سماء الهَمّ بالقار
لم لا تشبُّ بها نار أكلهم ألهامهم الحزن حتّى موقدو النار
يا مهبط الوحي للتاريخ معجزة سلي تحدّثك عنها فوهة الغار
لله عندك بيت سوف يكلاه من أن يُباح لأشرار وكُفّار
تلك السُنون بآثار مضت، وأتت هذي السُنون تُبغّي نحو آثار
أما بنوك فهم جيران ربّهم وربّهم خير من يحمي حمى الجار
دارٌ بديارها من طارق حُفظت وطالما حُفظت دارٌ بديار

شيخ الجزيرة أنت اليوم مُرتَهَنٌ بحسن فعلك من صدق وإشار
لتحمدنّ من الدنيا عواقبها فقد أرينك عُقبى هذه الدار
خودعت عنها وليست لو علمت سوى مراسيح همّها تمثيل أدوار

تغشى العيون بتدليس محاسنها وتستكن المساوي خلف أستار
يا حاملين على الأمواج عزمته قابلتكم البحر تياراً بتيار
هل بلغت قبرص عن ضيف بقعتها بأنسه أي نفع وضرار
كمثل ثائر ذاك الموج ثورته يوم استشاط وهاجت سورة الشار
يا من يجل شعار الدين مستمعاً لله آيات إجلال وإكبار
حتى على البحر للتكبير مأذنةً تقام كل عشيّات وأبكار
((الله أكبر)) ردها فان بها خواطراً ورموزاً ذات أسرار
مما يُعيد إلى التاريخ روعته تخليده ملكاً في زي أحبار
من سيئات ليلٍ جل ما صنعت سوء بليّة وفاء بغدار
يا ناهضاً بأبابة الضيم منتفضاً عن أن يمدّ يداً للذل والعار
في ذمة الله والتاريخ ما تركت أيامك الغر من محسود آثار
إن لم يقيموا لك الذكرى مخلّدة فحسن فعلك فينا خير تذكّار
لو تبتغي بغنى عن عزّة بدلاً لكنك ذا نشب جم وإكثار
نهضاً بني العرب العزباء إنكم فرائس بين أنياب وأظفار
أرقدة وهواناً إن بعضهما مما يفت بأصفاً وأحجار

النجف عام ١٩٢٥

تحت ظل النخيل

مَرَّ النَّسِيمُ بِرِيَّاكُمْ فَأَحْيَانَا فَهَلْ كَذَكَرَاكُمْ فِي الْقَلْبِ ذَكَرَانَا
مَنْ مُبْلَغُ الْجَاعِلِينَ لِلْهُوَ مَرْكَبَهُمْ أَنْ أَرْكَبْنَا بِحَارَ الْهَمِّ طُوفَانَا
أَنَا سَرِينَا عَلَى الْأَمْوَاجِ تَحْمِلُنَا وَيَا سَمِيَكُمْ بَعْدَ اسْمِ اللَّهِ مَسْرَانَا
مَا لِلدَّجَى هَادئاً تُزْرِي كَوَاكِبُهُ بِنَا وَقَدْ هَاجَتِ الْأَمْوَاجُ شَكْوَانَا
لَا تَسْأَلُوا عَنْ جَمَالِ الْبَدْرِ يَبْعَثُهُ فَذَلِكَ إِلَّا عَنْ الْأَحْبَابِ أَهْلَانَا
هَذَا النُّجُومُ وَمَا خَلَقَ سُدى خَلَقْتَ أَنْسُ الْمُحِبِّينَ نَرْعَاهَا وَتَرْعَانَا
يَا حَبْدًا تَحْتَ ظِلِّ النَّخْلِ مُضْبَحُنَا بِدَجَلَةٍ وَعَلَى الْأَجْرَافِ مُنْسَانَا
وَلَيْتَ مَنْ دَجَلَةٍ كَأَسَا تُصَفِّقُهُ أُمُوجُهَا بِالرَّحِيقِ الصَّفْوِ مَلَانَا

يَا مَنْ ذَكَرْنَاهُ وَالْأَلْبَابُ طَائِشَةٌ ظَلَمْتُ عَلَى خَضِرَاتِ الْأَنْسِ تَنَسَانَا
مَا مَسَّ إِلَّا عَلَى طُهْرٍ غَرَامُكُمْ قَلْبِي لَأَتِي أَعْدُ الْحَسْبَ قَرَانَا
أَنْسَتْ فِي غَرْبَتِي حَبًّا يُبْدِلُنِي بِالْأَهْلِ أَهْلًا وَبِالْجِيرَانِ جِيرَانَا
سَيَّانٍ فِيهَا جَنَى صَحْبِي وَدَهْرُهُمْ كُلُّ أَرَانَا مِنَ التَّعْذِيبِ أَلْوَانَا
لَا تَحْسَبُوا الْعَدَّ بِالْأَرْقَامِ يُسْعِدُكُمْ تُحْصَى النُّجُومُ وَمَا تُحْصَى بِلَايَانَا
الرُّوحُ جَارَتْ عَلَيْنَا فِي مَحَبَّتِكُمْ وَطَالَمَا أَشْقَتْ الْأَرْوَاحُ أَبْدَانَا
وَالْحَبُّ أَرْخَصَ مِنْ أَقْدَارِنَا بِكُمْ لَوْلَا هَوَانُ بِنَا مَا كَانَ أَغْلَانَا

نَعْمَتُكُمْ وَشَقِينَا فِي الْهَيَامِ بِكُمْ شَتَانِ مَا بَيْنَ عُقْبَاكُمْ وَعُقْبَانَا

النجف عام ١٩٢٥

الساقى

لا تعدكم سُننُ الهوى وفُروضه فالروض يضحك للغمام أريضه
ما أبهج الزهرَ المرققَ في الضحى يجلو العيونَ شعاعه ووميضه
والروض شعارٌ له من ورده نفَسٌ ومن سجع الطيور قريضه
والجوُّ محتشدُ الغيوم رواقه بيد الرياح متى تشأ تقويضه
وكانما جاء الربيعُ إلى الثرى بالحسن عن سَمج الشتاء يعيظه
والكأسُ يجلوها أغنٌ يكادُ من فرطِ النعاس يؤوده تغميظه
راضت محاسنه النفوس فأدركت ثأراً فها هي بالكؤوس تروضه
لو كنتُ تبصره رثيتَ له وقد أعيأ عليه من الخمار مُهوضه
لا تأس إن غفل النديم فلم يُدر كأساً فعند جفونه تعويضه

إيه نديمي قد جمعت لناظري أمرين كلٌّ لا يبين غموضه
أمواج خذك والتوقدُ ضدها ومذاب خمرِكَ واللهيبُ نقيضه
طولُ الجمال وعرضه لك والهوى وقفٌ عليك طويله وعريضه
وقّع كما تهوى على وتر الهوى فلأنت ((مُعبدٌ)) لحنه و ((غريضه))
أما الغرامُ بكم فإن قصيده وقفٌ عليكم بحرُهُ وعروضه

النجف عام ١٩٢٥

علی ذکرى الربیع

مواطر الغيث حبي جانب الوادي وهديته بإبراق وإرعاد
مُدِّي به بُسْطَ الأعشابِ زاهرة وطرزها بأزهار وأوراد
وراوحيه رذاذاً منك يبعثه حياً كما تُبعثُ الموتى بميعاد
مالي وللهمّ تصليني لوافحه ألسن يا نسمة الوادي بمرصاد
مُرِّي بنفحتك الريا على كبد أقل ما تشتكيه غلة الصادي
فما لشيء سوى أن تبعثي نفساً فاص الغمام وصاب الرائح الغادي
ولست الريح يهدي الله نفحتها لنابل الروح يوحىها لأجساد

ردّ الربيع صنوف الحسن يقسمها شطرين ما بين أنشاز وأوهاد^(١)
يهدي به الله إشفاءً لذي سقم من النفوس وإشفافاً بمُرتاد
هو الربيع وأبهى ما يزهدني عن الحضارة فيه نجعة البادي
أنا الخفيف وهذي الأرض مُعشبة سجّادتي ورقق الشعر أورادي
يمضي الزمان علينا نصفه جُمع ترى تُقفى بأسبات وآحاد
ما كان لله أديان مضاعفة لولا تعصب أحفاد لأجداد
أين الذين أمات الحب أنفسهم حتى قضوا فيه عُشاقاً كزهاد
الضارين خيام الحب طاهرة والداعميها من التقوى بأوتاد
والمطرين لشكوى الحب مُعلنة مُستبدلين بها عن جسّ أعواد
مواظبين على الآداب ما انتقدوا لحبهم غير أكفاء وأنداد
لم يُبلّ ((قيس)) و ((فرهاد)) كما بُليت ليلى بقيس وشيرين بفرهاد

(١) الأنشاز: جمع نشز وهو المرتفع من الأرض.

جِيلٌ مِنَ النَّاسِ عَدَوَاهُمْ لِإِخْوَتِهِمْ مِنْ الْخَبَائِثِ عَدَوَى السَّمِّ فِي الزَّادِ
يَسْتَظْهِرُونَ لِسَانِي أَنْ يَجَازِفَهُمْ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ الصَّدْقَ مَعْتَادِي
كَلَفْتُمُونِي مِنَ الْأَقْوَالِ أَصْعَبَهَا نَطَقْتُ كَمَا كُلفَ الْأَعْجَامُ بِالضَّادِ
أَضْرَبِي مِنْ سَجَايَاكُمْ تَوْقُوعَكُمْ أَنْ لَا تَفْتَتَّ سَجَايَاكُمْ بِأَعْضَادِي
مَا ضَرَّنِي غَضَبُ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا إِنْ كَانَ يُرْضِي ضَمِيرِي صَدْقُ إِنْشَادِي
حُسْنُ اخْتِبَارِي لِأَشْبَاهِي وَنِيَّتِهِمْ فِي الصَّنْعِ حَسَّنَ فِي عَيْنِي أَضْدَادِي

مَا إِنْ تَحْطُّونَ شِعْرِي قَيْدَ أَنْمَلَةٍ إِنْ لَمْ تَصُوغُوهُ أَطْوَاقاً لِأَجِيَادِ
هَذَا الزَّمَانُ كَفِيلٌ أَنْ يَكِيلَ لَكُمْ صَاعاً بِصَاعٍ وَأَمْدَاداً بِأَمْدَادِ
كَمْ تُعْلَنُونَ لْجُهَالٍ تَمُوتُ لَكُمْ مَا تَمَّأْ هِيَ رَغَمَ النَّاسِ أَعْيَادِي
كُلُّ وَمَا سَنَّ فِيهِ اللَّهُ مِنْ خُلُقٍ هَذَا أَنَا يَوْمَ تَكْوِينِي وَمِيلَادِي
أَذَلَّ قَدَرَ الْقَوَافِي أَتَهَا تُرَكَّتْ حِظّاً مُشَاعاً لِنُظَامِ وَنُشَادِ
كَمْ أَنْشَدْتُكُمْ وَفِي آذَانِكُمْ صَمٌّ حَوْضِي مُبَاحٌ وَقَوْمِي غَيْرُ دُؤَادِ

النجف عام ١٩٢٥

بغداد

خذي نفس الصبا ((بغداد)) إني بعثتُ لكِ الهوى عَرَضاً وطُولا
يذكّرني أريجٌ باتٍ يُهدي إليّ لطيّمه الريحَ البليلا
هواءكِ إذ نهشُ له شِمالاً وماءكِ إذ نصفقه شَمولا
ودجلةٌ حينَ تصقلُها النُعامى كما مَسَحَتْ يَدُ خَدّاً صقيلا
وما أحلى الغصونَ إذا تهادت عليها نُكُسَ الأطراف ميلا
يُلاعبُها الصَّبَا فتخال كَفّاً هناك ترقصُ الظلّ الظليلا
ربوعٌ مسرةٌ طابت مُناخاً وراقت مربعاً وحلت مَقيلا
ذكرتُ نَميرَها فذكرتُ شعراً ((لأحمد)) كاد لطفاً أن يسيلاً^(١)
((وردنا ماء دجلةَ خيرَ ماءٍ وزرنا أشرفَ الشجر النخيلاً))^(٢)
((أبغداد)) اذكري كم من دموعٍ أزارتكِ الصبابة والغليلا
جرينَ ودجلةً لكن أجاجاً أعدن بها الفراتَ السلسيلا
((ولولا كثرةُ الواشينَ حولي)) أثرتُ بشعري الداء الدخيلا^(٣)

(١) أحمد هو ((أبو العلاء المعري)).

(٢) البيت لأبي العلاء المعري.

(٣) قالت الخنساء: ولولا كثرة الباكين حولي.. ولهذا وضع الشاعر الشطر بين قوسين.

إذن لرأيت كيف النار تذكو وكيف السيلُ إن ركب المسيل
وكيف القلبُ تملكه القوافي كما يستملك الغيثُ المحولا
أدجلةُ إنَّ في العبرات نطقاً يحير في بلاغته العقولا
فإن منعوا لساني عن مقالٍ فما منعوا ضميري أن يقول
خذي سجعَ الحمام فذاك شعرٌ نظمناه فرثله هديلا

النجف عام ١٩٢٥

ليت الذي بك في وقع النوائب بي

رثى بها الشيخ ((طاهر فرج الله)) وكان من أوائل المجاهدين في الشعبية على رأس قبيلته (الحلاف)،
وقد جرح فيها، وكان معروفاً بكرمه وصراحته وجراته.. وكان ولده الشيخ ((محمد رضا)) صديقاً للشاعر،
وكان معروفاً بمواقفه الوطنية.

لَيْتَ الَّذِي بَكَ فِي وَقَعِ النَّوَائِبِ بِي وَلَا أَشَاهِدُ تُكَلِّ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
 صَابَتْ حَشَاكَ وَأَخْطَنْتَنِي نَوَافِدُهَا لَيْتَ النَّوَائِبَ لَمْ تُخْطِئْ وَلَمْ تُصِيبْ^(١)
 هَلَا تَعْدَى الرَّدَى مِنْهُ بِيْطَشَتِهِ لَغَيْرِهِ أَوْ تَعْدَى النِّبْعَ لِلْغَرْبِ
 هِيَهَاتَ كَفُّ الرَّدَى نَقَادَةٌ أَبَدًا لِلْأَكْرَمِينَ تَفْدَى الرَّأْسَ لِلذَّنْبِ
 يَا غَائِبًا لَمْ يَوْبُ بَلْ غَائِبِينَ مَعًا إِنَّ الْعُلَى مَعَهُ غَابَتْ وَلَمْ تَوْبِ
 لِيَهْنِكَ الْخُلْدُ فِي الْآخِرَى وَجَنَّتُهُ يَا خَيْرَ مَنْقَلِبٍ فِي خَيْرِ مَنْقَلِبِ
 نَعَمْ الشُّفِيعَانِ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ اللَّهُ سَرًّا وَمَا فَرَّجْتَ عَنْ كَرْبِ
 وَمَا رَأَيْتُ كَمَعْرُوفٍ يُجَادُبُهُ بَيْنَ الرَّجَالِ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ سَبَبِ
 قَدَّمْتَ لِلَّهِ أَعْمَالًا نَحَذَتْ لَهَا مِنَ التَّقَى مَسْرَحًا فِي مَرْتَعِ خَصَبِ
 قَالُوا: الزِّيَارَةُ فَاتَتْهُ، فَقُلْتُ لَهُمْ: مَا فَاتَهُ أَنْ يَزُورَ اللَّهَ فِي رَجَبِ
 كَأَنْ نَعَشَكَ وَالْأَجْوَاءُ غَائِمَةٌ تُقْلِقُهُ النَّاسُ لِلشُّقْيَا مِنَ السَّحَبِ
 لَوْ كَانَ فِي جَنْدٍ ((طَالُوتَ)) لَمَا طَلَبُوا ((سَكِينَةَ وَشَطَّ تَابُوتَ)) مِنْ الْخَشَبِ^(٢)

كَمْ ذَا يَصْعَرُّ أَقْوَامٌ خَدَوَدَهُمْ كَفَاهُمْ عِبْرَةٌ فِي خَدِّكَ التُّرْبِ
 كَمْ يَعْجَبُ الْمَرْءُ مِنْ أَمْرِ يَفَاجِئُهُ وَمَا دَرَى أَنَّ فِيهِ أَعْجَبَ الْعَجَبِ
 بَيْنَا يُرَى وَهُوَ بَيْنَ النَّاسِ مُحْتَشِمٌ إِذَا بِهِ وَهُوَ مُنْبُوذٌ عَلَى التُّرْبِ
 لَا يُعْجِبَنَّ مَلُوكَ الْأَرْضِ هِمَّتُهُمْ فَإِنَّ أَعْظَمَ مِنْهَا هِمَّةُ النُّوبِ
 لَا شَمْلَ يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ مُجْتَمِعًا يَبْدُدُ الْمَوْتُ حَتَّى دَارَةَ الشُّهْبِ

(١) في اللغة صاب كأصاب.

(٢) من بيت في بائية للشيخ ((صالح الكواز)).

أودى الذي كان تيه المكرمات به على سواهن تيه الخرد العُربِ
فَقَدْنَهُ وَثَغُورَ الْفَضْلِ فِي شَنْبٍ^(١)
صبراً محببهِ إِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً مَنْ قَدْ كَانَ فِي هَذِهِ الْإِيَّامِ فِي تَعَبٍ
تسليمهُ المرء في ما خُطَّ مِنْ قَدَرٍ أَجْدَى لَهُ مِنْ دَعَاءِ الْوَيْلِ وَالْحَرْبِ
والموتُ إِنْ لَمْ يَذْدَهُ حَزَنٌ مَكْتَسَبٍ بِهِ فَأَحْسَنُ مِنْهُ صَبْرٌ مُحْتَسَبٍ
وغيضة المرء في حيث الرضا حَسَنٌ قَبِيحَةٌ كَالرَّضَا فِي مَوْقِعِ الْغَضَبِ

ذابت عليك قلوبُ الشاعرينَ أَسَى فَمَا اعْتِذَارُهُ شَعْرٍ فَيْكَ لَمْ يَذُبْ
شيثان، يُرْفَعُ قَدْرُ الْمَرْءِ مَا ارْتَفَعَا، نَظْمٌ لَدَى الشَّعْرِ أَوْ مَأْثُورَةُ الْخُطْبِ
مَاذَا يَقُولُ لِسَانُ الشَّعْرِ فِي رَجُلٍ خَيْرُ الْبَنِينَ بَنُوهُ وَهُوَ خَيْرُ أَبٍ
إِنْ غَابَ عَنَّا فَفِي أَوْلَادِهِ عَقِبٌ يَحْيِيكَ ذِكْرًا وَذِكْرُ الْمَرْءِ فِي الْعَقَبِ
أودى بحساده غيظاً كأن به ((محمدًا)) وبشانيه ((أبالهـب))
لا عيبَ فيه سوى إسرائفه كرمًا يَوْمَ النَّوَالِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُعَبِّ
وفي الرضا مسرُحٌ للقولِ منفسُحٌ كُلُّ الْقَصَائِدِ فِيهِ دَرَّةُ الشُّحِّ
أنسُ الجليسِ وإن نابته نائبةٌ كَأَنَّهُ - وَهُوَ دَامِيَ الْقَلْبِ - فِي طَرَبٍ
أخو الندى وأبو العليا إذا انتسبا ((كناية بهما عن أشرف النسب))^(٢)
كُلُّ الْخِصَالِ الَّتِي جَمَعَتْهَا حُسْنَتٌ وَقَعًا وَأَحْسَنُ مِنْهَا طَبْعُكَ الْعَرَبِي
لَا تَحْسَبَنَّ تَمَادِي الْعَمْرِ أَدَبَهُ كَذَاكَ كَانَ عَلَى الْعَلَّاتِ وَهُوَ صَبِي

(١) الشنب محرقة: ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان.

(٢) تضمين من المتنبي في قصيدته التي رثى بها أخت سيف الدولة إذ بلغه خبر وفاتها وهو في الكوفة.

إن لم يؤدّ بياني حَقَّكم فلقد سَعَيْتُ جَهْدِي ولكنْ خَانَنِي أدبي
تَلَجَّلَجْتُ بِدَخِيلِ الْقَوْلِ ((أَلْسَنَةُ)) لِلْعُرْبِ كَانَتْ قَدِيمًا زِينَةُ الْكُتُبِ
إنْ أَنْكَرْتَنِي أَنْاسٌ ضَاعَ بَيْنَهُمْ قَدَرِي فَمَنْ عَرَّفَ ((الْحَجَّارِ)) بِالذَّهَبِ^(١)
كَمْ حَاسِدٍ لَمْ يَجْرَبْ مِقْوَلِي سَفَهًا حَتَّى دَسَسْتُ إِلَيْهِ السُّمَّ فِي الرُّطْبِ
طَعْنُهُ بِالْقَوَافِي فَأَنْشَى فَرَقًا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ وَقَعَ الْمَقُولِ الذَّرْبِ
فَإِنْ جَهِلْتَ فَتَى قَدْ بَدَأَ مَشِيخَةً فِي الشَّعْرِ فَاسْتَقْصِ عَنْهُ ((حُلْبَةُ الْأَدَبِ))^(٢)

النجف عام ١٩٢٥

^(١) تعريض بالشاعر ((الشيخ مهدي الحجار)).. والأبيات تعريض بشعر جيل الشيخ.

^(٢) ((حلبة الأدب)) الكتاب الذي ألفه الجواهري يعارض به الشعراء الكبار وهو هنا يعرف بنفسه لأن القصائد كانت تلقى غفلاً من أسماء أصحابها.

شوقي وحافظ

يا للرفاق ومثل ما كابدته ما ألاقى كابدته رفاقي
وطني نقيض شُكوله فرجاله شابوا وما شَبُوا عن الأطواق
عَتَقُ النِجَارِ يَينَ بين خِيوله أمّا الرجالُ به فغيرُ عِتَاقٍ^(١)
ضربَ الأسي سُوْراً عليه وأحدت سودُ الحوادثِ أيّما إحداق
إيه خليلي لا تَرُزني طامِعاً في منطقي فيرَيِّكَ استنطَاقِي
فلقد أكون وما غُلِقن مقاولي واليومَ وهي كثيرةُ الإغلاقِ
إن أطوٍ يلتهبِ الضميرُ وإن أبخ يوماً ففوق يدي يدُ الإرهاقِ
مَمَّ التعجُّبُ صاحِبِي وإنّما قَسَمَ الحظوظَ مقسّمَ الأرزاقِ
والحِذْقُ في سبك القريض وصوغه متفاوتٌ كتفاوت الحُذَاقِ
وأجلُّ ما ترك الفتى من بعده أثرٌ على مرّ الليالي باقِ
لا يفخرن أحدٌ عليّ بشعره الفخرُ مدّخرٌ ليوم سباقِ
((شوقي وحافظ)) لا يَجُسُّ سواكما نبضُ القريض وماله من واقِ
لكما الخيارُ إذا الرجال تنافسوا أو حرّروا دعوى بلا مصداقِ
أن تَقْتُلَا أو تُحْرِقَا متشاعراً أو تقطعا يدَ شاعر سراقِ
هل تحكمان اليومَ حكماً عادلاً خلّوا من الإرهابِ والإشفاقِ
في شاعر لزم البيوت وأخفقت منه المآربُ أيّما إخفاقِ
لكما شكّا ظلمَ العراقِ وذلةً أن يشتكي ظلمَ العراقِ عراقي
أهدى سوايَ نفسيه وأنا الذي أهدى إليه نفائسَ الأعلاقِ

((شوقي وحافظ)) أوضحاً في أيّنا لُطْفُ الخيالِ أو الشعورُ الراقي

^(١) عتق النجار: كرم الأصل.

أنا الذي اتخذ البلاد شعاره أم هم وقد لبسوا ثياب نفاق
في كل يوم في رداء وفق ما تقضي بذلك عملة ((الأوراق))
وأنا وأخلاقي كما علم الورى أم هم وفيهم سوء الأخلاق
وأنا الذي أعطى القوافي حقها من ناصعات في البيان رقاق
ومهذبات جمّة عشاقها ((إن المليحة جمّة العشاق))
تجلى على قرائها فتميلهم سكرًا كما يجلو السلاف الساقى
أم هم وكم بيت لهم مستهجن ناب عن الأسماع والأذواق
وأنا الذي صان القريض عن الذي يُزري به من فرقة وشقاق
ومدائح كادت لفرط غلوها تشكو من المخلوق للمخلوق
أم هم وقد باعوا الضمائر واشتروا عيش الدليل وبُلغة الأرماق
غَنّوا سواهم يطلبون عتاده فكأنهم ((جوق)) من الأجواق
أبياتكم تبقى لهم وهبائهم ليست بباقية على الإنفاق
وأجل من هبة يُذل بها الفتى أشعاره صبر على الإملاق
عاراً أرى وأنا ((الأديب)) بضاعتي معروضة كبضائع الأسواق
كيف التجدد في القريض وأهله شدّتهم أطماعهم بوثقاق
أخذوا على الآداب من عاداتهم وجمودهم فيها بكل خناق
إني لأصبو للقريض تهذبت منه الحواشي صبوة المشتاق
وأريد شعراً ليس في أبياته غير القلوب تبين للأحداق
وأجل ما خلق الإله لخلقه وحساب فضل الله غير مطاق
الشعر في تأثيره والغيث في آثاره والشمس في الإشراق

النجف عام ١٩٢٥

بعد المطر

عاطى نبات الأرض ماء السماء
وبات إذ حطَّ بها ثقله
أوشكت القيعة إذ فُتحت
واهتدت الشمس لتجفيفها
الجو زاهٍ والثرى فائح
والعود يهتز لمصر الصبا
والغيث يهمل أين من صفوه
تفتح خضر الربى للندى
وعطري ريح الصبا بالشذا
كل فصول الدهر لا تُشترى
جاء الربيع الطلق فاستبشري
مثل الذي لا قيت من ذا وذا
صوب الحياة رفقا فكم لطمة
كان نضح القطر من فوقه
إني تخالفت وزهر الربى
أنفاسها نشر شذى نافح
كل وجوه الأرض مكسوّة

ما لا تُعاطيه كؤوس الرحيق
يكلّف الأرض بما لا تُطيق
لها السماء مما عراها تضيق
فابتعثت شكر النبات الغريق
ومنظر الأرض لطيف أنيق
والروض من سكرته لا يُفيق
وهو جديد خمردن عتيق
في مبسم الفجر - متى شئت - ريق
وانفتقى عن فار مسك فتيق
بالنزر من نشر شذا العيق
غريمك البرد طريد طليق
يصدف في الدهر انفراج وضيق
أنزلتها قسراً بخد الشقيق
ذائب دُرّ في أواني عقيق
والكل منادو مزاج رقيق
وحر أنفاسي شواظ الحريق
لفائف الأزهار حتى الطريق

النجف عام ١٩٢٥

درس الشباب أو بلدتي والانتقال

٢٩٧

ديوان الجواهري

إنزعي يا بلدي ما رث من هذي الثياب
وإذا خفت عراءً فسيكسوك صحابي
أمل لي فيك بعد اللـه ينمو في الشباب
يا بني العشرين في أعمالكم فصل الخطاب
رهن ما عندكم من همة عقيب المآب

يا شباباً نهضوا والناس من هاو وكابي^(١)
أي باب ولجوها وولجتم أي باب
كتب الله لك النصرة في هذا الغلاب
إن في أعينكم رمزاً لأسرار عجاب
إلزموا خير صحاب لا تبقي من ضباب
اتركوا كل قديم منه يسعى في تباب
شمروا واعتصبوا نجحكم في الاعتصاب
أنبذوا منه قشوراً وتغذوا باللباب
هزل الشعر وأنتم من مراعيه الخصاب
لا تقولوا حسبتنا منه وزيدوا في الطلاب
قد رأيتم ما تجشمننا عليه من صعب
ليس بالهين أن نأتي بأيات عذاب

(١) الكابي: العاثر.

خاليات من نفورٍ وغلوّ واضطرابٍ
إنّها ذوبٌ قلوبٍ صيغٌ في لفظٍ مُذابٍ

لو سُئلنا كيف نظمُ الشعـرِ جَرنا في الجوابِ
لستُ أدري غيرَ أنّي كان حبُّ الشعرِ دابي
كاد يُلهيني حتّى عن طعامي وشرابي
قد قرأتُ الشعرَ في القرـ أن من عهد التصابي:
(بقـدورٍ راسياتٍ وجفانٍ كالجوابي)
ولكم هيجٌ طبعي نغمٌ عودٍ أو ربابٍ
كانَ لحنُ الشعرِ فيه بارتفاعٍ وانصبابٍ
واذا ما عدّوا أهلُ بُبوغٍ واكتسابٍ
لم يكنْ عندي سوى الشاعرِ من خَلقٍ عُجابٍ

هكذا كنتُ وما زادَ على العشرِ نصابي
حبذا الشعرُ ربيعياً طبعي الإهابِ
مُظهراً قدرةَ ربّي في وهـادٍ أو روابي
وصفَ نهرٍ في الثرى أو وردةَ بين الشعابِ
يوم تُضحى الدمنةُ الغبراءُ خضراءُ الجنابِ
أو حاسباً يُثيرُ النفسَ عن عارٍ وعابِ
كاشفاً عن عينها كلَّ غطاءٍ وحجابِ
فلماذا كان مديحاً فليقرّب للصوابِ

أَوَّلَا يَأْنَفُ حُرٌّ أَنْ يُجَابِي أَوْ يُجَابِي
وَلِذَا كَانَ رِثَاءٌ فَلْيَكُنْ رَجَعَ الْمَصَابِ
وَلِذَا كَانَ هَجَاءٌ فَلْيُنَزَّهُ عَنْ سَبَابِ
لَيْسَ شَأْنُ الْمَرْءِ نَهَشَ الْمَرْءِ بَلْ شَأْنُ الْكَلَابِ
إِمَزْجُوا الطَّعْنَ بِهِ مَزْجَكُمْ شُهِدَا بِصَابِ
لَيِّنَ اللَّفْظِ وَفِي طَيَّاتِهِ وَخَزْ الحَرَابِ

قَدْ سِئِمْتُ الشَّعْرَ مَا فِيهِ سِوَى مَعْنَى كِذَابِ
كُلُّ يَوْمٍ شَاعِرٌ كَالْبُومِ يَنْعَى فِي خَرَابِ
وَقَوَافٍ لَا يَلْجُنَ السَّمْعَ إِلَّا بِاِغْتِصَابِ
لَهْجَةُ الصَّدَقِ بِهَا مِثْلُ بِيَاضٍ فِي غُرَابِ
أَنَا يَا شَعْرُ وَإِيَّاكَ سِوَاءٌ فِي الْعَذَابِ
أَنَا مِمَّا بَكَ أَبْكَيكَ وَتَبْكِينِي لِمَا بِي
شَكَّتِ الْقَوْمُ حُضُورِي وَسِيشُ كَوْنِ غِيَابِي
بِزَّةُ الشَّاعِرِ قَدْ تُعْرِفُ مِنْ بَعْدِ اسْتِلَابِ
إِنْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ أَجْرٌ فَهُوَ لِي يَوْمَ الْحِسَابِ
إِنْ فِي إِقْطَاطِ قَوْمٍ رَقَدُوا خَيْرَ الثَّوَابِ
وَبَعَثَ النَّاسِ مِنْ أَوْهَامِهِمْ عَتَقَ الرِّقَابِ

النجف عام ١٩٢٦

في الثورة السورية

٣٠٣

ديوان الجوامري

في ثورة الدروز على الاستعمار الفرنسي

مثلُ الذي بك يا ((دمشق حُ)) من الأسى والحُزن ما بي
 دمعي يَينُ لك الجوى والدمعُ عنوانُ الكتابِ
 زاهي الحمى نهبُ الخطوبِ ومهجتي نهبُ المصابِ
 أرايتَ مرتبَعَ الشَّعابِ بها ومُصطافَ الهضابِ
 والنبتَ مُحضَّلَ الثَّرى والرَّوضَ مخضَّرَ الجنابِ
 والحسنَ تبسطه الطبيعةُ في السَّهولِ وفي الروابي
 والشمسَ تبدو من خلال الغيمِ خُوداً في نقابِ
 فإذا انجلى هزَّتْكَ روعاً لهُ نورها فوق القبابِ
 والروضُ نشواناً سقاه الماءُ كأساً من شرابِ
 ((بردى)) كأنَّ برودَه رشقاتُ معسولِ الرُّضابِ
 تلك النَّضارةُ كُلُّها كُسيَتْ جلايبَ الخرابِ

ثوري ((دمشق)) فإنما نيلُ الأمانِ في الطُّلابِ
 وخذي الوفاقَ فإنما عُقبى الخلافِ إلى تبابِ
 إن تغصبي لتليدِ مجـ يدِ أذنوه باستلابِ
 ومنيع غابِ طوقوهُ بالبنادقِ والجرابِ
 ومعاطسِ شُمِّ أرا دوا عَرَكَها بالاغتصابِ
 فلأنتِ رَغَمَ خلوّ كَفَّـك من مُعدّاتِ الضرابِ
 بالعاطفاتِ الحانياتِ علـ بيكِ وافرهُ النصابِ
 ولأنتِ أَمْنَعُ بالنُّفوسِ المسـ تَميْتُهُ من عُقابِ
 فتماسكي أو تُكرهـي بالرغمِ منكِ على انسحابِ

فَلَشَرُّ مَا عَمِلَ امْرُؤٌ عَمِلَ يُهْدَدُّ بِاقْتَضَابِ
 سُدِّي عَلَيْهِمُ أَلْفَ بَا بِ إِنْ أَطَاقُوا فَتَحَ بَابِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ حَجَرٌ يَضُرُّ بِهِمْ فَكُومٌ مِنْ تُرَابِ
 لَا تُكْرَفِي الدُّنْيَا وَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا فِي الْغُلَابِ
 شُبَّانَ سُورِيَا الَّذِينَ تَنَاوَشُوا قِمَمَ السَّحَابِ
 وَالْمُبْدَلِينَ بِرَأْيِهِمْ فِي اللَّيْلِ عَنْ قَبَسِ الشَّهَابِ
 الْمَالِكِي الْأَدَبَ الصَّمِيمَ وَوَارَثِي الشَّرَفِ اللَّبَّابِ
 لَكُمْ الْعِتَابُ وَإِنَّمَا عَتَبُ الشَّبَابِ عَلَى الشَّبَابِ
 سُورِيَّةٌ أُمُّ الضَّرَاغِمِ أَصَبَحَتْ مَرَعَى الذَّنَابِ
 مَثَلُ الْوَدِيعِ مِنَ الطَّيُورِ تَعَاوَرَتْهُ يَدُ الْكَلَابِ
 بَاتَتْ بَلِيلَةً ذِي جُرُوحٍ حِمْيَرٌ مَسْتَفِضَاتٍ رَغَابِ
 وَسَهَرْتُمْ مَتَضَارِبِي النَّزْرِ عَاتٍ مُخْتَلَفِي الثِّيَابِ

مَنْ كَانَ حَابِي أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِنِّي لَا أَحَابِي
 لِأَبَدٍ أَنْ يَأْتِيَ الزَّمَانُ نُ عَلَى بِلَادِي بِانْقِلَابِ
 وَيَرَى الَّذِينَ تَوَطَّنُوا أَنَّ الْغَنِيمَةَ فِي الْإِيَابِ
 مَاذَا يَقُولُ الْمَالِئُ الْأَكْرَاشُ مِنْ هَذَا النَّهَابِ
 إِنْ دَالَ تَصْرِيفُ الزَّمَانِ نِ وَأَنَّ تَصَفِيَةَ الْحَسَابِ
 جَاءُوا لِنَا صُفَرَ الْعِيَا بِ وَقَدْ مَضَوْا بُجْرَ الْعِيَابِ

النجف عام ١٩٢٦

عند الوداع

الله يصحبُ بالسلامِ مودَّعي عَجلاً وإن أخنى عليَّ بَعادهُ
شُدَّتْ على شَعْبِ القلوبِ رحالُهُ وَجُداً وفاضتْ بالدموعِ مَزادهُ
وميمِّم ((بغداد)) كادت حسرةً منها عليه تؤمُّه بغدادهُ
حسبُ ((الفراتِ)) شجىً فراقكمُ له وكفى بدجلةً أنكم وُرادهُ

قولوا لِمَنْ هذا القريض؟ يسرني ما قلتمُ إن راقكم إنشادهُ
وإذا قست تلك القلوبُ فرددوا أبياتَه ليلينَها تَردادهُ
وإذا جرى ذكري فقولوا شاعرٌ يجري على طرفِ اللسانِ فؤادهُ
ماذا عليكم أن يُسَيَّرَ باسمكم شعري وتهفو نحوكم نُشادهُ
شعرٌ يجيءُ به الجمالُ مكرراً منه الجميلُ متى يكون نَفادهُ؟
لا أستهي هزجَ المغني في الهوى ما لم تُجسَّ بذكركم أعوادهُ

النجف عام ١٩٢٦

ويلي لأمة يعرب

جِدُّوا فَإِنَّ الدَّهْرَ جَدًّا وتراكضوا شياً ومُرِّداً
وتحاشدوا خَيْرُ التَّسَابِقِ لِلْعَلَى مَا كَانَ حَشِداً
صُولُوا بِعِزِّ لَيْسَ يَصْدَأُ حُدُّهُ وَالسَّيْفُ يَصْدَأُ
لَا تَقْعُدُوا عَنْ شَحْنِهَا هَمًّا تَيْدُ الدَّهْرِ أَدَاً^(١)
أَوْ لَسْتُمْ خَيْرَ الْمَوَاطِنِ موطناً وأعزَّ جُنْدَا

فَازَ امْرُؤٌ عَرَفَ التَّقَلُّبَ فِي اللَّيَالِي فَاسْتَعَدَّ
فِي لَوْحِ رَبِّكَ ((آيَةً)) خُطَّتْ عَلَى مَنْ كَانَ جَلْدَا
لَا يَأْسُنُ مَنْ خَابَ مَمْسَى أَنْ يَنَالَ الْأَمْرَ مَغْدَى
ذَلَّ امْرُؤٌ قَعَدَتْ بِهِ آمَالُهُ قَيْدَاً وَشَدَاً

أَيُّنَ الَّذِينَ إِذَا انْتَحَسَتْهُمْ شِدَّةٌ كَانُوا الْأَشَدَّ
وَإِذَا الْخَطُّوبُ عَرَّتْهُمْ لَمْ يَضُرُّعُوا لِلْخَطْبِ خَدَاً
تَحْدُوا الثِّبَاتَ سَلَاخَهُمْ وَتَدْرَعُوا حَزْماً وَجَدَاً

أَبْنِي ((مَعْدً)) بِلَادُكُمْ لَا تُغْضِبُوا فِيهَا مَعْدَاً
وَطَنُ مُفْدَى خَيْرُ مَا حَضَنَ الْفَتَى وَطَنُ مُفْدَى
((الرَّافِدَانِ)) بِجَانِبِهِ تَجَارِيَا خَمِراً وَشُهُدَاً

(١) أد: أثقل وأتعب.

والزاهراتُ من الرياضِ تَضَوُّعتْ أَرْجَاءُ وَندًا
وكَسَتْ رُبَاهُ يَدُ الطَّبِيعَةِ من بَدِيعِ الحُسْنِ بُردًا
فَرَدُّ الجِسمَالِ وفي الغُلُوبِ بِحَبِّهِ أَصْبَحَتْ فَرْدًا
صَبَابًا نَشَأْتُ وَكَلَّمَا زادتُ سَنِينِي زدتُ وَجْدًا
وَطَنَنْ إِذَا ذَكَرْتَهُ لِي وَبِیَ الْغَلِيلِ وَجَدْتُ بَرْدًا
وَلَوْ اسْتَفْقْتُ تَرَابَهُ لَوْجَدْتُ عِشْيَ فِيهِ رَغْدًا
أَعَزَزْتُ بَأَنِّي لَا أُطِيقُ لِمَا دَهَى وَطَنِي مَرْدًا
((الله)) يَشْهَدُ أَنَّنِي لَمْ أَلَهُ فِي النُّصْحِ جُهْدًا
لَا تَأْسَفَنْ وَطَنِي وَكُنْ ثَبَتًا عَلَى الْأَيَّامِ صُلْدًا
ظَلَمْتُ تَعَدَّى حَدَّهُ وَالظَّلَمُ يُرْدِي إِنْ تَعَدَّى
((الله)) يَجْزِي خَيْرَ مَا جَازَى بِهِ مَوْلَى وَعَبْدًا
صِيدَا ((لِيعْرَبَ)) شَهِدُوا عَزًّا وَلِلْأَوْطَانِ مَجْدًا
فِي ذِمَّةِ الْوَطَنِ الَّذِي بَذَلُوا لَهُ نَفْسًا وَوُلْدًا
رُوحٌ بِظُلْمٍ أَزْهَقَتْ وَدَمٌ جَرَى ظُلْمًا وَعَمْدًا
أَفْكَانَ عُقْبَى مَا لَقُوا أَنْ زَادَتْ النِّفَقَاتُ عَدَا

وَيَلِي لَغْلَمَةٍ ((يَعْرَبُ)) هَدَّتْهُمْ الْأَيَّامُ هَدَا
الْجَوْرُ الْحَمَّ بُرْدَةَ الْبَلَاوى لَهُمُ وَالضَّمِيمُ سَدَى
وَيَلِي لَكُفٍّ لَمْ تَجِدْ عَصْدًا تَصُولُ بِهِ وَزَنَدًا
وَيَلِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ خَصَمًا أَلَدًا

مَنْ أَيْنَ دَارُوا وَاجْهُوا نَكَبَاتِهَا سُودَا وَرُبْدَا
هَوَاتِ الْعُرُوشُ كَأَنَّمَا بَعْضُ بَشَرٍ الْبَعْضُ يُعْدَى
فَقَدَتْ ((دَمَشَقُ)) زَهْوَهَا وَجَمَالُ ((بَغْدَادِ)) تَرْدَى
وَجَزِيرَةُ ((الْعُرْبِ)) اَزْدَرَتْ نُورَ ((النَّبَوَّةِ)) فَاسْتُرْدَا
بَاتَتْ بِهَا أَحْقَادُهَا يُوَسِّغْنَ خَرْقًا لَنْ يُسَدَّا

النجف عام ١٩٢٦

من النجف إلى العمارة

أنا مذهبهم فيكم كان دأبي أن أربي على الصبابة قلبي^(١)
إن تزيدوا الجوى فأهلاً وإلاً حسبكم ما لقيت منكم وحسبي
وبحسبي من الأوبة ظلاً أن يعد الغلو في الحب ذنبي
يعلم الناس ما أكابد منكم في سبيل الهوى ويعلم ربي

يا أبا صادق أحبك حباً لا يُقَي على اصطبار المحب
إن عتبنا فلم يكن عن ملال أحسن الوُد ما يُشَاب بعتب
لست أدري عَقَقْتُ صَحْبِي لَمَّا هِمْتُ أم عَقَّنِي لأجلِكَ صَحْبِي
غير أني أراك وافقت طبعي دون هذا الورى وجانست لبي
وأراني صَبّاً بأخلاقك الغرّ وما كنت قبل ذاك بصَبّاً
ولعمري لقد تربيت حتى عَرَفَ الناس فيك فضل المرِي
أي عيش لي في العمارة رَغْدٍ وزمان مَضَى هنالك عَذْبٍ

^(١) ورد البيت في طبعتي دار العودة بيروت ووزارة الثقافة والإعلام العراقية بالشكل الآتي:

أنا مذهبهم فيكم كان دأبي أن ما ترتضون يحمله قلبي

وأحاديث لا تُمل من الوجدِ بلفظ كاللؤلؤ الرطبِ رطبِ

حبذا دجلةٌ وعن جانيها تَمْشِي الظلالُ جنباً لجنبِ
إن تَسَلْنِي عن الزَّمانِ وأهليهِ فَإِنِّي طَبُّ بِهِم أَيَّ طَبِّ
عِشْ كما تشتهي إذا كنتَ حَبّاً والزَّمِ البيتَ إنْ تكنْ غيرَ حَبِّ
ليتَ مولى ((حمدان)) يُنْشِرُ حَيّاً ليرى كيفَ حالُهُ ((المتنبي))

النجف عام ١٩٢٦

في ذكرى الخالصي

سَلَّمُ الزَّمَانِ، وَإِنْ حَرَصْتَ قَلِيلُ لَا بَدَّ أَنْ سَيَغُولُ شَمْلَكَ غَوُلُ
بِالرَّغْمِ تَمَّارَجَفْتُ أَوْهَامُنَا يَأْتِي الْمَخَوْفُ وَيُمنَعُ الْمَأْمُولُ
كَمْ ذَا يَسْرُكُ أَنْ تَفُوتَكَ سَاعَةٌ طَالَتْ، أَنْتَ إِلَى الْمَهَاتِ عَجُولُ؟
حَقًّا أَقُولُ وَمَا الْحِمَامُ بِتَارِكِي، إِنِّي عَلَى كُزِّهِ الرَّدَى مَجْبُولُ
يَكْفِي الْعَقُولَ جَهَالَةَ تَعْرِيفُهَا لَلْمَوْتِ أَنْ سَبِيلَهُ مَجْهُولُ

الليلُ مُغْبِرُ النجومِ حَزِينُهَا وَالصَّبْحُ فِي حَبْلِ الدُّجَى مَوْصُولُ
وَالشَّمْسُ كَاسْفَةُ الْجَبِينِ مُشِيحَةٌ وَالبَدْرُ حَيْرَانُ السُّرَى مَذْهُولُ
حَزْنًا لِيَوْمِ أَبِي مُحَمَّدٍ إِنَّهُ يَوْمٌ عَلَى يَوْمِ الْحِسَابِ يَطُولُ

اللَّهُ يَجْزِيكَ الْجَمِيلَ فَكُلُّ مَا خَلَفَتْهُ فِي الْمُسْلِمِينَ جَمِيلُ
الْمُعْوَلَاتُ عَلَيْكَ غُرٌّ مَكَارِمِ قَامَتْ عَلَيْهَا رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
وَطَنْتَ نَفْسَكَ لِلصَّعَابِ فَذُلَّتْ إِنَّ الصَّعَابَ يَرَوْضُهَا التَّذْلِيلُ
وَبَذَرْتَ لِلْأَوْطَانِ أَشْرَفَ بَذْرَةٍ سَتَطُولُ أَفْرَاعُهَا وَأَصُولُ
أَعْمَالُكَ الْغُرُّ الْحَسَانُ خَوَالِدُ وَالْمَرْءُ عَنْ أَعْمَالِهِ مَسْؤُولُ
كُنْ آمِنًا أَنْ لَا تَضِيعَ مَتَاعِبُ سَيُقِيمُهَا التِّمَثَالُ وَالتَّمْثِيلُ
مَهَذَّتْ لِلنَّشْرِ الْجَدِيدِ سَبِيلَهُ فَلْيَشْكُرَنَّكَ بَعْدَ جِيلِكَ جِيلُ
وَمَلَكَتْ لَمْ تُقَدِّ الرِّعِيلَ وَإِنَّمَا يُغْنِيكَ رَأْيُكَ أَنْ يُقَادَرَ عَيْلُ
حَمَلَتْ لَنَا الْأَسْلَاكَ نَعْيَكَ مَوْجَزًا حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَوْحَشِ التَّنْزِيلُ
أَوْ أَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَنْصَدَعْ حَتَّى بَكَى قَرَأَنَهُ الْإِنْجِيلُ

أعيت بما حملت فجاءت عِيَّةٌ لا تستينُ النطقَ حين تقولُ
منهوكَةٌ لم يُبقِ فيها من دَمًا نبأ على سَمْعِ الزمانِ ثَقِيلُ^(١)

اللهَ ما هذا الجلال، حياتهُ ترنيمَةٌ ومماتُهُ تبجيلُ
هل مدّ روحُ الله عيسى روحَه أم كان ينفُثُها به جبريلُ
قم وانع للبيتِ الحرامِ شعارُهُ وقل انطوى التكبيرُ والتهلِيلُ
وتعطلتْ سُبُلُ المحامدِ والتقى والمكرماتِ فما هناك سبيلُ

قد قلتُ فيك وقلتُ ثانيَ مرّةٍ ولسوف أرجعُ كَرّتي فأقولُ
أمّا العراقُ وقد قضيتَ فكفُّهُ مشلولَةٌ وحسامُهُ مفلوولُ
إنّ ينتفضُ فبقوةٍ مستغلبُ أو ينتفضُ فبذلّةٍ مغلولُ
اللهُ والأوطانُ تعرفُ نيتي فأنا الذي ببلاده مشغولُ
وطنٌ جميلٌ، وجهه بغدادُهُ ورُضابهُ من دجلةٍ معسولُ
كيف السُّلُوُ وليس تبرحُ بُكرةٌ فيه تهيجُ صبابتي وأصيلُ
إنّي لأشتاقُ الفراتَ وأهلَهُ ويروقُني ظلُّ عليه ظليلُ
وأحبُّ شاطئَهُ وروعةَ سَفْحِهِ تحنو على الأمواج فيه نخيلُ
أشقى على جُرفِ المهالكِ موطنُ يديهِ لا يدِ غيره مقتولُ
آلامُهُ صدعُ الشَّقاقِ بأهلِهِ وبلاؤُهُ الأوهامُ والتضليلُ

(١) الذمّاء: بقية الروح في الجسد.

في كلِّ يومٍ ضجَّةٌ ملعونةٌ أن يحدثَ التغيُّرُ والتبدُّلُ

يا شرقُ يا مهدَ السَّلامِ ألم يئنْ أن يستطيرَ إلى السَّلامِ رسولُ
إن يُسرِّجَ المستعمرونَ خيولَهم فلهم تِراتٌ جمَّةٌ وذُحولُ
أو تُنسَ ((عمَّورٌ)) وما دفعوا بها لم تُنسَ ((قرطبةٌ)) ولا ((إشبيلُ))
مَحَرَّتْ بأشباهِ البُحورِ سفائنُ وَعَدَتْ بأمثالِ الصُّقورِ خيولُ

النجف عام ١٩٢٦

ذكرى دمشق الجميلة
(في الثورة السورية ضد الاستعمار)

كؤوس الدّمع مُترعة دهاقُ وللحزنِ اصطبّاحُ واغتباقُ
مضى ((فرعونُ)) لم تفقده مصرُ ولا ((هارونُ)) حنّ له العراقُ
أديفَ ((الرافدان)) فلن يُرادا ولا ((بردي)) من البلوى يُذاقُ
وكيف يَلدُّ للورادِ ماءٌ عليه من بنيه دمٌ يُراقُ

ثباتاً يا دِمَشقُ على الرزايا وتوطيناً وإن ضاق الخناقُ
وفوزاً بالسّباق وليس أمراً غريباً أن يكون لك السباقُ
دمشقُ وأنت غانيةٌ عروسُ أمُشَتَبِكُ الحرابِ لك الصّدّاقُ؟

أذنباً تحسبون على البرايا إذا ما ضويقوا يوماً فضاقوا
بعين الله ما لقيت شعوبُ لحدّ السيفِ مكرهةٌ تُساقُ
عجافاً أطلقت ترعى، ولكن معاهدةُ القوي لها وثاقُ
وعيّت مُذْبَغَتْ حقاً مضاعاً وساموها الدّمار فلم يُعاقوا
ذروا هذي الشعوب وما اشتتهه مذاقُهُم لهم ولكم مذاقُ

تحررت البلادُ سوى بلادِ ذيولِ شاننٍ الالتحاقُ
أبوابُ الله يُفتح للبرايا وعن هذي البلادِ به انغلاقُ
وكيف تسيرُ مطلقةً بلادٌ عليها من أحاييلِ نطاقُ
فيا وطني ومن ذكراك رُوحِي إذا ما الروحُ أخرجها السياقُ
أشاقُ إلى رُبّاك وأيُّ حرٍّ أقلتَهُ رُبّاك ولا يُشاقُ
ويا جوَّ العراقِ وكنّت قبلاً مداواةُ المراضِ بك انتشاقُ

لقد خَبَّثْتُ بِكَ الْأَنْفَاسُ حَتَّى لِرُوحِي مِنْكَ بِالرُّوحِ اخْتِنَاقُ

على ((مدنية)) زَهَرْتُ وفاقاً سلامٌ كُلِّمَا ذَكَرَ الْوَفَاقُ
تَوَلَّى أَسْهَى الْبَاقِي اعْتِنَاءً وَشَيْدَ ذِكْرُهَا الْحَسَنَ اتِّفَاقُ
أَشَاقُ لَهَا إِذَا عَنَّتْ خِيَامٌ وَأَذْكُرُهَا إِذَا حَنَّتْ نِيَاقُ
تَغَشَّيْتُهَا النَّزَاهَةُ لَمْ تَشُبْهَا أَسَالِيبُ كِذَابُ وَاخْتِلَاقُ
كَمَا شَيْدْتُكُمْ شِدْدَنَا وَزَدْنَا وَلَكِنْ مَا لَقِينَا لَمْ تَلَاقُوا
وَمَا سِيَانِ بِالرَّفَقِ امْتِلَاكُ لِمَمْلَكَةٍ وَبِالسَّيْفِ امْتِشَاقُ
سَلَوِ التَّارِيخَ عَنْ شَمْسٍ أُدِيلَتْ وَعَنْ قَمَرٍ تَعَاوَرَهُ الْمُحَاقُ
هَلِ الْإَيَّامُ غَيَّرَتِ السَّجَايَا وَهَلِ خَشُنَتْ طِبَاعُهُمُ الرِّقَاقُ
وَهَلِ إِفْرِيقِيَا شَهِدَتْ سَرَاةً بِهَا كَالْعُرْبِ مَذْعُورِ الزَّقَاقُ
غَدَاةَ الْبَحْرِ تَمْلِكُهُ سَفِينٌ لَنَا وَالْبَرْ تَحْرُسُهُ عِتَاقُ
و((طَارِقُ)) مَلْؤُهُ نَارٌ تَلْظَى وَحَشَوُ دُرُوعِهِ سَمٌّ زُعَاقُ
بَأَنْدَلَسٍ لَنَا عَرْشٌ وَتَاجٌ هَوَى بِهِمَا التَّخَاذُلُ وَالنَّفَاقُ
هَمَا شَيْئَانِ مَا اجْتَمَعَا لِشَعْبٍ فَإِنَّمَا الْمَلِكُ فِيهِ أَوِ الشَّقَاقُ
أَوَّلُكَ مَعْشَرٌ سَكَرُوا زَمَاناً وَنَاحُوا مَلَكَهُمْ لَمَّا أَفَاقُوا
فَإِن كُتِبَ الْفِرَاقُ لَنَا فَصَبْرٌ عَلَى كُلِّ الْوَرَى كُتِبَ الْفِرَاقُ
لَنَا شَوْقٌ إِذَا ذَكَرُوا رَبَاهَا وَإِنْ نُذَكِّرُهَا فَلَهَا اشْتِيَاقُ
يُطَاقُ تَقَلُّبُ الْإَيَّامِ فِينَا وَأَمَّا أَنْ نُذَلَّ فَلَا يُطَاقُ

النجف عام ١٩٢٦

الى روح العلامة الجواهري
المغفور له الشيخ حسن نجل صاحب الجواهر

حَذِرْتُ وَمَاذَا يُفِيدُ الْحَذْرُ وَفَوْقَ يَمِينِي يَمِينُ الْقَدْرِ
وَمَمَاهِيُونَ وَقَعَ الْجَاهِمُ أَنْ لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْهُ مَفَرٌ
يُوقِّعُ مَا شَاءَ عُدُوُّ الزَّمَانِ وَيَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْهُ الْوَتَرُ
((فِيَوْمٍ عَلَيْنَا وَيَوْمٍ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسْرُ))
تَعَشَّقْتُ مِنْ ((عَمْرِ)) قَوْلُهُ وَكَمْ حِكْمَةٌ فِي مَعَانِي عَمْرٍ^(١)
أَرَى دَهْرَنَا مَسْرَحًا كُلُّنَا نَرُوحُ وَنَعْدُو بِهِ كَالصُّوَرِ

أَقُولُ وَقَدْ قِيلَ جَاءَ الْبَرِيدُ يَنْتُ إِلَيْكَ بِهَذَا الْخَبَرِ
عَجِيبٌ لَهُ كَيْفٌ لَمْ يُوْهِهِ فَقَالُوا صَدَقْتَ لِهَذَا عَثَرُ
عَرَفْتُ الْكِتَابَ بِمُضْمُونِهِ يُحَدِّثُ: أَنَّ الْيَرَاعَ انْكَسَرُ
خَلِيلٍ مَا أَنْتَ صَانِعَانِ بِدَمْعٍ تَرْقُرُقُ ثُمَّ انْحَدِرُ
تَحِيرَ بَيْنَ النُّهَى وَالْهَوَى فَهَذَا نَهَاهُ وَهَذَا أَمْرُ
هَلُمَّ نَنُوحْ عَلَى دُوحَةٍ ذَوَى الْأَصْلِ مِنْهَا وَجَفَّ الشَّمْرُ
وَلَا تَرْغَبَا فِي اعْتِذَارِ الزَّمَانِ مَتَى زَلَّ دَهْرُكُمَا فَاعْتَذِرْ
وَهَوْنٌ مِنْ حُرْقَتِي أَنْ أَرَى دَمَ النَّاسِ عِنْدَ الْيَلَالِي هَدِرُ

حَلَفْتُ لَقَدْ كُنْتُ عَفَّ اللِّسَانِ وَعَفَّ الْيَدَيْنِ وَعَفَّ النَّظَرُ
جَنَابُكَ لَا تَعْتَلِيهِ الشُّكُوكُ وَنَفْسُكَ لَا يَزِدْهِهَا الْبَطَرُ
شَبَابٌ مَضَى كُنْتُ بَرًّا بِهِ وَشَيْخُوخَةٌ كُنْتُ فِيهَا أَبْرُ

(١) هو عمر الخيام، والبيت من رباعية له مشهورة.

فلم تدْرِ في صِغَرٍ ما الصَّغار ولم تدْرِ ما الكِبَرُ عند الكِبَرِ
ونفُسُك للنفْع مخلوقَةٌ فلو رُمتَ لم تدْرِ كيف الضررُ
لقد جَلَّ خطْبُك عن أن يُقاس بما خلَّفْتَهُ خُطوبُ أُخْرُ
فتلك يُلامُّ بها جازعٌ وهذا يُلامُّ به من صبرُ

بكيُّك للعلمِ مَحْضَتُهُ وأبرزتَه نافعاً مختصرُ
كتابُ أيِّك ومن ذا يُعيد عليه - وقد رحت عنه - النظرُ
وللنفسِ ترهَد في عاجِلٍ وترغِبُ في الآجِلِ المدْخِرُ
لفقد صيامك يبكي النهارُ ويبكي لفقد القيامِ السحرُ
بكيُّك للبيتِ عالي العِمادِ فخاراً نُعِيتَ إليه فَخَرُ
تعطَّل من حَلِيهِ جِيدُهُ وعَقْدُ الجواهر منه انتثرُ
رأيتَ من الناس ما دونه يُفلُّ الحديدُ، يُفَتُّ الحجرُ
نُسِيتَ لآتِكَ رُمتَ الإله وغيرُك رام الورى فاشتَهَرُ
وعافتك دنيَاكَ إذ عَفَّتْهَا وما بك لو رُمتَها من قِصرُ
وأعظمُ ما جرَّ خطْبُ الزمانِ ملائكةٌ تُبْتلى بالبشرُ
ثمانينَ في الله قَضَـيَّتْهَا ستُظهر من فاز ممن خسرُ
على قدر ما اختلف الوردونَ يكونُ اختلافهم في الصِّدرُ
ولو نَفَعَتِ عِبْرَةٌ في الورى لكانت حياثُك أمَّ العبرُ

لقد كَلَمْتُكَ خطوبٌ دَهَتْ لو الصخرُ كابدهنَّ انفطُرُ^(١)
شبابان كُنَّا بلطفِيهما نباهي الخميْلَةَ أُمَّ الزهرِ
فقدتَهما لم يكن بين ذا وذلك إلا كلمحِ البصرِ
أتعلمُ إذ شيعتُ نعشه لمن ذا تُشيعُ هذي الزمرِ
وهل عَرَفَ الموتُ إذ غاله بما أيَّ علقِ نفيسٍ ظفرِ
ولو كنتُ تُرثى كما ينبغي لكنتُ الجديرَ بأمِّ السُّورِ
ولكن على قدرِ ما أستطيعُ أتيتُ أقابل طوداً بِذَرِ
وما أنا الا مُسيءٌ أقرُّ وما أنت إلا كريمٌ عذرُ

هو الحزنُ نَمَّ عليه البيانُ أو الجمرُ نَمَّ عليه الشرُّ
رأيتُ الهمومَ نتاجَ الشعورِ فلا يفرحَنَّ امرؤُ إن شعرُ
ودونَ القصيدِ الذي تقرأونَ إذا جاشت النفسُ وخزُّ الإبرِ
وما المرءُ إلا بآثاره وذكرُك بالخيرِ نعم الأثرِ
أبا حَسَنِ يا جوادَ النَّدَى إذا المحلُّ عمَّ وصنو المطرِ^(٢)
ويا نابغاً حين جفَّ النُّبوغُ وضلَّتْ عن الفكرِ أهلُ الفكرِ
يَهْشُ لك السَّمْعُ قبلَ العِيَانِ وتشتاقلُ البدو قبلَ الحضَرِ
فلا تجزَعَنَّ نِعَمَ عُقبى الفتى تحمَّلْ ما لم يُطِشْ فاضطَبَّرْ

النجف عام ١٩٢٦

(١) إشارة الى فقد العلامة المذكور ولديه تباعاً قبيل وفاته وكانا من خيرة العلماء الفضلاء.

(٢) هو العلامة الشيخ محمد جواد الجواهري وقد التفت إليه الشاعر يعزیه بالفقيد.

البادية في إيران

٣٣٣

ديوان الجواهري

بهجة القلب، جلاء البصر
 يا أصيلاً هاجت الذكرى به
 أنت هيّجت شعوري طرباً
 لطفك اللهم ما أعظمه
 أبساط الورد ممدود على
 وبأنفاس حرار خبئت
 يا خليّ أجيلاً نظراً
 تريا ((البقعة)) من بعد العرا
 عميت عيني أن أشغلها
 الشيء غير أن تؤنسني
 لست بالشاعر إن لم يصبني
 في الثرى في الروض في أفق السما
 واشكري يا أرض الطاف السما
 واذكري الشدة في فرجتها
 هذه الأرياف غب المطر
 نسمة أنست نسيم السحر
 أنا لو لم تحل لي لم أشعر
 أفهذا كله للبشر؟
 هذه الأقطار مد البصر؟
 تتلاشى نفحات الزهر؟
 تريا الآفاق كحل النظر
 تكتسي نور بساط أخضر
 منظر عن حسن هذا المنظر
 تظهر الأرض بهذا المظهر؟
 أينما كان جمال الصور
 في شآبيب الحيا، في الحجر
 تسلب النعمة إن لم تشكري
 واعرفي حسن صنيع المطر

حسنت بادية فارهة
 كم على أمواهها تعريسة
 ونهار مشمس تقطعه
 راقى الوحدة لي في غربتي
 شغل الناس بسماهم
 هي أنستني حسن الحضر
 ومقبل تحت ظل الشجر
 بالأحاديث كليل مقمر
 أنا لا أهوى ضجيج الزمر
 وأنا وحدي هواكم سمر

أنا والروضُ وأشباحُكم نتناجى تحت نور القمرِ

هَيَّجُوا أوتارَهم وانبعثت هِزَّةُ الحبِّ فهاجَتْ وَتَري
نَفْسٌ للشعرِ في تقطيعه أَثَرٌ من نَفْسِ المحتضرِ
يا أحباي وما أصبركم أحسنُ الأجاب من لم يصبرِ
طال إسهابي وما أشوقني لكتابِ منكم مختصرِ
كم أرى منتظراً وعدكم ثَقُلَ الوعدُ على المنتظرِ
أنا إن عَدُّوا عليكم عشرةً قلت: أيُّ الناس من لم يعثرِ
وإذا ما قيل: ظلمٌ هجرهم قلتُ: لولا زلَّةٌ لم أهجرِ
يطمَعُ القلبُ بسُلوانكم فإذا حاوله لم يقدرِ
تعزيره هِزَّةُ الشوق لكم ومن القسوة أن لا تعزري
أُتري ريحُ الصبا يُثقلها خبرٌ تحمله عن جَعْفَرِ
عن أديبٍ جَمَعَتْ أنفاسُهُ صنعةً ((الفنِّ)) وطبعَ ((العبقريِّ))
أنا خاطرتُ بنفسي في الهوى والهوى لذُّته في الخطِّيرِ
قد سهرنا فوجدنا أنه فوق طعم النوم طعمُ السَّهرِ
حسب قلبي ذكركم تعويذةً وأماناً من صروفِ القدرِ

ايران عام ١٩٢٦

خلال سفرته الثانية إليها

على دربند

أَحْبَبْنَا لَوْ أَنْزَلَ الشَّوْقُ وَالْهَوَىٰ عَلَى قَلْبٍ صَخْرٍ جَامِدٍ لَتَصَدَّعَا
خَلِيلِيَّ مَا أَدْنَى الْمَمَاتِ إِلَى الْفَتَى وَأَقْرَبَ حَبْلَ الْعَمْرِ أَنْ يَتَقَطَّعَا
وَلَمْ تَطْلُعِ الْأَقْمَارُ إِلَّا لَتَخْتَفِي وَلَا عَقْرَبُ السَّاعَاتِ إِلَّا لِنُلْسَعَا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا نَهَارٌ وَلَيْلَةٌ فَمَا أَجْدَرَ الْإِنْسَانَ أَنْ يَتَمَتَّعَا
وَلَمَّا أَبَتْ أَيَّامُنَا غَيْرَ فُرْقَةٍ وَلَمْ تُبَقِّ فِي قَوْسِ التَّصِيرِ مَنْزَعَا
وَكُنَّا فِي كَأْسِ الرِّزَايَا صُبَابَةً فَمَا يَرْحُتُ حَتَّى شَرِبْنَاهُ أَجْمَعَا
نَوِينَا فَازَ مَعَنَا رَحِيلًا وَمَا التَّوْتُ بِنَا نُؤَبُّ الْأَيَّامَ إِلَّا لَنُزْمَعَا
نَزَلْنَا فَفَرَّقْنَا هُمُومًا تَجَمَّعَتْ أَبِي صَفْوُ ((شَمْرَانَاتِ)) أَنْ تَتَجَمَّعَا
أَحْتَى لَدَى الْجَنَاتِ أَهْفُو إِلَيْكُمُ وَيُسْمَعُنِي دَاعِي الصَّبَابَةِ إِنْ دَعَا؟
رَعَى اللَّهُ أُمَّ الْحُسْنِ ((دَرْبِنْدَ)) إِنَّنَا وَجَدْنَا بِهَا رَوْضًا مِنَ الصَّفْوِ مُرْعَا
لَقَدْ سَرَّنا مِنْهَا صَفَاها وَطَيْبُها وَلَكِنْ بَكِينَاهُ جَمَالًا مُضْئِيًا
مَرِيْعًا مِنَ الْحُسْنِ الطَّبِيعِيِّ لَوْ سَعَتْ بَنُوهُ إِلَى إِنْعَاشِهِ كَانَ أَمْرَعَا
قُرَى نُظِّمْتُ نَظْمَ الْجُمَانِ قَلَائِدًا أَوِ الدُّرِّ مُزْدَانًا أَوِ الْمَاسِ رُصْعَا
صَفُوفٌ مِنَ الْأَشْجَارِ قَابِلُنَ مِثْلَهَا كَمَا مَضْرُوعٌ فِي الشَّعْرِ قَابِلُ مَضْرَعَا
نَظَّمْنَا فَأَهْدِينَا الْقَوَافِي بِدِيعَةٍ وَكَانَ جَمَالُ اللَّهِ فِيهِنَّ أَبْدَعَا
وَقَفْتُ عَلَى النِّهْرِ الَّذِي مِنْ خَرِيرِهِ فَرَعْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْإِلَهِيِّ مَطْلَعَا
لَقَدْ وَقَعْتُ كَفَّ الطَّبِيعَةِ لَحْنَهُ وَشَابَهُ فِي الشَّعْرِ طَبِيعِي فَوْقَعَا

ایران عام ۱۹۲۶

بريد الغربية

أعاد الشاعر نشرها في جريدته ((الفرات)) تحت عنوان ((اسمعي يا وزارة المعارف)) بهذه المقدمة:
((إليك يا وزارة المعارف، يا من ترين القذى في أعين البعض وتعامين عن الشوكة في عيون آخرين.
إليك أيتها الوزارة ((المسترخية)) أمام المستعمرين يتخذون من موظفيك آلة للتفريق وللعبث في مصالح
الأمة العربية.
((إليك أيتها الوزارة ذات التاريخ الناصح بين الوزارات في كلّ الأدوار التي مرت عليك، والتي سجلت
لك في كل واحدة منها موقفاً ((مشرفاً)) لك أهد الآبدین.
((إليك أيتها الوزارة التي تعرفين ((فايلات)) وسجلات موظفيك وتحيطين خبراً بارتكاباتهم وفضائحهم
وتتجاهلين ذلك لأن يداً فوقك تجبرك عليها.
((أيتها الوزارة التي تحاسبين البعض من الناس على أمثال هذه القصيدة الفائضة شعوراً وطنياً وإحساساً
قومياً لمجرد وجود صاحبها في ((الغربة)) وتشيرين مشكلة من المشاكل عليها.. نرفع الأبيات التالية
عبرة وموعظة لعلك تتعظين)).

هَبَّ النسيمُ فهبتِ الأشواقُ وهفا إليكم قلبه الخفاقُ
وتوافقا فتحالفاهو والأسى وَحَمَامُ هذا الأيكِ والأطواقُ
عارٌ على أهلِ الهوى أن تُزدرى هذي النفوسُ وتُشتري الأعلاقُ
ذمّ الفراقِ معاشرُ جهلوكمُ من أجلكم حتى الفراقُ يُطاقُ
ما شوقُ أهلِ الشوقِ في عُرفِ الهوى نُكِرُ فقد خلّقوا لكي يشتاقوا
أما الرفاقُ فلم يَسْؤُنِي هجرهمُ إذ ليس في شرعِ الغرامِ رفاقُ
لو أبرم الميثاقُ ما كَمَلَ الهوى شرطُ الهوى أن يُنْقَضَ الميثاقُ
كُتِبَ الإله تشرّفت في ذكره وبذكركم تتشرفُ الأوراقُ
هذا القريضُ تكسّرت نبرأته إذ ضاق من ألمِ الفراقِ خناقُ
عَمَرْتُ بذكركم اللذيذِ مجالسُ وازينت بهواكم أسواقُ
ماذا أذُم من الهوى وبفضله قدرق لي طبعٌ وصحّ مَذاقُ

هي ((فارِسُ)) وهواؤها ريح الصّبا وسماؤها الأغصانُ والأوراقُ
ولَعَتُ بها عُشّاؤها وبليّةٌ في الشرق إن ولَعَتُ بها العُشّاكُ
سالت بدفاق النُّضار بقاءها وعلى بنيتها شحتِ الأرزاقُ
يا بنتَ ((كومرث)) أقلّي فكرةً فلقد أضرت برأسك الإخفاقُ
وتطلّعي تبينني الفجرَ الذي تتوقعين وتنجلي الآفاقُ

لي في العراق عصاةٌ لولا همُ ما كان محبوباً إليّ عراقُ
لا دجلةٌ لولا همُ وهي التي عذبت تروق ولا الفراتُ يذاقُ

((شمران)) تُعْجِبُنِي وَزَهْرَةٌ رَوْضِهَا وَهَوَاؤُهَا وَنَمِيرُهَا الرَّقَرَأُ
مُتَكَسِّرًا بَيْنَ الصَّخُورِ تَمُدُّهُ فَوْقَ الْجِبَالِ مِنَ الثُّلُوجِ طَبَاقُ
وَعَلَيْهِ مِنْ وَرَقِ الْغُصُونِ سُردَاقُ مَمْدُودَةٌ وَمِنْ الظَّلَالِ رُواقُ
فِي كُلِّ غُصْنٍ لِلْبَلَابِلِ نَدْوَةٌ وَبِكُلِّ عَوْدٍ لِلْغَنَّا ((إِسْحَاقُ))
كَانَتْ مُنَايَ فَلَمْ تُعَقِّ وَعَجِيبةٌ أَنِّي أَحِبُّ مَنْى فَلَا تُعْتَاقُ
سِرُّ الْحَيَاةِ نَجَاحُ آمَالِ الْفَتَى أَمَّا الْمَهَاتُ فَسِرُّهُ الْإِخْفَاقُ

إيران عام ١٩٢٦

في طهران

ما انتفاعي بفيضِ هذي الدُّموعِ والجوى ملءٌ مهجتي وضلوعي
لا أحبُّ العِناقَ من أجل ذكرى خلقتها عناقهُ التوديعِ
لم أكن قبل أن يحينَ نواكُم عارفاً قَدَرَ شملي المجموعِ
قد رأيتم تجلُّدي لسواكم فاسألوا كيف كان فيكم ولوعي
هَينٌ كلُّ ما ألاقِيهِ منكم في الهوى غَيْرَ ذَلَّتِي وخُضوعي
عتبَ الناسُ قبلنا فأساؤوا ربَّ عتبٍ يجرُّ للتقريعِ
نَفَسُ الشعرِ شاهدٌ لذويه ليس يخفى المصنوعُ بالتصنيعِ
إن أضيّع فسوف يُنشَدُ شعرٌ بدويٌّ برقةِ المطبوعِ
قد سمعنا بفارسٍ وكفانا حُسنُ مرثيها عن المسموعِ
جاء فصلُ الربيعِ يَفْتَرُّ حسناً وهنا هاهنا رواءُ الربيعِ

رَجَعَ الحسَنُ بعد ما فات منها قلَّ ما بينَ فَوْتِهِ والرُّجوعِ
وإذا ما الشتاءُ جاء وردَّتْ قطعاتِ الثلوجِ كَفَّ الصقيعِ
وأتى الصيفُ فاستفاضتْ شُعابٌ غمرتها الرُّبى بِماءِ مَريعِ
وتولَّى الأشجارَ زِيٌّ غريبٌ فهي خضرُ الأصولِ بيضُ القُروعِ
فهناك الجمالُ وهو بسيطٌ تجتليه والحسن وهو طبعي

إيران عام ١٩٢٦

الخريف في فارس

يا هائجين لخريفِ فارسٍ ما تصنعون لو أتى ربيعهُ
ورافعين طنباً تدغمه قدودهم دأماً لكم ربيعهُ^(١)
أبياتُ حُسنٍ نُظِّمْتُ، ييوتكم جميعها وحيكم جميعهُ
كأنما الجمالُ شِعْرٌ بحرهُ برٌّ وأطنابُكم تقطيعهُ
تشكرُكم عُيونُ أربابِ الهوى وصاحبُ الإحسانِ من يُشيعهُ
هذا جمالُ زانه نورُ الفضا لا كجمالِ حِفْظْه يُضيعهُ
لله دُرٌّ دَرَّه من مُرضِع كلُّ الثرى ومن به رضيعهُ
أفَّ لَخْلِقِ رَشَّةٍ من السَّما تُشبعه، وَمَنْعُها يُجيعهُ
الحيُّ بادٍ عَجْبُهُ وعنده عجيبُ أمرٍ مضحكٍ بديعهُ
ما الحيُّ يقتادُ القطيعَ للكلا وإنما يقدوده قطيعهُ

إيران عام ١٩٢٦

(١) الطنب: جبل الخباء.

الربيع

خليليّ من ظلم الليالي بآتمها نجيء على رَغمي وتُحسب من عُمرِي
هَلْما نَبِغْ عُمرًا ونَشِرْ مَسَرَّةً فليس بعدلٍ أن نَبِيعَ ولا نَشري
ألم تَرِيا حُسْنَ الربيع وما ضَفَا على هذه الأشجارِ من حُلّلي خُصِرِ
فلو أن مَيّتاً يُكْتَفَى عن نُشُوره إذن لا كُتِفَى مَيّتُ النباتِ عن النَشْرِ
تَرى الوَرْقَةَ الصفراءَ تنمو على الحَيَا رُويداً كما ينمو الرضيعُ على الدَّرِّ
خليليّ ما شُكْرُ ابنِ آدمَ رَبِّه بأفصحَ من شُكر الخِمالِ للقَطْرِ
سقاها الحَيَا الغادي فنمَّ على الشَا شذاها كما نمَّ الحَبَابُ على الحَمْرِ

إيران عام ١٩٢٦

من كنوز فارس

(ترجمات من شعر حافظ)

نُشرت مقاطعها بالتتابع في جريدتي ((النجف)) و((الفضيلة)) ويوضح الشاعر الدافع لترجمتها ونشرها في كلمة له في جريدة ((النجف))، بعد البدء بنشر المقاطع الأولى منها بعنوان ((حول كنوز الفرس)) فيقول: ((بعد السلام:

((وبعد فجواباً عن سؤال صديق علي عزيز فيما يتعلق بنشراتي المتوالية على صفحات ((النجف)) الأغر والمعنونة بـ((كنوز الفرس)) وطلبه مزيد الإيضاح عنها بعد الشكر على عنايته بها وإعجابه فيها مما أعده مشجعاً لي على مواصلة أقول:

((لقد كان لوجودي في (طهران)) عاصمة الفرس مدة صيف سنة (٤٣) و(٤٥)^(١) الفضل الأدبي الذي لا ينسى، فقد لطف أوضاع هذه المملكة الروحية وأذواقها النفسانية من روحي وذوقي التلطيف المحسوس، واستطاعت بما أوتيت من صفاء جو واعتدال مناخ وعذوبة هواء وجمال طبيعي التأثير في هذه الروح العراقية تأثيراً قريباً من روح ((حافظ)) و((سعدي)) و((الخيام)) و((الفردوسي)) و((النظامي)) وبالأخير من روح ((عارف)) و((ايرج)) وعرفانهم لحد المشاركة في الذوق والفن والمشاطرة للعواطف والميول.

((وبدافع الإعجاب بهذا الفضل والاعتراف بهذا التأثير أقول: إن: ((على العراق العجمي)) و((على كرد)) و((البادية في إيران)) و((الطبيعة في فارس)) في الأولى. و((فارس الجميلة)) و((شمران العروس)) و((يوم في دربند)) في الثانية هي أعز ما ضمنت مذكرتي الشعرية، وأنفس ما عرفته صفحاتها ففي هذه المقاطيع وقليل من غيرها استطعت أن أعرف ما هو الشعر الطبيعي وكيف تشور النفس الشاعرة وتختلج الفكرة ويدب المعنى ويختلق النفس.

((ولما كنت مدة بقائي هذين الصيفين هناك مضطراً إلى التحدث عن الأدب العراقي مع شذوذ من أدباء الفرس بصفتي أحد المتطفلين عليه وطبعاً كان يجر ذلك إلى التحدث عن الأدب الفارسي والمقابلة بينه وبين تربيته ونسبته الأدب العربي. فقد عدت وأنا معتقد بالدليل والبرهان، أنّ أبواب الشعر الخالد من وحي وإلهام وقريحة ثرة هي مفتوحة في وجه الشعر الفارسي أكثر منها في وجه الشعر

^(١) بريد التاريخ الهجري.

العربي ومعتقد أيضاً بوجوب انصراف الغيورين على الآداب العربية والمتطلبين التوسع والتجدد فيها، والساعين لإنهاضها من كبوتها، وإنعاشها من انقباضها إلى تقريب هذه الروح الشرقية روح ((طهران)) من الروح العربية عوضاً عن جلب ما لا يتناسب وإيائه من روح ((لندن)) و((باريس)) و((موسكو)) و((روما)) وجذبه بالجمال خصوصاً أنّ القرب بين قواميس اللغتين واندماج بعضهما في بعض ووجود العارفين بهما من كلا الطرفين أكثر من أي لسان آخر وتجانس الأمتين في كثير من الأخلاق والعادات كل ذلك وغيره مما يشجع هذه الفكرة ويرغب فيها.

((وإجابة لهذا الداعي وامثالاً لهذا الواجب جرّبت قلمي في هذا العنوان- كنوز الفرس- ((ومع أن كل ما نشر إلى الآن وكل ما عندي منه مما لم ينشر بعد هو ((لحافظ)) فقط فقد وضعت العنوان ولم أخصه بشاعر واحد من الفرس إباحة لدخول غيره منهم في هذا المضمون ممن يستحسنهم ذوقي ويلائهم شعرهم طبعي.

((هذا وقد كنت حين عنونت هذه المقتطفات (وهذا اسمها بعد اليوم) بهذا العنوان معتمداً على فهم القراء والسامعين ولكن طلب هذا الأخ الأديب واحتمال وجود كثيرين مثله ممن يرومون زيادة في البيان جئت بكلمتي هذه مبيناً فيها أن كلّ ما أنشره تحت هذا العنوان فإنّما هو ترجمة من ((دواوين)) الفرس ومجاميعهم الأدبية.

((هذا ولا بد أن اتدارك بعد اليوم ما فاتني قبله من تصدير هذه ((المقتطفات)) بمقدمة أتفاهم فيها مع القراء الكرام عن مسلك حافظ الشيرازي وغيره من الأدباء ومذاهبهم الشعرية والفلسفية والاجتماعية. وأغتتم فرصة هذه المناسبة لأعلن إعلاناً عاماً لكل من يتصادم في هذه ((المقتطفات)) بما لا يرتقي أو يستحسن من أفكار وآراء أُنني ليس لي من غرض خاص يحملني على نشرها سوى الخدمة الأدبية اللغوية وفيما أنشره في الضمن من الآراء المقررة والقوانين العامة المتفق عليها ما يبرر ذلك، وكل ما يأتي من ذلك القبيل فهو واسطة لا غاية. والأعمال بالنيات والسلام)).

محمد مهدي الجواهري

مجموعة الورد

لغةُ الأملاكِ لا يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ طَالَعَ أَوْرَاقَ الصَّحَاحِ
لأزاهيرِ الرُّبَى مجموعةٌ شَرَحُهَا يَعْرِفُهِ طَيْرُ الصَّبَاحِ

بين العالمين

ملكاً كنتُ وفي الفردوسِ لي كان صحابُ
آدمُ أخرجني منه إلى هذا الخرابِ
ظِلُّ ((طوبى)) وصفاء ((الحور)) غيداً والشرابِ
كلُّه مذهبٌ في حبِّك عن ذهني غابِ

جلوة المعشوق

بلبلٌ يحوِّلُ في منقاره وَرَقَةً مِنْ وَرْدَةٍ ذاتِ جمالِ
وهو لا ينفكُّ في استعراضها ذا زفيرٍ ونُواحٍ متعالي
قلتُ: ما أوجبَ ذا الحزنَ وما نسبةُ الوصلِ من الدمعِ المذالِ
قال: هذا سنةٌ توجبُها جلوةُ المعشوقِ في يومِ الوصالِ

فتوى في الخمر

من شيخٍ دَيْرِي فَتَوَى عِنْدِي وَعَهْدٌ قَدِيمُ
أن لا يَحْلُلَ مُدَامٌ حَتَّى يَحْلُلَ النَّدِيمُ!

الأمل

إن يكنْ أغْلِقَ يومٌ لك فارحُ الانْفِتَاحِ
مثلاً تنقبِضُ الورْدُ دُهُ بعدَ الإنْشِراحِ
فيُحييها الصَّبَا الطَّلُـقُ وأنفاسُ الصَّبَاحِ

رشحة القلم

أيَّ لُطفٍ قد أرتنا رَشْحَةً من قَلَمِكَ
كرماً كان عَظِيماً منكَ ذَكَرِي خَدَمِكَ

أينا أحسن

ذهب الناسُ من الدُّنيا بِمَلِكٍ ونعيمِ
وذهبنا نحنُ بالأشْعارِ والذوقِ السليمِ!

ختم الشفتين

مثلُ دُنْ الخمرِ نفسِي أبداً في غليانِ
وأنا آكلُ من قلبي ولا يَدري اللسانُ
كيف بعد ((الختم)) تقوى أن تبسِّحَ الشفَتانُ؟

في العيد

وعظَ الشيخُ ولكنْ أذُنِي فيها انصمامُ
كلُّ شُغلي يومَ عِيدِ دِ الفِطْرِ كَأْسٌ ومُدامُ

لَتَنَالِ الْخَمْرُ مَنْي ثَارَ أَيَّامِ الصَّيَامِ
مَدَّةً غَبَتْ بِهَا عَنْ وَجْهِ خَمَارٍ وَجَامِ
وَبِحَسْبِي بَعْضُ مَا فَـ رَطْتُ فِي ذَيْنَ أُنَامِ!!

أدب الساقى

خَذِ الْكَاسَ بِتَوْقِيرٍ وَقَبْلُهَا بِإِذْعَانِ
فَقَدْ رُكِّبَ مِنْ قَحْـ فَفَّةَ جَبَّارٍ وَسُلْطَانِ
بَقَايَا رَأْسِ ((جَمْشِيـ دَ)) و((بِهْرَامِ)) وَبِهْمَانِ

النسيم العاشق

مَنْ أَجَلَ أَنْ يَحْظَى بِوَرْدٍ مِثْلِ وَجْهِكَ فِي الْجَمَالِ
صَبْحاً يَجُوسُ خِلَالَ كُلِّ خَمِيلَةٍ رِيحُ الشَّامِلِ

بلا عُمر

أَنَا قَدْ عِشْتُ بِبَلَا عُمرٍ لِتَوْدِيعِي رِفَاقِي
أَيْنَ مَنْ يَحْسَبُ مِنْ دُنْيَاهُ أَيَّامَ الْفِرَاقِ؟

نسيم الحياة

جَهْرًا أَقُولُ وَلَوْ أَنَّ الْـ خُمَارَ يَدُوي بِرَأْسِي
لَمَني وَجَدْتُ نَسِيمَ الْحَيَاةِ يَمْلَأُ كَأْسِي



٣٥٤

ديوان الجواهري

أمر الأستاذ

لا بأمرى خُلِقَ الصَّا حـي ولا النَّبَّاءُ
كلَّنا يأتي كما قد أـمر ((الأستاذ))!

البلبل الشاعر

في الصبح أوحى بلبلُ الـ رَوْضِ إلى رِيحِ الصَّبا
رايتِ ما جرَّ لنا عشقُ أزاهيرِ الرُّبى؟

هذا وذاك

ينوحُ البلبلُ المسكينُ ما بين البساتينِ
وأنفاسُ الصَّبا تَحْظِي بتقيلِ الرِّياحينِ

من هنا إلى هناك

سماغُ الوعظِ لا تَقْبَلُهُ من غيرِ أخيارِ
فمن مجلسنا هذا إلى حانةٍ خمار!!

أمران عجيبان

طبعُك القاسي وحظِّي منك أمرانِ عَجابِ
لِعُدْوَيِ مجلسِ الأنسِ ولي مرُّ العتابِ

إلا أنا

كل سَكِّيرِ قضى عن نفسه دَيْنَ الشَّرَابِ

وأنا ثوبِي رهْنُ الخمرِ من دون الثيابِ!

ألف شكوى

أمن الدهرِ تعجبتَ ومن صَرفِ الهوانِ
ألفَ شكوى مثلَ هذه سَمِعْتَ أذنُ الزمانِ

أم لماذا؟

هل صحا ((حافظُ)) من سكرِ رياءٍ وارتيابِ
أم لماذا تركَ الدَّيْرَ إلى حانِ الشرابِ؟

أنت أعرف

أنت يا ساقِي الطُّلا أعْرِفُ مِنِّي بالصنيعِ
أنت من أهلِ الشعورِ الحيِّ والذوقِ البديعِ
ضَفَّةُ النهرِ وظِلُّ الغَيمِ والفصلُ ربيعُ

في الكأس

زَفَّ لي الخمارُ كأساً هي مرآةُ الزمانِ
دلَّني فيها على ما فيكَ من لُطفِ المعاني

الوردة والشوكة والبلبل

سَحراً إذ جئتُ للبُستانِ أبغي منه وَرداً
راعني صوتُ هَزارٍ يتشكَّى الحبِّ فرداً
شاعرٌ قد هدَّه عِشْقُ ورودِ الروضِ هدّاً

فتراه يملأ البستانَ بالآهاتِ وَجدا

كثر الورد ولكن

كثر الوردُ ولكنْ مَنَعَ الشوكُ اقتطافا
عَشِقَ البُلْبُلُ ورداً هو والشوكُ تصافى
لا سلا هذا ولا ذاك عن الإلفِ تجافى

أدب المجالس

قلْ للمغني يَتَّيِدُ إنَّ الحبيبَ تكلِّما
وأرى الغنا من بعد ما نطق المليحُ مُحَرِّما
إلا إذا ما كان من أشعار ((سَعْدِي)) رَبِّما

مثل الكمامة

وأحقُّ شيءٍ بالبُكا عُمُرٌ قصيرُ الإبتسامة
هي برهةٌ يفتَرّ فيها ثم يذوي كالكيّامة

ذاك الذي

ذاك الذي أَمَلْنَا بوعظِهِ وأنَّبَا
رأيتُهُ مُعَرِّباً تقواه قد طارت هَبَا

حافظ دونهم

رفاقي كلهم مثلي أجادوا العشق والنظرا
و((حافظ)) دونهم ظلماً بسوء السمعة اشتهرا

عقدة لا تحل

عقدة عندي سل عن حلها هذا الأديبا
لم لا تابت شيوخ وعظتنا أن نتوبا
جلوة للشيخ إن قام على الناس خطيبا
وهو في جلوته يرتكب الأمر المريباً

سفاهاً

سفاهاً عاذلي تسعى لتفيري وتكديري
فمن يشتر شهاداً لا يبالي بالزنا بيري

عند الشراب

لست أدري أي لطف نجتليه بالصبوح
إذ على الكاسات يبدو وجه ساقينا المليخ

إيران عام ١٩٢٦

اعترافات

يقول: لم اعتزلت؟ فقلتُ لم لا وخيرٌ من تظاهري اعتزالي؟
نظمتُ فلم يُفد شيئاً نظامي وقلتُ فلم يَجِدْ أثراً مقالي
وهل تُجدي الشَّجاعةُ في كلامٍ جباناً عن مقارعة الرجالِ

أقولُ وذاك بهتانٌ وزورٌ ظهوري لا لجأه أو لمالٍ
ألا فليشهِدِ الثقلانِ أني مع الأيام...! ترخصُ أو تغالي
أدُمُ الناس إن غابوا ولكنْ إذا حضروا فعُنوانُ الجلالِ
أبالي بامتداحِ الناسِ فعلي وإن أظهـرتُ أني لا أبالي
وأزجرهم إذا نطقوا بعيبي كأنني بالغٌ حدَّ الكمالِ
وأظهر عِفَّةً عن نيل شيءٍ إذا ألفتُ صعبَ المنالِ
وأسألُ عن أمورٍ لا أعيها فأظهرُ أنَّ نقصاً في السؤالِ
وكم سلَّيتُ بالأوهامِ نفسي وغطَّيتُ الحقيقةَ بالخيالِ
خططتُ على الرمالِ مني فلما تطامى السيلُ سلَّنتُ مع الرمالِ
وكم من منطقٍ حُرِّ نزيه أزيَّفُهُ عناداً بالجدالِ
مخافةً أن أرى فيه أخيراً ومغلوباً كأنني في قتالِ

على عهدي فلا الأيام حالت ظواهرها ولم تشب الليالي
ولكن ضيقُ نفسي باعترافي يُريني أن ضيقاً في المجال
وكم وعدٍ حلفتُ بأن يوقِّ كأني قد حلفتُ على المطال
أقولُ ولا أخافُ الناسَ أنِّي مزجتُ حرامَ دهري بالحلال
وقد حسنتُ خصالَ لي ولكن رأيتُ القُبْحَ أكثرَ في خِصالي

نظمت عام ١٩٢٦

شدة لندن

يا خليلي والبلاء كثيرٌ في بلادِي ولا كهذي البلية
أزمنَ الداءِ في العراقِ ولن يشفيه إلا الجراح والعمليّة
أفتبي عراقينا؟ فلماذا خدعوه؟ وذاك شأن الفتية
سَحَرْتُنَا ظواهرُ الأمرِ حتّى أوهمتنا أنّ البلادَ قويّة
نتغنى وعصرنا من نحاسٍ بأغاني عصورنا الذهبيّة
نخر الجهلُ أمّتي نخرة السوسِ فأين المجامعُ العلميّة
كلّنا في الجمود والجهل وحشيّون لكنّ حقوقنا مدنيّة
كلّنا في النفاق والختل بُدي كلّ يوم مهارة فنيّة
وطني كلّ من عليه وزيرٌ واضعٌ نصبَ عينه كرسيّة
قد لففنا كلّ المساوىء فينا برداء من نهضة وطنيّة
ما شقينا إلّا لأنّا حسبنا أنّ في الكذب جرأة أدبيّة
كثر المدّعون لما اختلفنا في البديهي فكرة فلسفيّة
لو يقول الأديب في الشرق ((إنّ الأرض تحتي)) لسُميت نظريّة!
كلّنا بالذي تمنّى سعيدٌ لا نبالي أنّ البلاد شقية

أسمعتكم ما قيل عن ((برلماني)) وعرفتكم مهارة الحزبيّة؟
لست أدري لكن يقولُ خبيرٌ: في البضاعات شدّة (لندنّيّة)

بغداد عام ١٩٢٦

بغداد على الغرق

٣٦٣

ديوان الجواهري

بدت خوداً لها الأغصانُ شعراً ودجلةٌ ريقها والسّفحُ نَغراً
 على ((بغداد)) ما بقيت سلاماً يَضوَعُ كما ذُكَا للوردِ نشرُ
 سمتُ تزهو على السّفحينِ منها قصورٌ ملؤها زهُوٌ وكِبَرُ
 يُظَلِّلُ دجلةٌ منها جناحُ كما باهى بقادمتيه نشرُ
 نزلتُ فما رأيتُ أبرّ منها وضيْفُ كريمةٍ برُّ يُبرُّ
 قرنتي الريحَ لم يفسد مَهَبُ له والماءُ لم يسدُّ مَمَرُ
 سكرتُ وما سُقيتُ بغيرِ ماءٍ ودجلةٌ ماؤها عَسَلٌ وخمرُ
 كريمةٌ سادةٌ عَرَقْنَ فيها عروقٌ من بني ((عدنان)) نُضُرُ
 كفى ((العباس)) ما أبقتُ بنوه فما تَربو على ((بغداد)) مِضْرُ
 مَضُوا غُرَّ الوجوهِ وخلّدتهم نقاباتٌ من الآثارِ غُرُ
 فمن يكُ ذُكره حَسَناً جميلاً فحسب القومِ في بغدادِ ذُكْرُ
 فيا بغدادُ لا ينفكُ سِرُّ لحُسنِكَ ينجلي فيدقُّ سِرُّ
 أكنيتُ و((بابل)) بلداً سواءً فللملّكينِ باقٍ فيك سحرُ

سقى الجسرَ المطيرَ من الغواصي فملقى اللهو واللذاتِ جسرُ
 هو البرجُ الذي كادت عليه نجومُ الأفقِ ساجدةٌ تخِرُ
 رأيتُ بأفقه شمساً وبَدراً كأحسنِ ما تُرى شمسٌ وبَدْرُ
 نهارةً كلُّه أَصْلٌ لِدَاذُ وليلاً كلُّه سحرٌ وفجرُ
 وقفتُ عليه وقفّةٌ مستطيرٌ من الأحزانِ ملءُ حِشاهِ دُعرُ
 وللأمواجِ من حَنقِ نشيشُ كما يغلي على النيرانِ قِدرُ

ودجلة كالسجين بغى فراراً
 وذاك الثابت الأركان أمسى
 فما أدري غداة نزا عليه
 من الأمواج مُغتَلِمٌ يَؤُرُّ
 أتحت الماء غاصوا حين جازوا
 عليه أم فوق الماء مروا
 أحقاً أن ((أم الخير)) منها
 بعاصمة ((الرشيد)) أحاط شرُّ
 ويات الماء منها قيد شير
 لقد أسدى لها الإحسان شبرُ
 ودجلة حُرَّةٌ ضيمت فجاشت
 ويأبى الضيم والإذلال حرُّ
 أضاعوا ماءها هدرأ وأخنى
 على مُستودع البركات فقرُّ
 فإن تك دجلة هَدأت وقرت
 فللغضبان ((شقيشة)) نقرُّ
 وإن بُستُم فذلکم وإلا
 تُصِرُّ على البلية إن تُصِرُّوا
 رأوا حسن العراق فأعجبتهُم
 أباطح من ربيع فيه خضرُّ
 وقد حنّوا إليه كما تلظى
 فطيمٌ حول مرضعة تدُرُّ
 فيا وطناً جَفَوهُ وهو راضٍ
 وعقته بنوه وهو بَرُّ
 برغمي أن تروق لهم فتحلو
 مواردُهم وعيشي فيك مرُّ
 نصيبي منك دمعٌ ليس يرقى
 على البلوى وجنبٌ لا يقرُّ
 رضى بالحالتين ضننى وبؤسٍ
 فضرُّ من بلادي لا يضُرُّ
 ولستُ ببائع أرضي بأرضٍ
 وإن لم ألقَ فيها ما يسرُّ
 ومن لم يرَضْ موطنه مَقَرّاً
 من الدنيا فليس له مَقَرُّ
 تتابعَت الخطوبُ على بلادي
 فواحدةٌ لواحدةٌ تُجَرُّ
 وقد مرّت نحوسٌ واستمرت
 وذُلُّ القوم نحسٌ مستمرُّ

فلو قالوا تمنّ لقلتُ يوماً يكرُّ وما به خطبٌ يكرُّ

إليك الشعر يا بغدادُ عقداً تناسقَ لؤلؤ فيه ودُرُّ
بيانٌ جاش فيك فجاء عفواً وحسنُ رِقٍّ منك فرقَ شعرُ
جرى بالوفق من قلبي لساني وأظهرت القوافي ما أُسرُّ

بغداد عام ١٩٢٧

تحية الوزير

٣٦٩

ديوان الجواهري

إثر موقف ملتزم من وزير المعارف للتصدي لبث النعرة الطائفية

حيّ الوزيرَ وحيّ العلمَ والأدبا وحيّ من أنصف التاريخَ والكتبا
وحيّها ضربةً للجهل قاضيةً مجالسُ العلمِ قد عَجَّتْ لها طربا
وحيّهِ ساخطاً هاجتْ حميُّهُ وحيّهِ ناهضاً غيرانَ ملتهبا
أريدَ منه الذي لم يهوهُ فنبأ وسيمَ ما لم يُطِقْ وجدانهُ فأبى
لولاك أعدى بُراءٍ داءٍ دعوتهم وربَّ عَضَّةٍ كلبٍ أورثتْ كَلْبَا
لم يحفظوا لأمانِي الشعبِ حرمتها من أجل أن يبلُغوا من مطمعٍ أربا

يا صاحبَ الهمةِ السماءِ حسبكُ يوماً رَعَيْتَ به الأجدادَ والنسبا
اللهُ يميزُك والآباءُ مأثرةً في الله صُنْتَ بها آباءُك النُجبا
ما زِلْتُ ((حباً بما شِدت في رجبٍ)) من فوق كلِّ شهوري رافعاً رجباً
بصرتَ بعدك من يأتي بواجبه نحوَ البلادِ كما أخجلتَ مَنْ ذهباً
لو كان للشعبِ رأيٌ في مصائره حقاً أقام له التمثالَ والنُصبا

هم حاولوها لأغراضٍ مُذمَّمةٍ حتّى إذا سُعِّرَتْ كانوا لها حطباً
جزاء ما قد أظلتْهُ البلادُ وما أضفتُ عليهم به أثوابها القُشبا
عارٌّ على صفحةِ التاريخِ قيلتُهُ ولطخةٌ في جبينِ المجدِ ما كتباً
حسبُ ((الحسين)) الذي لاقاه مغترباً من الشأمِ وما لاقاه محترِباً
هذا نتاجُ شعورٍ جاشٍ جائشُهُ راعوا عواطفَ هذا الشعبِ يا غُرباً
أما العراقُ فقد غصّتْ ((مطاعِمُهُ)) فاستطعموا بعده بيروتَ أو حلباً

ضاقَتْ بما لَقِيَتْ منهم موَاطِنُهُمْ لكنَّنا موَطيني من ذلَّةِ رَحْبَا

وقيعةٌ بين شعبٍ هادىءٍ وجدوا كفواً لها ساقطَ الأخلاقِ فانتدبا
ما كان يعلمُ لما أن أهَابَ به شيطانُهُ أنْ يَجْرَّ الويلَ والحربا
حتى إذا صَوَّحَتْ آمالُهُ ورأى أنْ الأمانِي التي غرَّتْه عُذْنُ هبا
عَضَّ النواجِدَ من غيظٍ فما نفعَتْ شيئاً وأهْوَنُ به من واجِدِ غضبا
كسرتَ من شوكةِ الطاغوتِ ما عسرتَ ورُضْتَ من خُلُقِ الجَبَّارِ ما صَعُبا
لا رحمةَ لَغَوِيٍّ في الضلالِ هوى ولا لِعالمٍ مُجِدِّ في الشقاقِ كبا
مشى يظنُّكَ كالمَاضِيْنَ ذا خَوَرٍ حتى إذا ما رآى ما لم يَرَ انسجبا
هيهاتَ في أيِّ مرعى شائكٍ سفهاً رعى ومن أيِّ كأسٍ عَلَقِمَ شربا

وطغمةٌ جهمةِ الأحسابِ ما عرفتَ من الكتابةِ إلا السبَّ والصَّخبا
لكلِّ ما شانَ أجماداً وشوَّهها أعدَّتِ الحبرَ والأوراقَ والقَصَبا
من كلِّ متبذِّ الأخلاقِ مُطَّرِحٍ لو كان عضواً لكان الذيلَ والذنبا

بغداد عام ١٩٢٧

الوطن والشباب



أتت زُمرأً فهَدَّت البلادَا خطوبٌ هَزَّت الحَجَرَ الجَمَادَا
فِيَا وَطَنَا تَنَاهَبَتِ الرَزَايَا حُشَاشَتَهُ وَأَقْلَقَتِ المَهَادَا
بِرَغْمِي أَنْ دَاءَكَ لَا أَقِيهِه وَجَرَحَكَ لَا أَطِيقُ لَهُ ضَمَادَا
وَأَنْ يَرِدُوا مِيَاهَكَ صَافِيَاتٍ مَرَقْرَقَةً وَأَنْ أَرِدَ السُّثَامَادَا
وَأَنْ تَصِفُوا مَوَارِدَهُمْ فَتَحْلُوا لَهُمْ وَبَنُوكَ لَا يَجِدُونَ زَادَا

تَدْفُقُ مَاءٌ دَجَلَةً فَاخْتَرَقَهَا سَهولاً طِبْنٌ مَرَعَى أَوْ وَهَادَا
وَجَلَّلَهَا عَمِيمَ النَّبْتِ وَاخْلَعُ عَلَيْهَا الحُسْنَ وَافْرُشْهُ وَسَادَا
وَقُلْ لِلزَّارِعِ الْمُسْكِينِ يَزْرَعُ وَيَتْرَكُهُ إِذَا بَلَغَ الحَصَادَا
أَرَادَ السُّوْطُ أَنْ نَشْقَى لِيَهْنُوا وَمَاضٍ حَكْمُ ((سُوْطٍ)) إِنْ أَرَادَا
وَسَيِّدُ نَفْسِهِ شَعْبٌ وَلَكِنْ قَضَى الْفَرْدُ الْمَسْلُطُ أَنْ يُسَادَا
أَلَا سَاعٍ وَلَوْ بِخِيَالٍ طِيفٍ يَبْشُرُ أَنْ عَصَرَ الظُّلُمِ بَادَا
أَخْلَانُ الْعِبَادِ عَلَى اسْتَوَاءٍ لِمَنْ وَعِلَامٌ أَسَلَمَتِ الْعِبَادَا
رَأَوْا فِي الرَّافِدِينَ ثَرَى خَصِيْباً يَرُوقُ الْعَيْنَ فَانْتَشَرُوا جَرَادَا
سَلِ النَّشْءَ الْجَدِيدَ حِمَاهُ رَبِّي أَيْقِدِرُ أَنْ يُبَلِّغَنَا الْمَرَادَا
أَيْقِدِرُ أَنْ يُرِيَ التَّارِيخَ سَعِيّاً مَتَى نَمُرُّزُ عَلَيْهِ نَقْلُ أَجَادَا
وَأَنْ يَسْعَى لِيُصْلِحَهَا شَعوباً بَنُوهَا أَوْسَعَتْ فِيهَا فُسَادَا
فَإِنَّ عَلَى الْوُجُوهِ سَمَاتٍ خَيْرٍ حَسَاناً تَكْشِفُ الْكُورَبَ الشَّدَادَا

مَدَارَسَنَا احْفَظِي الْأَوْلَادَ إِنَّا وَضَعْنَا بَيْنَ أَضْلَعِكَ الْفُؤَادَا
أَرِيهِمْ وَاجِبَ الْوَطَنِ الْمَقْدَى لَكَيْمَّا يُحْسِنُوا عَنْهُ الْجِهَادَا

أريهم أننا بالعلم ننمو كما ينمو الثرى سُقي العهادا
أريهم أننا نبغي رجالاتاً نسود بها الممالك لا سوادا
أشبان العراق لكم ندائي ومثلكم جدير أن يُنادى
أستم إن نبا بالشعب خطباً نضيناكم له قُضباً حدادا
وحسبُ الشعب بالفكر اعتقادا وبعد الله بالنشء اعتضادا
لساني نافثٌ سماً وطبعي يلطفُ فتهبهُ شهادا
لئن غطى على كيدي أديمٌ فكم من جمره كُسيَتْ رَمادا

بغداد عام ١٩٢٧

نزوات

كَمْ مِنْ سَوَالٍ عَمِيقٍ لَهُ الدَّمْعُ جَوَابُ
أَمَّا الْفَوَادُ ففِيهِ مِنْ الهمومِ كِتَابُ
عَلَى اللِّسَانِ تَبَدَّى لَمَّا اسْتَفَاضَ الْوِطَابُ
طَفْحاً كَمَا يَتَنَزَّى عَلَى الشَّرَابِ حَبَابُ

مَا لِلثَّقَابِ وَمَالِي مَلَأَ الضَّلُوعَ ثِقَابُ
شِعَابُ قَلْبِي أَطَاقَتْ مَا لَا تُطِيقُ الشَّعَابُ
وَلَى شَبَابٌ وَمَاذَا رَأَى فِيهِ قَى الشَّبَابُ
ضَيْفٌ عَزِيزٌ قَرَاهُ الهمُّ وَالَاكْتِسَابُ

حَقِيقَةُ الْأَمْرِ عِنْدِي الشُّكُّ وَالْأَرْتِيَابُ
جَنَى عَلَيَّ شَعُورِي إِنَّ الشَّعُورَ عَذَابُ
أَمَّا الْقَوَافِي فَجَمْرٌ طَوْرًا وَشَهْدٌ مُذَابُ
تَرْضَى وَتَغْضَبُ لَكِنْ أَرْقُهُنَّ الْغَضَابُ
لَا يَحْسُنُ الشَّعْرُ حَتَّى تُرَاضَ مِنْهُ الصَّعَابُ

أَوْحَدُهُنَّ فَيُلْغَى عَنِ النِّسَاءِ الْحِجَابُ
كُلَّ الْمَسَائِلِ غَطَّى وَجُوهَهُنَّ نِقَابُ
إِصْلَاحُكُمْ لَيْسَ يُجَدِّي كُلُّ الْأُمُورِ خَرَابُ
قَلْبِي وَبَيْتِي وَشَعْبِي فِي كُلِّهِنَّ اضْطَرَابُ

ما انسد للبوُسِ بابٌ إلا تفتَحَ بابٌ

البرلمانُ صحيحٌ يعوزُه الانتخَابُ
وفيه قِـامٌ دويٌّ تجهله الأَحْزَابُ
الجوعُ يُنْذِرُ قومي أن يأكلَ الظُّفْرَ نَابُ
سل دجلةٌ كيف باتت قصورها والقِـبابُ
ما ضرَّ لو كان يوماً غطَّى عليها العُبابُ
غنى عليها هَـزارٌ وناح عندي غرابُ
من دم قلبٍ كسيرٍ سمنَ هذي الرقابُ
ومن دموعٍ حرارٍ مُلئَنَ تلك العِـيابُ

قد بان من نقصِ قومي ما لا تغطّي الثيابُ
رقت لما هي فيه حتّى الصخورُ الصلابُ
هل في سوى الزيِّ منّا تجددٌ وانقلابُ
قالوا: حروبٌ فقلنا هُم وأين الحِـرابُ؟

بغداد عام ١٩٢٧

هلموا وانظروا

ألا لا تسألاني ما دهماني فعن أيّ الحوادث تسألان
بكِيت وما على نفسي ولكن على وطنٍ مضامٍ مُستَهانٍ
على وطنٍ عجيفٍ ليس يقوى على نُوبٍ مُسَلَّاةٍ سَمانٍ
تظنُّ زعانفٌ - والظنُّ إثمٌ - بأنِّي لا أرامي من رَماني
أتركُّهُم وقد أغرّوا بأخذي وأنسَاهُم وقد غَصَبوا مَكَاني
أما والله لو لا خوفٌ واشٍ يحرِّفُ عن مقاصده يَياني
إذن لمألتُ محفلَكُم شُجوناً دماً ييكي عليها الرافدانِ
ولكنني أطمئنُّ من هياجي وأمنعُ أن يغالبني جَناني
لِحاظاً للعواقب وانتظاراً ليومٍ ضامنٍ نيلَ الأمانِ
أمثلي تمنعون عن القوافي ومثلي تحبسون عن البيانِ؟
سيُمنعُ من طلاقته لساني متى مُنِعَ الظهورَ الفرقدانِ
دعوه إنّه بالرغم منكم جوادٌ سابقٌ ملءَ العنانِ
عريقٌ ليس بالمجهول أصلاً ولا يَنمى لأبَاءٍ هِجَانِ
أنا الصَّبُّ الذي ملَكَ القوافي ولم يبلُغْ سوى عشرِ زَماني
حياتي للعراقِ فِدَى ووقفٌ على وطني ومُصلِحهِ كياني
ولو سُئِلَ الجهادُ لمن قريضُ تَهَشُّ لَهُ إذا يُروى عَناني

((ولو أَنِّي بُلِيتُ بهَاشِمِيَّ خُؤُولَتِه بنو عبدِ المَدَانِ
لَهَان عَلَيَّ مَا أَلْقَى وَلَكِنْ هَلُمُّوا وَانظُرُوا بِمَنْ ابْتَلَانِي))^(١)

بغداد عام ١٩٢٧

^(١) البيتان تضمين من شعر دعبل.

الخطوب

عَدْتَنِي أَنْ أَزُورَكُمْ عَوَادِي فَلَا تَشْجُوا بَكْتَبِكُمْ فَوَادِي
عَجِيبٌ مَا أَرْتَنِيهِ اللَّيَالِي وَأَعْجَبٌ مِنْهُ أَنْ سَلِمَ اعْتِقَادِي
بَأَيْسَرَ مَنْ أَذَايَ وَمِنْ شَكَاتِي رَمَى النَّاسُ ((الْمَعْرِي)) بَارْتِدَادِي
وَمَا فِي هِمَّتِي قِصْرٌ وَلَكِنْ قَدَحْتُ مَطَالِبِي فَكَبَا زَنَادِي
سَلِ الْأَيَّامَ مَا أَنْكَرَنَ مِنِّي كَرِيمَ الْخَيْمِ أَمْ شَرَفَ الْوِلَادِي^(١)
أَرْقُ مِنَ النَّسِيمِ الْغَضُّ طَبْعِي وَأَحْمِلُ مَا يَشُقُّ عَلَى الْجَمَادِي
فِيَا نَفْسِي عَلَى الْحَسَرَاتِ قَرِّي فَأَيْنَ مُرَادِ دَهْرِكُ مِنْ مُرَادِي
وَلَا تَرِدِي مَوَارِدَ صَافِيَاتٍ إِذَا مَا كَانَ حَتْمًا أَنْ تَذَادِي

أَيْنَكُرُ الْفَتَى حَتَّى صَحَابِي وَتَنْبُو الْأَرْضُ بِي حَتَّى بِلَادِي
وَمِنْ عَجَبٍ تَضِيْعُنِي وَذَكَرِي تَرَدَّدُهُ الْمَحَافِلَ وَالنَّوَادِي
أَيَدْرِي مَنْ يَرَدِّدُهَا حَسَانًا خِلَاءَ مَنْ زَحَافٌ أَوْ سَنَادِي

(١) الخيم: السجية.

تَنَاقَلُهَا الرُّوَاهُ بِكُلِّ فَجٍّ وَتُهِدِيهَا الْحَوَاضِرُ لِلْبُوَادِي
بِأَنَّ الشَّعَرَ تَشْرَبُ مِنْ عَيُونِي قَوَافِيهِ وَتَأْكُلُ مِنْ فُؤَادِي

بغداد عام ١٩٢٧

شهيد العرب

(الشريف حسين بن علي)

وطني الغضِيضُ إهابُهُ أصبولة وأهابُهُ
 خُضِرُ الحقولِ طَعَامُهُ والرافدانِ شَرَابُهُ
 حُبُّ القلوبِ رَمَالُهُ كُحْلُ العيونِ تُرَابُهُ
 إن ساءَ مبدأُ موطني فعَسَى يَسِرُّ مآبُهُ
 لم يُبقِ فيه بقيَّةً ظَفِرُ الزمانِ ونابُهُ
 بيدِ الظروفِ دَنِيَّةً ألعوبةُ أحزابِهِ
 وعلى رَحَى تفريقهِ مطحونةُ ((أقطابِهِ))
 شعراؤُهُ متكالبو نَ ومثلهم كُتَّابُهُ
 هيهاتَ ينهضُ موطنُ حُبُّ التقسِّمِ دَابُّهُ
 سَحَقَ الزمانُ رؤوسَهُ فترَأَسَتْ أذنابُهُ
 فإذا نَبَا دهرُ به فحُمَاتُهُ مُهَابُهُ

تبغي السفورَ نساؤُهُ وعلى الرجالِ حِجابُهُ
 ضجَّتْ جُيُوبُ الأجنبيِّ به وضجَّ ((وطابُهُ))
 من طولِ ما امتلأتْ به أكرأشُهُ وعِيابُهُ
 وابنُ البلادِ على الكفافِ يطوُلُ فيه حِسابُهُ
 تبكي لنقصِ الساكنيِّ نَ قصوره وقِبابُهُ
 ومن المذلَّةِ حُمِلَتْ ما لا تُطيقُ رقابُهُ

مَضَّ العتابُ به وذو الشكوى يُمَضُّ عتابُهُ

والشاعرُ الغَضبانُ أعذرُ ما تكونُ غِصَابُهُ
الموجعاتُ حسانُهُ والمبكياتُ عذابُهُ
لو لم يُنقِّه بالقريـضِ أض أودتْ بهِ أوصابُهُ
قلبي وشعري سألَ من هذا وذاك مُذابُهُ

حيَّ الشبابَ تناهضُوا فخرُ العراقِ شِبابُهُ
بهمُ ازدهتْ نهضاتُهُ وبهمُ سَمَتَ آدابُهُ
صُونُوا القضيةَ إنَّها سرٌّ وأنتمُ بأبْـهَ
أما السؤالُ ((فقبرص)) ((وأبو علي)) جوابُهُ
البرُّ ضاقَ فسيحُهُ والبحرُ جاشَ عُبابُهُ
يومَ استقلتُ بالمليكِ أبي الملوكِ رِكابُهُ
يا نازحاً عَوْدُ الكرامةِ عودُهُ وإيابُهُ
هذا كتابُكَ والفتى تاريخُهُ وكتابُهُ
اللهُ يعرفُ ما أتيتَ وبيتُهُ وشِـعَابُهُ
وأخو المتاعبِ لا يضيعُ سدى ولا أتعابُهُ
سيانِ شَهْدُ الدهرِ عندَ العاملينِ وصَابُهُ
ولعزةِ الأوطانِ هانِ على ((الشهيد)) مُصَابُهُ
وبقدرِ مَسْعَى الطالبينَ له يكونُ طِلابُهُ
أمرٌ جليلٌ بالتقاعسِ لا تُراضِ صِـعَابُهُ

ماللفؤادِ وعودُهُ طالتْ فطالَ عذابُهُ

واذا تغالبَ والرجاءُ فإسْسهُ غلابُبهُ
والدهرُ يُنبىءُ أنَّ أحزانَ الوَرَى أطرابُبهُ
ظمانُةٌ لا تمْتلي من عَبرةٍ أكوأُبهُ

وطني وفوق الذنبِ كان جزاؤه وعقابُبهُ
بشرُّهم بعماره إذ قیلَ تمَّ خرابُبهُ
مُلكُ أريدَ ((دمارُه)) فتعجَّلتُ أسبابُبهُ
قلْبُ السياسة لا ترقُّ على الضعيفِ صلابُبهُ

بغداد عام ١٩٢٧

النفثة

السَّلمُ لا يُجدي بيوم الكفاح فاستقبل الأيام شاكِي السلاح
واغتَنِمِ العَمَرَ وساعاتِهِ فإنَّها تمرُّ مرَّ الرِّياحِ
حسبُكَ فيما قد بقي عِبرَةٌ لا يَرحُحُ اليَومُ إذا الأَمَسُ راحَ
أو على الفُرْصَةِ ضيَعَتِها والآنَ إذ تَطلُبُها لا تُتاحُ
بالعزمِ نَلْ يا شرقُ ما لم يُنَلْ فالغربُ قد طار بهذا الجَناحِ
لا تَكُ مَهما اسطَعتَ رِخو الجِماحِ واستنزلِ الدَّهْرَ على الاقتراحِ
يكفيك ما كابدتَ من ذِلَّةٍ الملكُ قد فُرقَ والعِرشُ طاحَ
هالاً إلى مَكْرُمَةٍ خُطوَةٌ يا شرقُ يا ذا الخُطُواتِ الفِساخِ

يا أُمَّةَ أَعْمالٍ طَفرَةٌ بُشراكِ قد أنتجتَ قبل اللُّقاخِ
سائِمةً الحَيِّ اطمأَنَّتْ به مرعى خَصيبٌ ونَميرٌ قَراخِ!
الجَدُّ ما تُضمِرُ من طَيَّةٍ وكلُّ ما نُعلنُ عنه مَزاخِ
نُحِتٌ وغَنِيَّتٌ ولا مِيزَةٌ قَبلي كَم غَنى هَزارٌ وناخِ
لا غَرو أن سالَ قَصيدِي دَماً فإنَّ قَلبي مِثخَنٌ بالجَراخِ
يا ظُلُمَةٌ قد طَبَّقَتْ موطنِي دومي: فشعبي لا يُريدُ الصِّباحِ
الشُّومُ قد أوهمَ أوطاننا أن ليس يُجدي المرءُ إلّا النِّياخِ

ما لبلا دي فظةً روحها بعيدة عن هزة الارتياح
من لي بشعبٍ واثقٍ آمين غدوة لغاية والرواح
قد فوض الأمر لشبابه فكلفت أعماله بالنجاح
توجهه الوعي بالطافه بشراً كما تُوج زهر البطاح

بغداد عام ١٩٢٧

غازي

ولي العهد الأمير ((غازي بن فيصل الأول))

سهولُ العراق وكُثبانُهُ وروحُ العراقِ وريحانُهُ
ودجلةُ خمرًا وشهدًا تسيلُ وزهوُ الفُراتِ وطُغيانُهُ
وصَفصافُهُ وظِلالُ النخيلِ على ضفَّتَيْهِ ورُمانُهُ
تحْيِيكَ جَدْلانَةً طَلقةً وخيرُ الهوى الصِّدقِ جَدْلانُهُ
تكاد لـ ((لندن)) شوقاً تطيرُ لترجعَ بالضيف ((بغدانُهُ))
ولو تستطيعُ مُهوضاً سَعَت قُراه اللطافُ ويُلدانُهُ
يحييك ((فخرَ شبابِ العراقِ)) شيبُ العراقِ وشُبَّانُهُ
قدومُكَ ((غازي)) يزِين الأوانَ وكم قادمِ زائِهِ أَنَّهُ
على حينَ عَجَّتْ لنأيِ المليكِ حُداةُ اليانِ ورُكبانُهُ^(١)

سلمتَ فهذا أوانُ القَريضِ ويومُ الشُّعورِ ومِيدانُهُ
وما أنا من سيمٍ في شعره ولا أنا من ضيمٍ وجدانُهُ
ولكنَّه نَفَسٌ طاهرٌ قديمُ القصائدِ بُرهانُهُ
((حسينُ)) و((قبرضه)) يعرفانِ و((عبدُ الإله)) و((عمانُهُ))
من الشاعرُ المستثيرُ الشجونَ إذا هَزَّتِ الصدرَ أشجانُهُ
إذا ما ((دواويننا)) نُشِرت فكلُّ وما ضَمَّ ((ديوانُهُ))
فديتُكَ خَلَّ الأسي راقداً فقد يَقتُلُ المرءَ يقْظانُهُ
ولا تَسْتَرُّ شاعراً إِنَّه مَخوفٌ إذا جاش بُركانُهُ
فلو كلُّ ما الحرُّ يدري يقولُ، لضاقَتْ على الحرِّ أوطانُهُ

(١) إشارة إلى خبر سفر الملك فيصل إلى لندن للإشراف على مفاوضات سنة ١٩٢٧.

لقد فَقَدَ العُربُ حريَّةً كما الروحُ خلاه جُثمانه
زمانُ الوفودِ مَضَى وانقضى وما قال كِسرى ونُعمانه
وَإِذْ سَيِّدُ العَرَبِ الأولينَ يُتَمَّمُ بالسيفِ نُقصانه
وهذا زمانُ يُلِينُ اللسانَ على وَغَرِ القلبِ إنسانه

أريدُ سرورَكَ والقلبُ فيه ما لا يَسْرُكُ إعلانه
مليكُ وتكفيه أتعابُه وشعبُ وتكفيه أحزانه
فحدِّثْ فقد أذِنْتُ بالسَّماعِ لحو حديثك آذانه
عن العلمِ في الغربِ ما باله وعن رجلِ الغربِ ما شانه
وهل في الشدائدِ أحقادُه تُعينُ عليه وأضغانه
وهل للدسيسةِ بين الصفوفِ تلاقى.. تُسخرُ أديانه
تباهى بمثلِكَ أكفأؤه ولأهْ العهودِ و((أقراؤه))
وحسبك مُنطلقاً منشأً نشأتَ وضمَّتكَ أحضانه
رعايةُ جِدِّكَ نُورُ النَّبي وبيتُ الإلهِ وأركانُه
ولا خيرَ في المُلِكِ ما لم يُشَدِّ على أَسَيسِ العِلْمِ بُنيانه

بغداد عام ١٩٢٧

في الطيارة أو على أبواب المفاوضات

٣٩٧

ديوان الجواهري

حَيَّاكَ رَبُّكَ غَادِيَا أَوْ رَائِحَا مُسْتَسْهَلَا نَهْجَ الْهَدَايَةِ وَاضِحَا
أَمْوَاجُ دَجَلَةٍ وَالْفِرَاتِ تَدْفَقَا عَذْبًا فَرَاتًا عَادَ بَعْدَكَ مَالِحَا
أَيَّامُنَا بِكَ كُلَّهْنِ سَوَانِحُ وَمَتَى تَشَأْ - حَوْشِيَتْ - كُنَّ بَوَارِحَا
لَوْلَاكَ مَا كَانَ الْعِرَاقُ وَأَهْلُهُ إِلَّا قَطِيعَا فِي فَلَاحٍ سَارِحَا
سُئِلَتْ الْحَوَادِثُ بِالرَّوِيَّةِ جَاهِدَا وَحَمَلَتْ أَعْبَاءَ الْخَطُوبِ فَوَادِحَا
وَأَذْبَتْ نَفْسَكَ فِي رِيَاضَةِ مَوْطِنٍ لَوْلَا جَهُودُكَ كَانَ صَعْبًا جَامِحَا
لَقِيتَ أَصْلَحَ غَايَةٍ يَا مَنْ سَعَى اللَّهُ وَالْأَوْطَانِ سَعِيَا صَالِحَا
فِي ذِمَّةِ الْوَطَنِ الْمَقْدَى أَنْ تُرَى مُتَغَرِّبَا وَعَنِ الْمَوْاطِنِ نَازِحَا

عَرَفْتُكَ أَقْطَابَ السِّيَاسَةِ سَاهِرَا بِهِمُومِهِ وَلُخَيْرِ شَعْبِكَ كَادِحَا
((بَارِيسُ)) تَعْرِفُ ثُمَّ ((لَنْدُنُ)) مَوْقِفَا خُضَّتِ السِّيَاسَةُ فِيهِ لُجَا طَافِحَا
و((التَّاجُ)) إِذْ نَقَمْتُ عَلَيْهِ عِصَابَةً قَامَرْتَهُمْ فِيهِ فَكُنْتَ الرَّابِحَا

مَوْلَايَ ثِقَى إِنَّ الْجَوَانِحَ ثَرَّةٌ بَوْلَاءِ عَرْشِكَ مَا بَقِيْنَ جَوَانِحَا
سِرَ وَانْقَاً بِجِهَادِ شَعْبٍ طَامِحٍ وَلَقَدْ يَسْرُوكَ أَنْ تَرَاهُ طَامِحَا
قُلْ إِنْ أَتَيْتَ مِنْ ((الْخَلِيفَةِ)) دَارَهَا وَلَقِيتَ شَعْبًا لِلشُّعُوبِ مَكَافِحَا
((شُعْبِي)) وَفِي كَفِّي نَجَاحُ مَصِيرِهِ يَرْجُو وَيَأْمُلُ أَنْ يَرَانِي نَاجِحَا
شُعْبِي يُرِيدُ الرَّافِدِينَ لِنَفْسِهِ لَا أَنْ يَكُونَ ((الرَّافِدَانُ)) مَنَائِحَا
يَشْنَا عَلَى الْعَذْبِ الْفِرَاتِ مُنَافِقَا وَيَجِبُ فِي السَّمِّ الزُّعَافِ ((مُصَارِحَا))
((كُونِي)) لَهُ الْخِلَّ النَّصِيحَ سَرِيرَةً وَجَهَارَةً تَجْدِيهِ خِلًا نَاصِحَا

كَيْمَا تَصَانُ مَصَالِحُ لِكَ عِنْدَهُ ((صَوْنِي لِأَبْنَاءِ الْعِرَاقِ مَصَالِحًا))
((مَوْلَايَ)) عَاطِفَةُ الْأَدِيبِ وَشَعْرُهُ كَالزَّنْدِ يَوْرِي إِنْ يَصَادِفُ قَادِحًا
عَاشَتْ بِرَغَمِ ((الظَّالِمِينَ)) قَرِيبَتِي وَلَكُمْ أَمَاتِ ((الظَّالِمُونَ)) قَرَائِحًا
مَدَحَ الْمُلُوكَ ((الشَّاعِرُونَ)) وَإِنَّمَا أَفْرَغْتُ ((قَلْبِي)) لِلْمَلِكِ مَدَائِحًا
فِي ظِلِّ مَغْنَاكَ الْكَرِيمِ وَلَطْفِهِ أَبَدًا أَجِيدُ ((خَوَاطِرًا)).. و((سَوَانِحًا))

بَغْدَادُ عَامَ ١٩٢٧

على سعد
(وفاة سعد زغلول)

قم والتمس أثر الضريح الزاكي وسل ((الكِنانة)) كيف مات فتاك
 وسل ((الكِنانة)) من أصابك غِرَّة واستلَّ سهمك غيلة فرماك
 أهرام مصر وقد بناك لغاية ((فرعون)) ذو الأوتاد حين بناك
 علموا بأن ستُداس مصر وما بها حتى قبور المالكين سواك
 فاستوطنوك وحسب أرضك ميزة أن لم يروا ثقة بغير ثراك
 تاريخ مصر على يدك يعيده من جانبك صدى السنين الحاكي

((زغلول)) ضَمَّيه إلى آبائه ((وفؤاد مصر ضعيه في أحشاك))
 لا تهمليه واذكري أتعابه وثقي بسعد فهو لا ينساك
 روح على الفردوس رفَّت حرَّة وتقمصت ملكاً من الأملاك
 حمَّلت وما حمَّلت إلى أوطاننا غير المناحة هزَّة الأسلاك

يا روح سعد قد خربت بلادُه بالله قضيها لمن سواك
 واذا رأيت النيل يزخر موجُه قولي بعينك شجوه هذا الباكي
 قولي بعينك وردة ما تنقضي آلامها من وخزة الأشواك
 مصر يدالك على ((العراق)) عزيزة أبنظر منه تُسلُّ يدالك؟
 يُسراك من طول الملاكمة انبرت وبموت سعد تنبري يُمناك
 عاثت بلُحمتك السنين ولم تُطق -لله درك- عيشة بسداك
 هزوا لتجربة قواك وساءهم بعد العنا الأتخور قواك

رَوْحُ الْمَفَادَةِ الْكَرِيمَةِ عَلِمْتُ أَبْنَاءُكَ الْأَغْيَارَ صَوْنَ حِمَاكَ
 شَيْعٌ تَمُوجُ تَزَاحِمًا حَتَّى إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ تَضَامَنْتَ لِبَقَاكَ
 وَهَبِي: بَنُوكَ قَضُوا لِأَجْلِكَ كُلَّهُمْ عَاشَتْ بِنَاتُكَ حَامِلَاتٍ لِرَوَاكَ
 يَا مَوْجَةَ النِّيلِ احْمِلِي تِيَّارَهُ عَلَّ ((الْعِرَاقُ)) تَهْزُهُ عَدَوَاكَ
 مَاشِي الْعِرَاقَ بِيَوْمِهِ فَلَطَّالَمَا تَارِيخُهُ بِسِينِيهِ مَاشَاكَ
 وَطَنٌ مَرِيضٌ زَادَ فِي آلامِهِ أَلَّا يَكُونَ عَلَى يَدَيْهِ شِفَاكَ
 وَتَسْمَعِي أَنَّ الْقُلُوبَ تَفْطَرْتُ مِنْ أَنَّةِ الزَّرَّاعِ وَالْمُلَّاكَ
 عَرَبُ الْجَزِيرَةِ هَامِدُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُتَلَّوْا أَبَدًا بِيَوْمِ عِرَاكَ
 لَا يَطْلُبُونَ سِوَى ارْتِخَاءِ قِيُودِهِمْ أَتُرَاهُمْ لَمْ يَطْمَعُوا بِفِكَاكَ؟
 هَذِهِ الطُّيُورُ الْبَيْضُ أَيْنَ مَفَرِّهَا سَتُ الْجِهَاتِ رُصِدْنَ بِالْأَشْرَاكَ

يَا سَعْدُ أَمَّا مَوْطِنِي فَمَهْدَدٌ إِنْ لَمْ يُعَدْ بِنِيَانِهِ - بَهْلَاكَ
 يَا سَعْدُ أَبْلَغُ مِنْ قَصِيدَةِ شَاعِرٍ يَبْنِي الْقَوَافِي فِيكَ دَمْعَةً شَاكِي
 يَا سَعْدُ مَا قَدْرِي وَقَدْرُ نِيَاكِي كُلُّ الْبِلَادِ نَوَائِحُ وَبَوَاكِي

بغداد عام ١٩٢٧

جائزة الشعور

٤٠٥

ديوان الجواهري

نادمتُ خُلَّانَ الأُسى وسُقِيتُ من كأسِ دِهاقِ
مثلُ اصطباحي من كؤوسِ الهَمِّ والألمِ اغتباقي
هذي النفوسُ الشاعراتُ تلذذتُ بالاحتراقِ
غَنَيْتُ نفسي إذ رأيتُ نفوسَها غَنَّتْ رفاقي
كلُّ يقولُ أنا أحوزُ السبقَ في يومِ السباقِ
مالي أنوحُ على سواي وميتي رهنُ السياقي
ساقِي المدام إذا قَضَتْ هذي البلادُ فأنْتَ باقي
روحي وروحُ الشعرِ والأوطانِ كلُّ في التراقي
كلُّ البلادِ سَعَتْ لَتَصْ لِحَ شأْنُها إلّا عراقي
صَدَعَ الزجاجُ تصدَّعَ استقلالُنا بيدِ النِّفاقِ

شَتَّانَ في ما أرثيهِ مذاقُ صَحْبِي من مذاقي
حَلَبَاتِ آدابِ العِراقِ بَكَتْ على الخيلِ العِتاقِ
لم يبقَ لي غيرُ المُخاتِلِ والمُنْفاقِ والمُتْفاقي
أفَّ لهامِنِ أوجهِ -قابِلْنِي- سودِ صِفاقِ
أما غِنائيَ فظاهِرُ محضُ كأغنيةِ السَّواقِ
تتكسَّرُ النِّبراتُ في الأشعارِ من ضيقِ الحِناقِ
نَزَفَتْ دموعُ العينِ ثمَّ تحجَّرتْ هذي المآقي
ولكثرةِ الباكينِ ضاعَتْ حرمةُ الدَّمْعِ المُراقِ

هذا بياني تعرفون الروح فيه من السياق
 يارفة في الطبع با نث بين أبيات رقاق
 أنت التي هونت من هذي الشدائد ما إلاقي
 وأنا المدين لهجة حملتها غير المطاق
 آلام أيام مَضَيْنَ وخوف أيام بواقِي
 أما التمرد في شعوري فهو من أثر الوثاق
 أحييتُ نفساً أردتُ مَوْتَهَا بالاختناق
 لا تقتضي تلك الخشونة بعض أبيات رقاق
 ماذا تُرجي ((فارك)) من بعد حادثة الطلاق
 ما سرها لقياكم فيسوؤها وقع الفراق

قم يا ((جميل)) فحامني يا حامي الأدب العراقي^(١)
 يا من بشعرِكَ ظننت الأقوام أن الشعب راقِي
 قبلي بأحجار رُشِقت لقاء هاتيك الرشاق
 تلك العرائس كم لَقت ضيماً وهنَّ بلا صداق
 أو بعدَ ذا يتشدَّقون بقرب دور الإنعتاق

بغداد عام ١٩٢٧

(١) هو الشاعر جميل صدقي الزهاوي.

من لندن الى بغداد

٤٠٩

ديوان الجوامري

قيلت بمناسبة رجوع الملك فيصل الأول من مفاوضات في لندن لعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا

حياك ربك من ساعٍ سرّاءِ يلقي الوفودَ بوجهٍ منه وضاءِ
 فاضت أساريره بشراً فما وقعت منه العيونُ على كدٍّ وإعياءِ
 لله يومك مشهوداً برؤعته تهزّ داني بلادِ الله والنائي
 في محفلٍ حجبَ الأبصارَ موكبُهُ فليس يُحسدُ إلا الناظرُ الرائي
 هذي الوفودُ وفود الشعبِ حاملةً إليك إخلاصَ آباءٍ وأبناء
 هابوا جلالتك العُليا فما نطقوا حرفاً ولا سلّموا إلا بإيحاءِ
 للنصرِ فوقك أقواسٌ نوافذها ترمي سويداءَ حُسادٍ وأعداءِ
 بغدادٌ مثلُ قلوبِ المخلصينَ لكم تُزهِى بشعلة أنوارٍ وأضواءِ

أنتَ الطبيبُ لشعبي والدواءُ له وأنتَ شخّصتَ منه موضعَ الداءِ
 يدٌ من اللطفِ غراءٌ ولا عجبٌ كم من يدٍ لك قد أسلفتَ غراءِ
 كم موقفٍ مثلِ حدِّ السيفِ ذي زَلِقٍ فرجتهُ بين إصباحٍ وإمساءِ
 أذيةٌ في جهادِ نلتها طرباً وهل جهادٌ بلا مسٍّ وإيذاءِ
 في ذمةِ الله ما لا قيتَ من نَفَرٍ من الأجانبِ عبّادٍ لأهواءِ
 الله يُحزّي مهازيلاً ضمائرهم مأجورةً بين إطراءٍ وإزراءِ
 يسوؤهم أن ترى في زيّ مضطلعٍ بثقلِ شعبٍ لما يُصميه آباءِ
 لو يقدرّون أدالوا كلّ ظاهرةٍ ويدّلوا كلّ نعماءٍ بغماءِ
 هزّوا العراقَ بما اسطاعوا فما أخذتُ منه تضاربُ أنباءٍ بأنباءِ
 كانوا وما أمّلوا من زُخرفٍ سفهاً كمن يُحطّ الذي يهوى على الماءِ
 مررتَ باللغو مرّاً هازئين به بأذنٍ حرٍّ عن الفحشاءِ صماءِ

حَراجةٌ بالكريمِ الحرِّ موقُفُهُ حَيرانَ ما بين قومٍ غيرِ أكفاءِ
إنْ يهْمزوكِ بإرجافٍ فقد بُليتِ كلُّ الشعوبِ بهِمَّازٍ ومُشَاءِ
هَوْنٌ فما قامَ هَدَّامٌ بمعولِهِ إلَّا وقامَ عليه ألفُ بَنَاءِ
يأبى شعوري أنْ يلقاكِ عن كُتبِ إلَّا بقافيةٍ تأتيكَ غِراءِ
مُرَحَّباً بكِ في طياتِها نَفْسُ كنسمةِ الفجرِ قد طَلَّتْ بأنْداءِ

بغداد عام ١٩٢٧

ثورة الوجدان

سَكَتُ حَتَّى شَكَّتَنِي غُرُّ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مَهْذَارِ
سَلَطْتُ عَقْلِي عَلَى مَيْلِي وَعَاطَفْتِي صَبْرًا كَمَا سَلَطُوا مَاءً عَلَى نَارِ
تُرِيَا شُعُورُ عَلَى ضَمِيمٍ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِثَوَارِ
وَقَعْتُ أَنْشُودَتِي وَالْحُزْنَ يَمْلَأُهَا مَهَابَةً وَنِيطَ الْقَلْبِ أَوْ تَارِي
فِي ذِمَّةِ الشُّعْرِ مَا أَلْقَى وَأَعْظَمُهُ أَنِّي أَغْنِي لِأَصْنَامٍ وَأَحْجَارِ
الشَّعْبُ شَعْبِي وَإِنْ لَمْ يَرْضَ مُتَبَدِّدُ وَالِدَارُ رَغَمَ ((دَخِيلِ)) عَابَنِي دَارِي
لَوْ فِي يَدِي لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ عَنْ وَطَنِ مُسْتَسْلِمٍ وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي
مَا عَابَنِي غَيْرُ أَنِّي لَا أُمْدِيدُ إِلَى دُنْيٍ وَأَنِّي غَيْرُ خَوْارِ

الْعُذْرُ يَا وَطَنًا أَغْلَيْتُ قِيَمَتَهُ عَنْ أَنْ يُرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي
الْكُلُّ لَاهُونَ عَنْ شَكْوَى وَمَوْجِدَةٍ بِمَا هَلَكُمْ مِنْ لُبَانَاتٍ وَأَوْطَارِ
وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ لِلْإِفْكِ وَالزُّورِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارِ
يَا أَيُّهَا السَّائِحُ الْمُجْتَازُ أَوْ دِيَّةَ مَشَى الرِّبْعِ عَلَيْهَا مَشْيَ جَبَّارِ
مَرَّ النَّسِيمُ عَلَى أَكْنَافِهَا فَذَكَتْ كَأَنَّمَا جُرَّ فِيهَا ذَيْلُ مِعْطَارِ
مَحْضٌ بَعَيْنِي نَزِيهٍ غَيْرِ ذِي غَرَضٍ حَالَ الْعِرَاقِ وَخَلَّدَهُ بِأَسْفَارِ
إِنَّ الْقُصُورَ الَّتِي شَاهَدْتُ، قَائِمَةٌ عَلَى أُسَاسٍ مِنَ الْإِجْحَافِ مُنْهَارِ
خَلَّ الْحُثْوَانُ وَإِنْ رَاقَتْ مَطَاعِمُهُ وَبِتْ بَلِيلَةَ ذَاكَ الْجَائِعِ الْعَارِي
وَانْظُرْ إِلَى الْكُؤُخِ قَدْ بِيَعَتْ دَعَائِمُهُ وَحَوَّلُوهَا لِأَقْرَاطٍ وَأَسْوَارِ
وَإِخْشَ الدَّخِيلَ فَلَا تَمْدُدْ إِلَيْهِ يَدًا فَإِنَّهُ أَيُّ نَفَّاعٍ وَضَرَارِ
صَرَفَ الدِّرَاهِمَ بَاعُوا وَاشْتَرَوْا وَطَنِي فَكُلُّ عَشْرَةِ أَمِيَالٍ بِدِينَارِ

وطغمة من دُعاة السوء ساقطة
تروي وتظماً لا تلوي على نصف
في كل يوم بأشكال وأنمطة
مأجورة لم تقم يوماً ولا قعدت
عوت فجاوبها أمثالها همج
يُحصون تاريخ أقوام وعندهم
لجوا على أن يزيدوا كل نائرة
أين المساميح بالأرواح إن عصفت
يال للرجال لأوطان مؤزعة
شلت يد عبت في أختها وكبت
ماذا السكون ألا تهتج نخوتكم
ليست بشوك إذا عُدت ولا غار^(١)
ولم تؤكل بإيراد وإصدار
وكل آت بهيات وأطوار
إلا على هتك أعراض وأستار
من كل مستصرخ للغى نعار
صحائف ملئت بالخزي والعار
تسعية وأصرُوا كل إصرار
هوجاء تُنذر أوطاناً بإعصار
في كف كل مُهان النفس دعار
رجل إلى نفسها تسعى بأضرار
أن العروبة قد حُفّت بأخطار؟

بغداد عام ١٩٢٨

(١) الغار: نوع من الشجر واحدته: غارة.

لولا

الروحُ أَشَقَّتْني وَجُلَّ صَحابتي ما أَشَقَّتِ الشعراءُ الا الروحُ
تُوسى الجروحُ وليس يُوسى شاعرٌ بصميمِ إحساساته مجروحُ
في القلبِ من أثرِ الهُمومِ وَوَسْمِها سِمةٌ على النَّفْسِ الحزينِ تلوحُ
فَنَيْتُ قِوافٍ ما قرحن وإنَّما خَلَدْتُ بِذكرى ((ذي القروح)) قروحُ^(١)
ولَكنَّ طَرِبْتُ فما أَجَدْتُ وَحَسْبُكُمْ أَنِّي أَجيدُ الشعرَ حينَ أنوحُ
أما التَّباريحُ الحارُّ فإِنَّها لِلنَّفْسِ ما تشتهي ترويحُ
يا موطناً عَزَّتْ به ((خرطوشة)) ذُلًّا وهانَ دَمٌّ لَه مسفوحُ
لولا اتِّقاءُ رِواصِدِ مَبْثُوثَةٍ هَتَكَتْ مُتَوْنَ المُجَمَّلاتِ شروحُ
ولقد يَحْسُ الشاعرونَ بأنَّهم عَبءٌ على أوطانهم مطروحُ

بغداد عام ١٩٢٨

(١) ذو القروح: امرؤ القيس.

ضحايا الانتداب

(الشهداء)

سَلِ الْأَخْوِينَ مُعْتَنِقِينَ غَابَا لَايَّةَ غَايَةِ طَوَايَا الشَّبَابَا
 وَعَنْ أَيِّ الْمَبَادِيءِ ضَيَّعُوهُ دَمًا لَمْ يَأْلِهِ النَّاسُ اِطْلَابَا
 الْأُلُوطَانِ وَهِيَ تَعِجُّ شَكْوَى كَعَهْدِهِمَا وَتَصْطَخِبُ اصْطَخَابَا
 وَلَوْ كَدَمِيهْمَا سَالَتْ دِمَاءُ مُحَرَّمَةٌ لَمَّا رَأَتْ انْقِلَابَا
 عَلَى الْأَخْوِينَ مُعْتَنِقِينَ صَفًّا كَمَا صَفَّفَتْ أَعْوَادًا رِطَابَا
 عَتَبْتُ وَغَايَةَ فِي الظُّلَمِ أَنِّي أَحْمَلُ فَوْقَ مَا لَقِيََا عِتَابَا
 أَدَالَ اللَّهُ مِنْ بَيْتِ مُشَادٍ عَلَى بَيْتٍ يَخْلِفُهُ خَرَابَا
 وَلَا هَنَاتَ بِمَا لَقِيتَ أَنْاسُ عَلَى قَبْرَيْكُمَا رَفَعُوا الْقَبَابَا
 مَشَى نَعَشٌ يَجُرُّ وَرَاهُ نَعَشًا سَحَابٌ مُقْلَعٌ قَفَى سَحَابَا
 وَنَاحَتْ خَلْفَهُ أَشْبَاحُ حُزْنٍ يُخَفِّي نَطْقَهَا الْأَلَمُ اِكْتَابَا
 بَعَيْنِ اللَّهِ مُتَنْظَرِينَ أَوْبًا بِمَا يُيَكِّي الصَّخُورَ الصَّمَّ آبَا
 دُمُ الْأَخْوِينَ فِي الْكَفَنَيْنِ يَغْلِي خَطَابٌ لَوْ وَعَى قَوْمٌ خَطَابَا
 سَيَعْلَمُ مَنْ يَخَالُ الْجَوَّ صَفْوًا بَأَنَّ الْجَوَّ مَمْلُوءٌ ضُجْبَابَا
 وَمَنْ ظَنَّ الْمَجَالِسَ عَامِرَاتٍ بِمَدْحِ أَتْمَا شُجِنَتْ سَبَابَا
 وَيَعْرِفُ مَنْ أَرَادَ صَمِيمَ شَعْبِي رَمِيًّا أَيَّ شَاكِلَةٍ أَصَابَا
 وَيُدْرِكُ أَيْنَ صَفْوُ الْمَاءِ عَنْهُ وَرَيْقُهُ إِذَا وَرَدَ اللَّصَابَا
 وَلَوْ عَرَفْتُ بِلَادِي مَا أَرَادْتُ بِهَا النُّوَابِ لَمْ تُرَدِّ اِنتَخَابَا

فَلَا وَأَبِيكَ مَا وَنَتْ اللَّيَالِي تُدِيفُ لِمُوطِنِي سُتْمًا وَصَابَا
 حَدَدَنْ لِقَلْبِهِ ظُفْرًا فَلَمَّا وَجَدَنْ بَقِيَّةَ أَنْشَبِنَ نَابَا

فيا لك موطناً واليأسُ يمشي فلورام الرجا حُلماً لخابا
أراد الرأس لم يحصل عليه مكابرة ولا لزيم الدنابي
لمن وإلى م من ألم يُنادي كفاه مذلة أن لا يجابا
وهل طرقت يمين الحق باباً ولم تسدد شمال الظلم بابا

فوا أسفاً لمطلب طلابا يخال الموت أقرب منه قابا
وقد اتخذوا الحوم بنيه زادا وقد لبسوا جلودهم ثيابا
رضوا من صبحهم فجراً كذابا ومن أنوار شمسهم اللعابا
وقرت لأذى منهم صدور فسّموهن أفئدة رحابا
ووقر من أتاح العاب فيهم وقالوا إتهم يابون عابا
لقد طاف الخيال علي طيفاً رأيت به الحمامة والغرابا
فكان العدل ممتلاً سقاما وكان الظلم ممتلاً شبابا
فيا وطني من النكبات فأمن فقد وفّتك حظك والنصابا
وإن خُشنت عليك مكاشفات فحسبك أن تُجامل أو تحابا
وإن طويت على دغل قلوب فقد أعطيت ألسنة رطابا

بغداد عام ١٩٢٨

أَيُّهَا الْمَتَمَرِدُونَ

أَسَاتَذِي أَهْلَ الشُّعُورِ الَّذِينَ هُمْ مَنْارِي فِي تَدْرِيبِي وَعِمَادِي
أُرُونِي انبِلَاجاً فِي حَيَاتِي فَلِإِنِّي سَمِئْتُ حَيَاةً جُلِّلْتُ بِسَوَادِ
وَمَا الشَّاعِرُ الْحَسَّاسُ صِنُوْ لِعِيشَةٍ مَكْرَرَةٍ مَخْلُوقَةٍ لِحِمَادِ
خَذُوا بِيَدَيَّ هَذَا ((الْغَرِيبِ)) فَإِنَّهُ لِكُلِّ يَدٍ مُدَّتْ إِلَيْهِ مُعَادِي
لَنْ جِئْتُ عَنْ أَزْمَانِكُمْ مَتَأَخِراً فَلِإِنِّي قَرِيبٌ مِنْكُمْ بِفَوَادِي
لَغَيْرِ زَمَانٍ كَوْنِ الدَّهْرِ نَزَعَتِي وَكَوْنِ أَعْصَابِي لَغَيْرِ بِلَادِ
وَعِنْدِي مِنْكُمْ كُلُّ يَوْمٍ مَجَالِسُ تَرْفُ بِهَا أُرُوحُكُمْ وَنَوَادِي
مَعِي رُوحٌ ((بَشَّارٌ)) وَحَسْبِي بِرُوحِهِ تَقَرَّبَنِي مِنْ حِكْمَةٍ وَسَدَادِ
تُعَلِّمَنِي سُخْفَ الْقَوَانِينِ فِي الْوَرَى وَسُوءَ نَظَامٍ لَمْ يَجِئْ بِرِشَادِ
وَطَوَّراً مَعَ الشَّهْمِ الظَّرِيفِ ((ابْنِ هَانِيٍّ)) يَبْرَاحُ خَمَاراً لَهُ وَيَغَادِي
يَسْجَلُ مَا أَحْصَتْ يَدَاهُ بِدَقَّةٍ وَيَمِزُجُ مِنْهُ صَالِحاً بِفَسَادِ
وَمَنْ قَبْلُ ((لِلْحَانَاتِ)) كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ لِيَدِي الشُّعْرَاءِ النَّاهِيْنَ أَيَْادِي
تَعَوِّضُهُمْ عَنْ وَحْشَةٍ بِانْطِلَاقَةٍ وَعَنْ يَقْظَةٍ مَذْمُومَةٍ بِرُقِيَادِ
أَسَاتَذِي لَا تُوحِدُونِي فَلِإِنِّي بَوَادٍ وَكُلُّ الشُّاعِرِينَ بِوَادِي
وَلَا تَعْجَبُوا أَنَّ الْقَوَافِي حَزِينَةٌ فَكُلُّ بِلَادِي فِي ثِيَابِ حِدَادِ
وَمَا الشُّعْرُ إِلَّا صَفْحَةٌ مِنْ شَقَائِهَا وَمَا أَنَا إِلَّا صُورَةٌ لِبِلَادِي
فَلَا تَذْكُرُوا عِيشِي فَإِنَّ يَرَاعَتِي تَرْفَعُ عَنْ تَدْوِينِهِ وَمِيدَادِي
أَمْرٌ مِنَ الْمَلَحِ الْأَجَاجِ مَوَارِدِي وَأَوْجَعُ مِنْ شَوْكِ الْقَتَادَةِ زَادِي
تَقَدَّمَنِي مَنْ لَسْتُ أَرْضَى اصْطِحَابَهُ وَطَاوَلَنِي مَنْ لَمْ يَكُنْ بِعِيدَادِي
وَضُوبِقْتُ حَتَّى فِي شُعُورِي وَإِنَّمَا شُعُورِي بَقِيَا عُدَّتِي وَعَتَادِي

وما لذَّة الدُّنيا إذا لم أكن بها أمتَّعُ في تفكيرتي ومُرادِي
وما أنا بالحُرِّ الذي ينعْتونه إذا لم يكن في راحتي قيادي
أصرُّفه فيما أروم وأشتهي وأبذل فيه طارفي وتلادي
وماذا يريدُ الناسُ مني وإنَّما ((لنفسِي صلاحِي أو عليّ فسادِي))
فلا تَشُدُّوا حُرِّيَّةَ الفكرِ إنَّها ((بِغدادِ)) معنَى نكبةٍ وصفادِ
فما كان بشَّارٌ بأوَّلِ ذاهِبٍ ضحيَّةً جهلِ شائني وعنادِ
إلى اليوم في ((بغدادِ)) خنقُ صراحةٍ وتعذيبُ آلافٍ لأجلِ أحادِ
مداخلةً في مجلسٍ ومساربٍ وتضييقُ في جيئةٍ ومعادِ
وخلَّوا اهتضامَ الشعرِ إنَّ حديثه شجونٌ أقضتْ مضجعي ووسادي
خلَّتْ حَلْبَةُ الآدابِ إلّا هجائناً ملفَّقةً سدَّتْ طريقَ جِيادِ
تشكَّى القريضُ العابثين بحقله كما يتشكَّى الروضُ وقعَ جِرادِ

بغداد عام ١٩٢٨

الأدب الصارخ

٤٢٧

ديوان الجوامري

ونفسٍ لاقتِ الصدماتِ عزلى وكانت وهي شاكية السلاح
 وقد كانت سبأخاً فاستثيرت وفلّ صميمها وقع المساحي
 وأفراحٍ شحيحاتٍ أديفت بأتراحٍ جُبِلْنَ على السّاح
 أقربُ ما أكونُ إلى انقباضٍ وأبعدُ ما أكون عن انشراح
 وشَتَّانَ اقتراحاتُ الليالي وما تبغيه منّي واقتراحي
 فليتَ حوادثُ ما رفّهتُ لي نطاقَ العيش لم تحصصُ جناحي
 وليتَ مخابراً قُبِحتَ ذهنتي مجردةً عن الصُّورِ القباح
 إلى ألمٍ وعن ألمٍ مسيري فما أدري غُدوي من رواحي
 وما أختارُ ناحيةً لأنّي رَماني الدهرُ من كلِّ النواحي
 وملءُ القلبِ إذ حبست لِساني ظروفاً مُغرَماًتُ باجتياحي
 جراحٌ لم تَفْضُ فمِلْتَنَ قِيحاً وبعضُ الشرِّ لو فاضت جراحِي
 رأيتُ معاشرَ الشعراءِ قبلي تعدُّ الخمرَ مجلبةً ارتياحِ
 وقد أغرقتُ في الأحزانِ حتّى سئمتُ مُنادمي وذممتُ راحي
 وما سكرانُ يفتحُمُ البلايا كمفتحِمِ البليّةِ وهو صاحي

بعينِ الشعرِ والشعراءِ بيتٌ هتفتُ به فطارَ مع الرياحِ
 يهبُ مع الصّبا نفساً رقيقاً ومؤتلقاً يطيرُ مع الصّباحِ
 له من رقةٍ نَسَبٌ صريحٌ يمتُّ به إلى الماءِ القراحِ
 ولو في غيرِ أوطاني لجالت به نُظُمُ القلائدِ والوشاحِ

وقائلة ترى الآداب سَفَّتْ وقد غطَّى النُّعَابُ على الصُّدَاحِ
وما نفعُ السُّكُوتِ وقد أُضِيعَتْ حقوقُ ذوي الجدارة بالصَّيَاحِ:
تَقَدَّمُ للقوافي واقتَحِمَهَا فقد يُرجى التَّقَدُّمُ بالكفَّاحِ
أقولُ لها: دعي زندي فإني أخافُ عليك بادرةً اقتداحي
وكلُّ حقيقةٍ ستينُ يوماً وكلُّ تصنعٍ فإلى افتضاح

وما بغدادُ والآدابُ إلَّا كما انتفختُ طبولٌ من رِياحِ
تُوفي الحُرَّ من حقِّ مُضايَعِ ومن عِرضٍ تمزُّقه مُباحِ
ولما أن رأيتُ الشعرَ فيها أداةً للتشاحنِ والتلاحِي
أنرتُ ذُبَالٌ مسرجتي بكفِّي أفتشُ عن أديبٍ في الضواحي^(١)
فكان هناك تحتَ ستارِ بُؤسٍ يجلِّله وفي ثوبِ اطراحِ
أقولُ له: ألا وجهٌ حيٌّ يقيك طوارقَ النُّوبِ الوقاحِ؟
أما في الحيِّ ذو أنفٍ كريمٍ يناشد عن غدوِّك والرواحِ؟
فقال وأرعشتُ شفتاه: دعني أقابلُ جدَّ دهرِكَ بالمزاحِ
ومثلي ضحَّت الدنيا كِثَّاراً فهبني بعضَ هاتيك الأضاحي

بغداد عام ١٩٢٩

(١) الذبالة: الفتيلة.

الشاعر والعود

٤٣١

ديوان الجواهري

نظمها الشاعر راثياً بها الأخوين عمر وبكر وكان لمصرعهما أثناء الانتخابات النيابية عام ١٩٢٨ أثر كبير
في النفوس

مَا سَمِعَ السَّامِعُونَ أَسَى مِنْ شَاعِرٍ ضَمِيمٍ فِي الْعِرَاقِ
 أَلْوَى عَلَى عُودِهِ شَجِيئاً يَبُثُّهُ فَرْطُ مَا يُلَاقِي
 إِذَا بَكَى ارْتَدَّ يَبْكِي شَجُوعاً لِأَلْحَانِهِ الرَّقَاقِ
 فِي ذَمِّهِ اللَّهُ مَا تُلَاقِي يَا عَوْدُ مَنْيَ وَمَا أَلَاقِي
 رُوحَانِ مَنْيَ وَمَنْكَ بَاتَا مِنْ وَطْأَةِ الْهَمِّ فِي التَّرَاقِي
 مَا ضَاقَ مِنْكَ الْخِنَاقُ يَوْمَاً لَوْ نَفَسَ الدَّهْرُ عَنْ خِنَاقِي
 يَا دَهْرُ خُذْنِي وَاحْلُلْ وَثَاقَاً أَرْهَقَ عُودِي وَاحْلُلْ وَثَاقِي
 أَوْ لَا فَحَوْلْ أَتْنَةَ أُسْرِي عَنْهُ إِلَى نَغْمَةٍ انْطَلَقِ

فَعَمَغَمَ الْعَوْدُ وَاسْتَجَاشَتْ أَشْجَانُهُ خَطَرَةَ الْفِرَاقِ
 إِسْلَمَ رَفِيقَ الصُّبَا، أَلَوْفٌ تَفْدِيكَ مِثْلِي وَأَنْتَ بَاقِ
 قَبْلَكَ وَاسَيْتُ أَلْفَ شَاكٍ وَأَلْفَ حَاسٍ وَأَلْفَ سَاقِ
 مِنْ فَضْلِ مَا أَوْحَتْ الرِّزَايَا إِلَيَّ مَيَّزَتْ عَنْ رِفَاقِي
 أَقُولُ لِمَا انْبَرَتْ غُصُونُ أَعْوَادُهَا تَبْتَغِي لِحَاقِي
 إِحْمَلْنِ مِثْلَ الَّذِي أَلَاقِي مِنْ اصْطَبَاحِي أَوْ اغْتَبَاقِي
 طَارِحِنَ مِثْلِي أَخَا شَجُونٍ شَارِكِنَ مِثْلِي أَخَا اشْتِيَاقِ
 رَبِّ نَهَارٍ كُنْتُ فِيهِ جَنْباً إِلَى جَنْبٍ فِي اعْتِنَاقِ
 قَضَيْتُهُ جَنْبَ ذِي شَجُونٍ أَخَافُ مِنْ بَثِّهِ احْتِرَاقِي
 وَرَبِّ لَيْلٍ سَهَرْتُ فِيهِ أَشْدُو حَزِيناً مَعَ السَّوَاقِي
 اصْبِرْ قَلِيلاً يَا عَوْدُ إِنَّا عَمَّا قَرِيبٍ إِلَى افْتِرَاقِ

حملت عني ماضي هُمومي فاحمل قليلاً من البواقي
 ولّي شـبابي إلّا بقايا ضحيّة القلب والمآقي
 والنفـسُ تأبى إلّا انطلاقاً والدهرُ يأبى إلّا ارتهاقي
 والحزنُ لم يدخـرْ صُباباً يُبقيه في كأسه الدّهاق^(١)
 ألانطفائي كان اشتعالي ألاحترأقي كان اثتلاقي
 وحين جاء الظلام يُرخي سِترأ على الأوجهِ الصّفاقِ
 ورفّ رُوحُ السـلامِ يُخفي غريزة الحُقدِ والنِّفاقِ
 باتَ بطيّاته فؤادُ يشكّرُ لطفَ الموتِ الدُّعاقِ
 وجنبه عودُهُ يُناغي حشـرجة الصـدرِ في السِّياقِ
 إلى التلاقي ((عودي)) وداعاً وكيف بعدَ الموتِ التلاقي
 أقرىء سَلامي على الرزايا أعني سلامي على الرفاقِ
 ذاك أديبٌ مات اضـطهاداً ذاك هو الشاعـرُ العـراقـي

بغداد عام ١٩٢٩

(١) الصباب: من الصبابة، وهي ما يساوي الثمالة أي البقية من كؤوس الشراب.

صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم

سَالِ شِعْرِي بِالرَّغْمِ عَنِّي حَزْنَا أَبْتَغِي فَرَحَةً فَمَا تَتَسَنَّى
كُلُّ صَحْبِي يَشْكُونُ شَكْوَايَ لَكِنْ رَبِّمَا يَضْحَكُونَ خُسْرًا وَغَبْنًا
لَوْلَا ((جَوْتِ)) تَبْدُو تَعَاسَةً هَذَا الشَّعْبُ يَوْمًا لَكَانَ أَجْمَلَ فَنَّا^(١)
لَتَنَاسَى ((آلَامَ فَرْتَرِ)) طَرًّا رَبُّ حَزْنٍ يُنْسِي أَخَا الْبُؤْسِ حَزْنَا

مِنْ شَبَابِ الْعِرَاقِ تَعْلُو الْكَابَاتُ وَجُوهًا تَفِيضُ طَهْرًا وَحُسْنًا
لَوْ تَرَاهَا عَجِبْتَ أَنْ لَا يَهْزُ الشَّرْخُ قَلْبًا أَوْ يُضْحَكُ الزَّهْوُ سِنًا^(٢)
أَعْلَى هَذِهِ النَّفُوسِ - مِنَ الْيَأْسِ اسْتِمَاتَتْ - مُسْتَقْبَلُ الشَّعْبِ يُبْنَى
يَتَغَذَى دَمَ الْقُلُوبِ شَبَابٌ لَا يُرِيدُ الْحَيَاةَ ذُلًّا وَهَنَا
خُدْعَةٌ هَذِهِ الْمَظَاهِرُ مَا فِي الْقَوْمِ فَرْدٌ يَعِيشُ عَيْشًا مُهَنَّا
الْثِيَابُ الْفَرَاهَاءُ رَفَّتْ عَلَيْهِمْ كَضْمَادٍ غَطَّى جِرَاحًا وَطَعْنَا
وَالْأَحَادِيثُ كُلُّهَا تَشْتَكِي ((الْبُؤْسِ)) وَفَصْلُ الْخُطَابِ أَنَا ((يَتَسَنَّا))

إِيهِ أُمَّاهُ مَا أَرَابَ شَقِيقَ النَّفْسِ مَنَا حَتَّى تَبْعَدَ عَنَّا
مَنْذِيومِينَ لَيْسَ يَعْرِفُ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ شَيْئًا وَلَا كَيْفَ بَتْنَا
جَائِيًا ذَاهِبًا يَقْسَمُ فِي الْأَوْجِهَةِ لِحَظِيهِ مِنْ هُنَاكَ وَهَنَا
إِيهِ أُمَّاهُ إِنَّ نَفْسِي أَحْسَتْ مَا يُقْذِي عَيْنًا وَيُوقِرُ أُذُنًا

(١) ((غوته)): الشاعر الألماني.. مؤلف ((آلام فرتر)) وقد نقلها إلى العربية ((أحمد حسن الزيات)).

(٢) الشرخ: الأول. شرخ الشباب: أوله.

فانبرت دمعَةٌ تُترجمُ عَمَّا في ضمير الأُمِّ الحنونِ استكَنَّا
 إِسْمَعِي يا عزيزتي أنا أوفى منك خُبْرًا إذ كنتُ أكبرَ سِنًا
 ولدي مُذْ عَرَفْتُهُ يملأُ البيتَ بتفكيره ارتهاباً وحُزناً
 ولدي طامحٌ تُعَيِّيه آمالٌ كَثَارٌ إِنَّ الطَّمُوحَ مُعْنَى
 يَتَمَنَّى كُلَّ السُّرُورِ ولا يستطيعُ نيلاً لبعض ما يَتَمَنَّى
 لو بكفِّي مَنَعْتُ جُلَّ القَوَانِينِ على الحقِّ نِقْمَةٌ أَنْ تُسَنَّا
 لا نظامٌ حرٌّ فيزعي الكفاءاتِ ولا من يُقِيمُ للحرِّ وزناً
 عَكِسَتْ آيَةُ الفضائلِ فالأعلى مقاماً من كان في النفسِ أدنى
 ساكنُ القصرِ لو إلى ذِمَّةِ الحقِّ احتكمنَا لكان يسكنُ سِجْنَا
 ولكانَ الحرِّيَّ أن تتحاشاه البرايا لا أن يُبَرَّ ويُذنى
 إِنَّ ما يجتنيه من مُنْكَرَاتِ العيشِ من شَفْوَةِ البريئين يُجْنَى
 وقناني الخمرِ التي عصروها من دُمُوعي ومن دُمُوعِكَ تُقْنَى
 ولدي أَخْتَشِي عليه من الموتِ انتحاراً وأختشي أن يُجَنَّا
 أسمعته أَمْسٍ اذ يَتَحَدَّى النَّاسَ إِنِّي عَرَفْتُ مَرْمَاهُ ضِمْنَا
 هو يشكو من النَّذَالَةِ خَضَمًا وهو يشكو من الخيانةِ خَدْنَا
 ولدي لم يكن ليحملَ - لولا أن يُلَحِّقوا به - على الناسِ ضِغْنًا

ما لزوجي إذا ذَكَرْتُ له الأَنَسَ وما أرتجى من العيشِ أَنَا
 أَنَّهُ سُرُّهَا عَمِيقٌ وفيها أَلْفَ معنى من القُنُوطِ ومعنى
 كاسراً جَفَنَهُ يَخَالِسُنِي اللَّحْظَ لأمرٍ في النفسِ يكسرُ جَفْنَا
 أُنْرى من إِشْفَاقَةٍ هذه النظرةُ أم ساءَ بي - وحاشاي - ظَنَّا

حَلَّتِ الْغُرْفَةُ الصَّغِيرَةُ مِنْ ((قِشَارِ)) زَوْجِي فَلَسْتُ أَسْمَعُ لَحْنًا
أَنَا وَاللَّهِ كُنْتُ أَسْتَشْعِرُ مَعْنَى الْحَيَاةِ إِذْ يَتَغَنَّى

فِي سَوَادِ الدُّجَى وَعَاصِفَةِ الْأَقْدَارِ هَبَّتْ تَجَتُّ بِالْعُنْفِ غُصْنَا
مِنْ عَلَى دَجَلَةٍ تُكْشِفُ لِلضَّيْفِ عَزِيزًا عَلَى الطَّبِيعَةِ حِضْنَا
شَبَّاحٌ لَاحَ مِنْ بَعِيدٍ يَحْكُ الْخَطْوَ طَوْرًا وَتَارَةً يَتَأَنَّى
يَا لَهُ مَوْقِفًا يَمَثُلُ مَذْهولًا يُعَانِي حَالَيْنَ خَوْفًا وَأَمْنًا
زَوْجَتِي سَوْفَ تَسْتَفِيقُ مِنَ النَّوْمِ صَبَاحًا فَمَا تَرَانِي وَهَنَا
سَوْفَ تَجْتَاحُهَا الظُّنُونُ وَلَهْفِي إِذْ تُنَبِّئُ عَنْ صَدَقٍ مَا تَتَظَنَّى
زَوْجَتِي مَا اقْتَرَفْتُ إِثْمًا وَلَكِنْ كَيْفَمَا شَاءَتِ النَّوَامِيسُ كُنَّا
زَوْجَتِي أَوْسَعِي النَّزَاهَةَ مَا اسْطَعْتَ سَبَابًا وَأَوْسَعِي الْحَقَّ لَعْنَا
أَقْتُلِي بَنَتِكَ الصَّغِيرَةَ لُبْنَى لَا تَكَابِذْ مَا كَابَدَتْ أُمُّ لُبْنَى
وَعَجُوزٌ هُنَا لَكُمْ حَسْبُهَا مِنْ رَحْمَةِ الدَّهْرِ أَنْ سَتَفْقَدُ إِنَّا
لَوْ تَخَيَّرْتُ لِي إلهًا مَا أَهْلُتُ إِلَّا مِنْ هَيْكَلِ الْأُمِّ بَطْنَا
و((رَبَابٌ)) شَقِيقَتِي بَعْدَ مَوْتِي أَبْدَأُ بِالْحَيَاةِ لَا تَتَهَنَّنَا
وَسَأَقْضِي فَيُوسِعِ النَّاسُ تَارِيخِي بَعْدَ الْمَمَاتِ سَبَّابًا وَطَعْنَا
يَا لَهُمَا مِنْ نَذَالَةٍ فِي أَحَادِيثَ تُسَمِّي شَجَاعَةَ الْمَوْتِ جُبْنًا

إِشْهَدِي دَجَلَةً بَأَنِّي - كَمَا كُنْتُ - قَوِيًّا جَسْمًا وَعِزْمًا وَذَهْنًا
شَاعِرًا بِالْوُجُودِ أَغْمِضُ عَمَّا فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْمُنَاطَرِ جَفْنَا
كُلُّ هَذَا وَسَوْفَ أَنْتَحِرُ الْيَوْمَ لِأَنِّي أَرَى الْمَعِيشَةَ غَبْنًا!

إحملي ((دجلة)) سلامي إلى الأهل وقولي: قد استراح المعنى

حملوا- بعد أربع- جُثَّةٌ لم تتميز منها النواظرُ رُكنا
وانحنَتْ فوقها الأمومةُ خرساءُ تُزجِّي يُسرى وترفعُ يُمنى
لم تُطِيقْ أنةً فماتت- وقد يدفع- موتاً عن ثاكلٍ أن تُثنا
واستخفَّ الشقيقة ((الصرعُ)) فهي اليومَ نضوٍ يعالج الموتَ مُضنى
وحديثُ الأخرى اتركوه فقد يُغنيكم عن صراحةٍ أن يُكنّى!

بغداد عام ١٩٢٩

أمان الله

نظمت إثر الانقلاب الذي دبره الاستعمار البريطاني ضد ملك الأفغان المجدد ((أمان الله)) وأدى الى
خلعه.

وداعاً ما أردتُ لك الدواعي
 وكم في الشرق مثلي من مُرجٍ
 وإنَّ يداً طوتك طوت قلوباً
 وقد كانت متى تذكرُك نفسي
 فها هي بين تأميلٍ ويأسٍ
 أمان الله والدُّنيا ((هلوك))
 بغير روية حُباً وكُرْها
 تثبَّت لا ترْعك فليس عدلاً
 إله الشرِّ جبارٌ عنيذٌ
 وأحكامُ القضاء مغفلاتٌ
 أرى رأس ((ابن سقاء)) محالاً
 بلى وأظنُّه عمّاً قريبٍ
 ولكن كان لي أملٌ فضاعا
 أراد لك النجاح فما استطاعا
 مرفرفةً وأحلاماً وساعا
 تطرُ - إذ تمّتي فرحاً - شعاعا
 تُصبرُ ساعةً وتجيئُ ساعا
 أبْتَ إلا التحوُّلَ والخِداعا
 إذا كالتُ تُوفي المرءَ صاعا
 ولا عودتَ نفسك أن تُراعا
 يحبُّ مع الجبابة الصراعا
 يُسئن إذا انتخبن الإقترعا
 يطيق بتاجك الألقِ اضطلاعا
 سيشكو من تحمّله الصداعا

لقد أودي بعاطفتي ركودٌ
 تقدّم أيها الشرقيّ وامدّد
 فقد حلفوا بأنك ما استطاعوا
 وأنك ما تُشيّد من بناءٍ
 وليس بأول التيجانِ تاجٌ
 فيا لشقاء شعبٍ مشرقيّ
 فها أنا سوف أندفعُ اندفاعا
 يدك وصارع الدنيا صراعا
 ستبقى أقصرَ الأقوامِ باعا
 تجذ فيه انثلاماً وانصداعا
 أرذن له مطامعهم ضياعا
 إذا وجدوا به ملكاً مُطاعا

(١) الهلوك: الفاجرة من النساء.

وهب أوفى بـ ((أنقرة)) وأنعم رواء الملك يزدهر التماعا
فلم تكن ((البنية)) وهي فرد لتعدل ألف بنيان تداعي

سأقذفها وإن حُسِبَتْ شذوذاً وإن ثقلت على الأذن استماعا
فما للحرِّ بدٌّ من مقالٍ يرى لضميره فيه اقتناعا
إذا لم يشمل الإصلاح ديناً فلا رشداً أفاد ولا انتفاعا
وأوفى منه أنظمة تُماشي حياة الناس تُبتدع ابتداعا
أتت ((مدنية الإسلام)) لما لشعث لا انشقاقاً وانصداعا
ولا لثرى مواطنها خراباً ولا لبيت أهلوها جيعا
ولا لتكون للغربي عوناً يهدد فيه للشرق اجتماعا
ولا ما يريد القوم منّا إذا ألفت محببة قناعا
أعند نساءنا منهم عهدٌ بأنهم يجيدون الدفعا
إن خلقت لحي ملئت نفاقاً تخذلتم شعرها درعاً مناعا
رفعتم راية سوداء منها وثورتم بها ناساً وداعا
عفت مدنية لدمار شعبٍ وديع تخدم الهمج الرعا
هم نفخوا التمرّد في خرافٍ وأغروهن فانقلبت سباعا
ومن خطّ السياسة إن أرادت فساد الملك أفسدت الطباعا

على أيّ وإن أدمى فؤادي ليومك ما أضيق به ذراعاً
أحملك الملامّة في أمورٍ بطاء قد مشيت بها سراعاً
وقد كانت أناة منك أولى وإن كنت المجرب والشجاعا
((وخير الأمر ما استقبلت منه وليس بأن تتبعه اتباعاً))

((ولكن الأديم إذا تفرّى بلى وتعيّياً غلب الصّناعا))

بغداد عام ١٩٢٩

علموها

(افتتاح أول مدرسة للبنات في النجف)

علّموها فقد كفاكم شنارا وكفاها أن تحسب العلم عارا
وكفانا من التقهقر أننا لم نعالج حتى الأمور الصغارا
هذه حائلنا على حين كادت أمم الغرب تسبق الأقدارا
أنجب الشرق جامداً بحسب المرأة عاراً وأنجبت طيارا
تحكم البرلمان من أمم الدنيا نساء تمثل الأقطارا
ونساء العراق تمنع أن ترسم خطاً أو تقرأ الأسفارا

علّموها وأوسعوها من التهذيب ما يجعل النفوس كبارا
ولكي تحسنوا سياسة شعب برهنوا أنكم تسوسون دارا
إنكم باحتقاركم للنساء اليوم أوسعتم الرجال احتقارا
أفمن أجل أن تعيشوا تريدون لثلاثي أهل البلاد الدمارا
إن خيراً من أن تعيش فتاة قبضة الجهل أن تموت انتحارا
أي نفع من عيشة بين زوجين بعيدين نزعة واختبارا
وخلال البيوت لا تجدون اليوم إلا خصومة وشجارا

اختياراً بالبنات سيروا إلى صالحها قبل أن تسيروا اضطراراً
فعلى قدر ما تزيدون في الضغط عليها ستوجدون انفجاراً
وهبوا مرةً نجحتم فلا تنخدعوا سوف تخذلون مراراً
ولدى الأمر لا محالة مغلوبٌ ضعيفٌ يقاوم التياراً
وأرى جامداً يصارع تجديداً كقزمٍ مصارعٍ جباراً

أين عن حُرمة الأمومة داستها وحوش، المصلحون الغيارى
قادة للجمود والجهل في الشرق على الشعب تنصروا استعمارا
لو بكفى ملأت دور المحامين عن المرأة الجهولة نارا
إزدراء بالدين أن يُحسب الدينُ بجهل وخزية أمّارا
وبلاء الأديان في الشرق هوج باسمه ساموا النفوس احتكارا
تزدري رغبة الجماهير في الشرق وتنسى إن خالفت أنفارا

أسلموا أمرهم إلى ((الشيخ)) عمياناً وساروا يقفونه حيث سارا
وامتطاهم حتى إذا نال بغياً خلع اللجم عنهم والعذارا
نبذ القشر نحوهم باحتقار وحوى اللب وحده والخيارا
دفعوا غنمهم إليه وراحوا يحملون الأثقال والأوزارا
عاطلات نساؤهم ونساء ((الشيخ)) حلين لؤلؤاً ونضارا
وإذا جاءت الشدائد نثري قدّموهم وولّوا الأدبارا

حالة تلهب الغيارى وتستصرخ غلب الرجال والأحرارا
إن بين الضلوع ما استغلوه بتضليلهم قلوباً حرارا
يعور الشعب كي يسير إلى المجد حيثاً وكى يوقى العشارا
حاكم مطلق يكون بما يعرف من خير شعبه مختارا
يتحرى هذي الشنائع في الشرق بنفس لا ترهب الأخطارا
إن يطعم كان مشفقاً وإذا ما أوجوا كان فاتكاً جزارا
أو فلا يرتجى نهوض لشعب إن يقدم شبراً يعق أشبارا

بغداد عام ١٩٢٩

الرجعيون

(معارضة الرجعية لافتتاح مدرسة البنات)

نظمت بعيد قصيدة ((علموها)) وذلك بعد أن تطورت معارضة بعض العلماء لفتح مدرسة للبنات في النجف إلى مقاومة شديدة وقد ارتدت على العادة رداء الدين.

نشرت في جريدة ((العراق)) بعنوان ((ليقرأها الرجعيون وقدمتها:

((نشرنا قصائد عدة للشاعر المبدع الجريء محمد مهدي أفندي الجواهري وما كنا ننشر قصيدة له رائعة إلا كان يتحفنا بقصيدة أشد روعة وأكثر جمالاً مما يدل على أن هذا الشاعر الجريء يمشي في مصاف كبار الشعراء في الشرق العربي ولقد أتحفنا حضرته بالقصيدة التالية وهي تكاد تكون آية من الآيات وغرة في جبين الشعر لما فيها من المباني الجزلة والمعاني الرائعة والديباجة الخلابة.

واختتم التقديم بالقول:

((وإننا ننشرها للقراء كنموذج عالي للشعر الحي الخالد)).

سَتَبْقَى طَوِيلًا هَذِهِ الْأَزْمَاتُ إِذَا لَمْ تُقْصِرْ عُمْرَهَا الصَّدَمَاتُ
 إِذَا لَمْ يَنْلُهَا مُصْلِحُونَ بِوَأَسْلُ جَرِيئُونَ فِي مَا يَدْعُونَ كُفَاءً
 سَيَبْقَى طَوِيلًا يَحْمِلُ الشَّعْبُ مُكْرَهَا مَسَاوِيءَ مَنْ قَدْ أَبَقَتْ الْفَتَرَاتُ
 قُبُودًا مِنَ الْإِرْهَاقِ فِي الشَّرْقِ أَحْكَمْتُ لَتَسْخِرَ أَهْلِيهِ، لَهَا حَلَقَاتُ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّعْبَ جُلَّ حَقُوقِهِ هِيَ الْيَوْمَ لِلْأَفْرَادِ مُمْتَلِكَاتُ؟
 مَشَتْ كُلُّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً سِرَاعًا وَقَامَتْ دُونَهُ الْعَقَبَاتُ
 غَدًا يُنْمَعُ الْفَتَيَانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا كَمَا الْيَوْمَ ظَلَمَّا تُنْمَعُ الْفَتَيَاتُ

أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمِدُونَ أَنَا تَهَمُّ وَمَا تُحَدِّثُ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاءُ
 بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذَا الْخَطِيئِ تُدْرِكُ الْمُنَى بِطَاءٍ لِعُمْرِي مِنْكُمْ الْخُطُواتُ
 وَمَا أَدْعِي أَنْ التَّهَوُّزَ صَالِحٌ مَتَى صَلَّحْتُ لِلنَّاهِضِ النِّزَوَاتُ؟
 أُرْجِي خَلِيسًا أَنْ تَقُومَ جَرِيئَةً لَصَدِّ أَكْفِ الْهَادِمِينَ بِنَاءُ
 أُرِيدُ أَكْفًا مُوجَعَاتٍ خَفِيفَةً عَلَيْهَا - مَتَى مَا شَاءَتْ - اللَّطَمَاتُ
 فَإِنْ يَنْعَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ مَقَالَتِي وَمَا هِيَ إِلَّا لَوْعَةٌ وَشِكَاةُ
 فَقَدْ أَقْنَنْتُ نَفْسِي وَلَيْسَ بَضَائِرِي بَأَنِّي فِي تِلْكَ الْعُيُونِ قِذَاءُ
 وَمَا النِّقْدُ بِالْمَرْضَى نَفُوسًا ضَعِيفَةً تَهْدُ قَوَاهَا هَذِهِ الْحَمَلَاتُ
 وَهَبْنِي مَا صَلَّتْ عَلَيَّ مَعَاشِرُ ثُبَاعٌ وَتُشْرَى مِنْهُمْ الصَّلَوَاتُ
 فَلَوْ كُنْتُ بِمَنْ يَطْمَعُونَ بِمَا لِي لَعَادَتْ قَدَاسًا تَلَكُمُ اللَّعْنَاتُ
 دَعُوهَا لَغِيرِي عَلَّكُمْ تَحْلُبُونَهَا سَتُغْنِيكُمْ عَنْ مِثْلِي الْبَقَرَاتُ
 وَمَا هِيَ إِلَّا جَهْرَةٌ تُنْكَرُونَهَا سَتَأْتِيكُمْ مِنْ بَعْدِهَا جَمَرَاتُ
 قَوَارِصُ قَوْلٍ تَقْتَضِيهَا فِعَالُكُمْ وَتَدْعُو «الْهَاتِ» الْقَارِصَاتِ «هَنَاتُ»

وإن يُغضبِ الغاوينَ فضحُ معاشِرِ
فما كان هذا الدينُ لولا ادّعاؤهم
أتجبي ملايينَ لفردٍ وحوْلَهُ
أعجبُ منها أنَّهُم يُنكرونها
قذَى في عيونِ المصلحينَ شواهِقُ
وفي تلكِ مِبطانُونِ صُغُرُ نفوسِهِم
ولو كانَ حُكْمُ عادِلٌ لتهدمتُ
على بابِ ((شيخِ المسلمين)) تكدّستُ
هَمُّ القومِ أحياءُ تقولُ كأنَّهُم
يَلْمُ فتاتُ الحُبْرِ في التُّربِ ضائعاً
بيوتٌ على أبوابها البؤسُ طافحُ
هَمُّ اليومِ فيه قادةٌ وهُداهُ
لِتمتازَ في أحكامهِ الطبقاتُ
أُوفُ عليهمَ حَلَّتِ الصّدقاتُ؟
عليهمَ وهمَ لو يُنصفونَ جُباهُ
بدتُ حولها مغمورةٌ خرباتُ
وفي هذه غرثى البطونِ أباهُ
على أهلها هاتيكُمُ الشرفاتُ
جِيعٌ علَّتْهم ذِلَّةٌ وعُراهُ
على بابِ ((شيخِ المسلمين)) مواتُ
هناكُ وأحياناً تُمَصُّ نواهُ
وداخلهنَّ الأنسُ والشّهواتُ

تحكّم باسمِ الدينِ كلُّ مذمّم
وما الدينُ إلّا آلهُ يشهرونها
وخلفَهُمُ الأسباطُ تترى ومنهُمُ
فهل قضتِ الأديانُ أن لا تُذيعها
يُدي بيدِ المستضعفينَ أريهم
أريهم على قلبِ ((الفراتِ)) شواهِقاً
بنْتُهُنَّ أموالُ اليتامى وحوْلها
بقايا أناسٍ خلفوها مواردُ
ومُرْتكِبٍ حَفَّتْ به الشُّبهاتُ
إلى غرضٍ يقضونه وأداةُ
لُصوصٍ ومنهم لاطةٌ وزُناةُ
على الناسِ إلّا هذه النّكراتُ
من الظُّلمِ ما تعيا به الكلماتُ
ثِقَالاً تَشْكِي وطأهُنَّ ((فُراتُ))
يكادُ يبين الدمعُ والحسراتُ
تسدُّ لهو الوارثينَ وماتوا

بغداد عام ١٩٢٩

فلسطين الدامية

٤٥٥

ديوان الجواهري

لو استطعتُ نشرتُ الحزنَ والألماً على فلسطينَ مسوداً لها علماً
ساعاتٍ نهاري يقظاناً فجائعُها وسؤنَ ليلي إذ صوّرنَ لي حُلماً
رمتُ السكوتَ حداداً يومَ مَضَرِعيها فلو تُركتُ وشاني ما فتحتُ فما
أكلتُ عصفَتَ بالشعبِ عاصفةً هوجاءُ نستصرخُ القرطاسَ والقلمَ؟
هل أنقذَ الشامَ كُتّابٌ بما كتبوا أو شاعرٌ صانَ بغداداً بما نظما
فما لقلبي جياشاً بعاطفةٍ لو كان يصدقُ فيها لاستفاضَ دما
حسبَ العواطفِ تعبيراً ومنقصةً أن ليس تضمنُ لا بُراءَ ولا سقما
ما سرّني ومضاءُ السيفِ يُعوزني أني ملكتُ لساناً نافثاً صرّما
دم يفور على الأعقابِ فائزُهُ مهانةً أرتضي كفواً له الكلما

فاضت جروحُ فلسطينَ مذكّرةً جرحاً بأندلُسٍ لئلاّ ما التاماً
وما يقصّرُ عن حزنٍ به جدهُ حزنٌ تجدّده الذكرى إذا قدّما
يا أمةً غرّها الإقبالُ ناسيةً أن الزمانَ طوى من قبلها أمما
ماشت عواطفها في الحكمِ فارتطمتُ مثل الزجاجِ بحدّ الصخرة ارتطما
وأسرعتُ في خطاها فوق طاقتها فأصبحتَ وهى تشكو الأينَ والسأما
وغرّها رونقُ الزهراءِ مكبرةً أن الليالي عليها تخلعُ الظلّما
كانت كحاملةٍ حتّى إذا انتبهتُ عضّت نواجذها من حُرقةٍ ندما
سيلحقون فلسطيناً بأندلُس ويعطفون عليها البيتَ والحرما
جزاء ما اصطنعتُ كفّالكِ من نعم بيضاء عند أناسٍ تجحدُ النعما

يا أمةً لخصومِ ضدّها احتكمت كيف ارتضيتِ خصيماً ظالماً حكماً
بالمدفعِ استشهدي إن كنتِ ناطقةً أو رُمت أن تُسمعي من يشتكي الصمما
وبالمظالمِ رُدّي عنك مظلمةً أو لا فأحقرُ ما في الكونِ من ظلّما

سلي الحوادث والتأريخ هل عرفا
لا تطلبني من يد الجبار مَرَحمةً
باسم النظامات لاقت حتفها أمم
لا تجمع العدل والتسليح أنظمة
من حيث دارت قلوب الثائرين رأيت
أقسمت بالقوة المعتز جانبها
أن التسامح في الإسلام ما حصلت
حلت لها نجدة الأغيار فاندفعت
في حين لم تعرف الأقوام قاطبة
أعطت يداً لغريب بات يقطعها
أفنيته نفسك فيما ازددت من كرم
لابد من شيم غر فإن جلبت

حقاً ورأياً بغير القوة احترما
ضعي على هامة جبارة قدما
للفوضوية تشكو تلكم النظما
إلا كما جمعوا الجزار والغنا
من السياسة قلباً بارداً شبيها
ولست أعظم منها واجداً قسماً
منه العروبة إلا الشوك والألما
لهم تزجني حقوقاً جمّة ودما
عند التزاحم إلا الصارم الحزما
وكان يلثمها لو أنه لطمها
ألا تكفين عن أعدائك الكرماً؟
هلكاً فلا بد أن تستأصلي الشيا

فيا فلسطين إن نعدمك زاهرة
سور من الوحدة العصماء راعهم
هزت رزاياك أوتاراً لناهضة
ثار الشباب ومن مثل الشباب إذا
يأبى دم عربي في عروقهم
في كل ضاحية منهم مظاهرة
أفدي الذين إذا ما أزمة أزمّت
وحدث منهم الأديان فارقة
لا يابسون بإرهاب إذا احتدموا

فلمست أول حق غيلة هضما
فاستحدثوا ثغرة جوفاء فانثلما
في الشرق فاهتجن منها الشجوة لا النغما
ريع الحمى وشواظ الغيرة احتدما
أن يصبح العربي الحر مهتضما
مؤخدين بها الأعلام والكليما
في الشرق حزناً عليها قصّروا اللما
والأمر مختلفاً والرأي مقتسما
ولا بمصرعهم إن شعبهم سلما

بغداد عام ١٩٢٩

النزعة أو ليلة من ليالي الشباب

كم نفوسٍ شريفةٍ حسّاسةٌ سحقوهنَّ عن طريقِ الخساسةِ
وطباعٍ رقيقةٍ قابِلتهنَّ الليالي بغِلظةٍ وشراسةِ
ما لضعفٍ شكوايَ دهري فما أنكرُ بأسِي وإن تحاميتُ بأسه
غيرَ أني أردتُ للنُججِ مقياساً صحيحاً فلم أجذُ مقياسه!
وقديماً مسّتْ شكوكُ عقولاً وأطالتْ من نابِهٍ وسواسه
استغلّتْ شعورها شعراءُ لم تُنشني ظرافةً وكياسه
وارتمتْ بي إلى المطاوحِ نفسٌ غمرتها انقباضةٌ واحتراسه
عدّتْ النبلَ رابحاً واستهانتْ من نعيمٍ ولذّةٍ إفلاسه
كلّما أوشكتْ تبلى من الإخلاص والصدقِ عاودتها انتكاسه
تعرّسَ المرءُ حارماً نفسه كلَّ اللذاتِ قانعاً بالقداسه

إستفيقي لا بدّ أن تُشبهِي الدَّهرَ انقلاباً وأن تحاكي أناسه
لكِ في هذه الحياةِ نصيبٌ إغنيهِ انتهازةٌ وافتراسه
فالليالي بلهاءٌ فيها لمن يُحسنُ إيساسه لها إسلاسه
مُخلفاتٍ حلبتها وأناسٌ حلبوها درّارةً بسّاسه

كلُّ هذا ولسْتُ أنكرُ أنّي من لذاتِها اختلستُ اختلاسه
ألفُ إجحاشةٍ من الدَّهرِ قد غطّتْ عليها في ليلةٍ إيناسه
ليلةٌ تُغضبُ التقاليدَ في الناسِ وتُرضي مشاعراً حسّاسه

من ليالي الشباب بَسَامَةٌ إِنَّ لِيَالِيَّ جُلُهَا عَبَّاسُهُ
ومعي صاحبٌ تَفَرَّسْتُ فِيهِ كُلَّ خَيْرٍ فَلَمْ تَخْنِي الْفِرَاسُهُ^(١)
أُرِيحِي مَلَأُ الطَّبِيعَةَ مِنْهُ عِزَّةً وَانْتِبَاهَةً وَسَلَاسَةً
خِذْنُ هَوٍ... إِنِّي أَحَبُّ مِنَ الشَّاعِرِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ انْغِمَاسُهُ
عَرَّقْتُ فِيهِ طَيِّبَاتٌ وَيَأْبَى الْمَرْءُ إِلَّا عَرَوْقَهُ الدَّسَّاسُهُ
وَلَقَدْ رَزَّزْتُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيَالِيٍّ فَمَا ذَمَمْتُ مَسَاسُهُ

كَانَ مَقْهَى ((رَشِيد)) مَوْعِدُنَا عَصراً وَكُنَّا مِنْ سَابِقِ أَحْلَاسُهُ^(٢)
مَجْلِسُ زَانَةِ الشَّبَابِ وَأَخْلَوْا ((لِلزَّهَاوِيِّ)) صَدْرُهُ وَالرِّيَاسَةُ
هُوَ إِنْ شِئْتَ مَجْمَعٌ لِلدُّعَابَاتِ وَإِنْ شِئْتَ مَعْهَدٌ لِلدِّرَاسَةِ
ثُمَّ كَانَ الْعِشَاءُ فَانْصَرَفَ الشَّيْخُ كَسِيحاً مَوْدَعاً جُلَاسُهُ
وَافْتَرَقْنَا نُرِيدُ ((مَهْرَانَ)) نَبْغِي وَرَطَّةً فِي لُذَازَةٍ وَارْتِكَاسُهُ^(٣)
تَارَةً صَاحِبِي يُصَفِّقُ كَأْسِي وَأَنَا تَارَةً أَصَفِّقُ كَاسَهُ
وَجَدِيرٌ أَنْ يُمْتَنَعَ الْمَرْءُ بِالْخَمْرِ نَفْساً وَأَنْ يُثْقَلَ رَاسُهُ
قَبْلَ أَنْ تَهْجُمَ اللَّيَالِي عَلَيْهِ فَتُعَرِّي مِنَ الصَّبَا أَفْرَاسُهُ
أَثَرَاهُ عَلَى حَيَاةٍ قَدِيرَا بَعْدَ مَا يُودَعُونَهُ أَرْمَاسُهُ؟

(١) صاحبه هو المرحوم عبد الرزاق الناصري - الشاعر الصحفي.

(٢) هو مقهى شعبي جميل يطل على دجلة يضم جماعات من الشعراء والأدباء البارزين وفي مقدمتهم ((الزهاوي)).

(٣) مهران: حانة شراب كانت في وقتها فريدة بجودة خورها ونظافة محلها ولطافة ذوق صاحبها ((مهران)).

فاحتسنا كأساً وأُخرى فدبّت سورة لم تدع بنا إحساسه
وهذينا بما استكنت به النفس وجاشت غريزة خناسه
لا ((الحسينُ الخليعُ)) يبلغُ شأوينا ولا ((مسلمُ)) ولا ذو ((النّواسة))
قال لي صاحبي الظريفُ وفي الكفّ ارتعاشُ وفي اللسانِ انجباسه:
أين غادرت ((عمّة)) واحتفاظاً قلتُ إنّي طرحتها في الكُناسة

ثم عَجْنَا لمسرح أسرجته كلُّ رَوْدٍ وُضَاءٍ كالْمَاسَةِ^(١)
حدّوه بكلِّ فينانةٍ خضراءٍ بالزهرِ عطّرت أنفاسه
ولقد زادت الوجوه به حُسناً ولطفاً للكهرباء انعكاسه
ثم جسّوا أوتارهم فأثرن اللهو أيدي قديرةٍ جساسه
وتنادوا بالرقص فيه فأهوى كلُّ لَدْنٍ للدنة مَيَّاسه
خُطّةٌ للعواطفِ الهوجِ فاقتُ خُطّةُ الحربِ جذوةٌ وحماسه
أغرمَ الجمعُ واستجاب نفوساً تتقاضاهُ حاجةٌ مَسَّاسه
ناقلاً خطوه على نغمة العود وطوراً مرجفاً أعجاسه
وتلاقى الصدران.. واصطكت الأفخاذُ حتّى لم تبقَ إلّا لِمَاسه!!
حرّكوا ساكناً فهبَّ رفيقي لاساً باليدين منه لباسه!!
ثمّ نادى مُعربداً ليحيّ الله مغناك وليدم أعراسه

وخرجنا منه وقد نصلّ الليلُ وهَدَّتْ إغفاءةُ حُرَاسه
ما لبغدادَ بعد هاتيكُم الضجّة تشكو أحيائها إخراسه

(١) هو ملهى ليالي الصفا.

واقترحنا بيتاً تعود أن نطرق في الليل خلسة أحلاسهُ
وأخذنا بكفّ كل مهارة رنقت في الجفون منها نعاسهُ
لم أطل سوماها وكنت متى يعجبني الشيء لا أطيل مكاسهُ:
قلت إذ عيرتني الضعف لما خذلتني عنها يد فراسهُ
لست أعيان فاتي أخذي الشيء بعنفٍ عن أخذه بالسياسة
ثم كانت دعابة فمُجون فارتخاء فلذة! فانغماسهُ!
وعلى اسم الشيطان دُست عضوضاً! ناتيء الجنبتين! حلو المداسهُ!
لبدأ تنهل اللبانهُ منه! لا بحزنٍ صرس ولا ذي دهاسهُ!
وكان العبير في ضرم اللذة يُذكي بنفحة أنفاسهُ!
وكان الثقل المؤرجح بين الصدر والصدر يستطيب مراسهُ
وكان ((البديع)) في روعة الأسلوب يُملي ((طباقه)) و ((جناسهُ))

واستجدت من بعد تلك أمور كلهن ارتيابةً والتباسهُ
عرّفتنا معنى السعادة لما أن وضعنا حداً بها للتعاسهُ
بسم الدهر بُرهة وتجافي بعدها كاشراً لنا أضراسهُ
صاحبي لا ترعك خسة دهر ((كم نفوس شريفة حساسة))

بغداد عام ١٩٢٩

ساعة مع البحتري في سامراء

٤٦٥

ديوان الجواهري

أَسْدَى إِلَيَّ بِكَ الزَّمَانُ صَنِيعَا فحمدتُ صيفاً طيباً وربيعا
أَجَلَلْتُ مَنْظَرَكَ الْبَدِيعَ وَمَنْظَرُ أَجَلَلْتُهْ لَمْ لَا يَكُونُ بَدِيعَا
دَرَجَ الزَّمَانُ بِهَا سَرِيعاً بَعْدَ مَا نَاشِدَتْهُ إِلَّا يَمُرُّ سَرِيعَا
قَرَرْتُ بِمَرَاةِهَا الْعَيُونَ وَقَرَحَةً لِلْعَيْنِ إِلَّا تَبْصِرَ الْمَسْمُوعَا
وَنَعِمْتُ أُسْبُوعاً بِهَا وَسَعِيدَةً سَنَةً نَعِمْتُ خِلَالَهَا أُسْبُوعَا
أَلْفَيْتُ حَسَنَ الشَّاطِئِينَ مَرْقِيقاً غَضّاً وَخَصَبَ الشَّاطِئِينَ مَرِيعَا
وَأَضَعْتُ أَحْلَامِي وَشَرَحَ شَبِيبَتِي وَطَلَقْتَنِي فَوَجَدْتُهُنَّ جَمِيعَا
صَبَحَ أَغْرٌ وَلَيْلَةٌ جَذْلَانَةٌ يَبِضَاءُ تَهْزَأُ بِالصَّبَاحِ سُطُوعَا
وَالْبَدْرُ بِالْأَنْوَارِ يَمَلَأُ دَجَلَةً زَهَوَا وَيَبْعَثُ فِي النَفُوسِ خُشُوعَا
وَتَرَى ارْتِيَا حَا فِي الضُّفَافِ وَهَزَّةً تَعْلُو الرَّمَالَ إِذَا أَجَدَّ طُلُوعَا
وَجَرْتُ عَلَى الْحَصْبَاءِ دَجَلَةً فِضَّةً صُهِرْتُ هُنَاكَ فَمُوعْتُ تَمُوعَا
وَكَاثِمَا سَبَكُوا قَوَارِيرَا بِهَا مَضَّ السَّنَا فَتَصَدَّعَتْ تَصْدِيعَا
وَتَرَى الصَّخُورَ عَلَى الْجِبَالِ كَاثِمَا لَبَسْتُ بَهَنَ مِنَ الْهَجِيرِ دُرُوعَا

دُورُ الْخَلَائِفِ عَافَهَا سُمَارُهَا وَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهَا تَقْطِيعَا
دَرَجَتْ بِسَاحَتِهَا الْحَوَادِثُ وَانْبَرَى خَطْبُ الزَّمَانِ لَهَا فَكَانَ فَظِيعَا
حَتَّى شَوَاطِيءُ دَجَلَةٍ مَنَسَابَةٌ تَأْبَى تُشَاهِدُ مَنْظَرَا مَفْجُوعَا
أَبْتَثَهَا مَرِيئَةً وَلَطَالَمَا غَاظَلْتُ مِنْهَا حَسَنَهَا الْمَسْمُوعَا
وَلَقَدْ تَذَمُّ جَلَادَةٌ فِي مَوْقِفِ لِلنَّفْسِ أَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ جَزُوعَا

قصرُ الخليفة ((جعفر)) كيف اغتدى
وكم استقرَّ على احتقار طبيعة
ولقد بكيتُ وما البكاءُ بمرجع
زُر ساحة السجن الفظيع تجذبه
إنَّ الذين على حساب سواهم
رفعوا القصورَ على كواهل شعبيهم
ساسوا الرعيَّة بالغرور سياسةً
حتَّى إذا ما الشعبُ حرَّكَ باعه
بيد الحوادثِ فضَّة مصفوعاً^(١)
لم تأله التحطيم والتصديعا
ملكاً بشهوة مالكيه بيعا
ما يستثير اللوم والتقريعا
حلبوا مَلَذَّاتِ الحياة ضروعا
وتجاهلوا حقَّأله مشروعا
لا يرتضيها من يسوسُ قطيعا
فإذا هم أدنى وأقصرُ بوعا

ووقفتُ حيثُ البحريُّ ترقرتُ
أكبرتُ شاعرَ ((جعفر)) وشعوره
ولسْتُ في أبياته دعة الصَّبا
ولئن تشابهت المناسبُ أو حكى
فلكم تخالفُ في المسيلِ جداولُ
عبثَ ((الوليد)) بشرخ دهرٍ عابثٍ
ونما رفيعاً في ظلالِ خلائفٍ
لا عن بيوت المال كان إذا انتمى
أنفاسه فشفعتُهنَّ دُموعا
يستوجبُ الإكبارَ والترفيعا
ولداته والخاطرَ المجموعا
مطبوعُ شعري شعرة المطبوعا
فاضتُ معاً وتفجَّرتُ ينبوعا
وصبا فنالَ من الصبا ما أسطيعا^(٢)
في ظلهم عاش القريضُ رفيعا
يُقَصِّى ولا عن باهم مدفوعا

(١) جعفر: المتوكل.

(٢) الوليد: البحري، وفيه إشارة ضمنيه إلى شرح أبي العلاء المعري لديوان البحري الذي سماه ((عبث الوليد)).

قَدَرُوا لَهُ قَدْرَ الشُّعُورِ وَأَسْرَجُوا أَيْبَاتَهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ شَمُوعَا

ضَيْفَ الْعِرَاقِ نَعِمْتَ مِنْ خَيْرَاتِهِ وَحَمِدْتَ فِيهِ قَرَارَةً وَهَجُوعَا
إِنْ تُعَقِّدِ الْحَفَلَاتُ كُنْتَ مَقْدَمًا أَوْ تُنِيرِ الْأُمُرَاءُ كُنْتَ قَرِيعَا
وَأُظُنُّ أَنَّكَ لَوْ نَمَتُكَ رِبُوعُهُ لَشَكُوتَ مِنْهُ فِؤَادُكَ الْمَصْدُوعَا
وَلَكُنْتَ كَالشُّعْرَاءِ مِنْ أَبْنَائِهِ مِمَّنْ تُجْوهِلُ قَدْرَهُمْ فَأُضْيَعَا
لَكَ فِي ((التي)) رَاشَتْ جَنَاحَكَ رَفَقَةً لَوْلَا جَلَادُهُمْ لَمَاتُوا جُوعَا^(١)

^(١) الضمير في البيت عائد الى بغداد وراشت جناحه كناية عن إسباغها الحياة الرغيدة عليه.

جريني

جربيني من قبل أن تزدريني وإذا ما ذممتني فاهجريني
ويقيناً ستندمين على أنك من قبل كنت لم تعرفيني
لا تقيسي على ملامح وجهي وتقاطيعه جميع شؤوني
أنالي في الحياة طبع رقيق يتنافى ولون وجهي الحزين
قبلك اغترّ معشر قرأوني من جبين مكّّل بالغضون
وفريق من وجنتين شحوبين وقد فانت الجميع عيوني
إقربيني منها ففيها مطاوي النفس طراً وكل سرّ دفن
فيهما رغبة تفيض وإخلاص وشك مخامر لليقين
فيهما شهوة ثور وعقل خاذل تارة وطوراً معيني
فيهما دافع الغريزة يغريني وعدوى وراثية تزويني

أنا ضدّ الجمهور في العيش والتفكير طراً وضدّه في الدين
كل ما في الحياة من متع العيش ومن لذة بها يزدهيني
التقاليد والمداواة في الناس عدو لكل حُرّ فطين
أنجديني: في عالم تنهش ((الدُّوبان)) لحمي فيه.. ولا تُسلميني
وأنا ابن العشرين من مرجع لي إن -تَقَضْتُ- لذاذة العشرين

إسمي لي تبسم حياتي وإن كانت حياة مليئة بالشُّجون
أنصفيني تكفري عن ذنوب الناس طراً فإثم ظلموني

إعطفي ساعةً على شاعرٍ حُرِّ رقيقٍ يعيشُ عيشَ السجينِ
أخذتني الهمومُ إلا قليلاً أدركيني ومن يديها خذيني

ساعةً ثم أنطوي عنك محمولاً بكُره لظلمةٍ وسكونٍ
حيث لا رونقُ الصباحِ يُحييني ولا الفجرُ باسمًا يُغريني
حيثُ لا ((دجلةُ)) تلاعبُ جنيها ظلالُ النخيلِ والزيتونِ
حيثُ صحتي لا يملكون مَواساتي بشيءٍ إلا بأن يكونني
متعيني قبلَ المماتِ فما يُدريك ما بعده وما يُدريني
وهبي أن بعد يومٍ يوماً يقتضيني مُخلفاتِ الدُّيونِ
فمن الضامنونَ أنك في الحشرِ إذا ما طلبتني تجديني
فستُغرينَ بالمحاسنِ رُضواناً فيلقيك بين حُورٍ وعينِ
وأنا في جهنّمٍ مع أشياخٍ غُواةٍ بغيتهم غمروني
أخرجتني طبيعتي وبآرائهم ازددتُ بِلَّةً في الطينِ
بالشفيع ((العريان)) استملكي خيرَ مكانٍ وأنت خيرُ مكينِ
ودعيني مستعرضاً في جحيمي كلَّ وجهٍ مُذمَّمٍ ملعونِ
وستُشجينَ إذ ترين مع البُزل القناعيس حيرةَ ابن اللبون^(١)

(١) البزل: جمع ((بازل)) وهو الجمل الذي شق نابه وبزل و((القناعيس)) الإبل القوية الشديدة وفي

البيت إشارة إلى قول القائل:

و((ابن اللبون)) إذا ما لَزَّ في قَرْنٍ لم يستطع صولة ((البزل القناعيس))

عن يساري أعمى المعرّة و ((الشيخ)) الزهاويُّ مُقعداً عن يميني^(١)
إئذني لي أنزل خفيفاً على صدرك عذبا كقطرة من معين
وافتحني لي الحديث تستملحي خفّة روعي وتستطبي مجوني
تعرفني أنّني ظريفٌ جديرٌ فوق هذي ((النهود)) أن ترفعيني
مؤنسٌ كابتسامةٍ حولٍ تغريكِ جذوبٌ كسحرٍ تلك العيون

إسمح لي بقبلةٍ تملكيني ودعي لي الخيار في التعيين
قرّيني من اللذّة المِسْها أريني بداعة التكوين
أنزليني إلى ((الحضيض)) إذا ما شئت أو فوق ربوة فضعيني
كلُّ ما في الوجود من عقباتٍ عن وصولي إليك لا يثيني

إحمليني كالطفل بين ذراعيك احتضاناً ومثله دّليني
وإذا ما سُئلت عني فقولي ليس بدعاً إغاثة المسكين
لست أمّا لكنّ بأمثال ((هذا)) شاءت الأمّهات أن تبتليني
أشتهي أن أراك يوماً على ما ينبغي من تكشّفٍ للمصّون
غير أنّي أرجو إذا ازدهت النفس وفاض الغرام أن تعذرني

(١) في البيت إشارة إلى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي، وكان صاحب الديوان من أخص
الشباب العراقي به وأكثرهم ملازمة له. وللزهاوي نكتة معروفة حول هذا البيت هو قوله: شدا
يعجبني فيه أنّ الجواهري لم يكتف بإنزالي في جهنم وإنّما جعلني مقعداً فيها أيضاً وكان الزهاوي
مصاباً بشلل خفيف في رجله.

((الطميني)) اذا مجُنتُ فعمداً أتحرّى المجونَ كي تُلطميني
وإذا ما يدي استطلتُ فمن شَعركِ لُطفاً بخُصلةٍ قيديني
ما أشدَّ احتِياجَ الشاعرِ الحساسِ يوماً لساعةٍ من جنونٍ

بغداد عام ١٩٢٩

الفهرس

٥	الامر الوزاري
٧	مقدمة السيد الوزير د. حسن ناظم
١١	الجواهري.. من المولد حتى النشر في الجرائد... د. علي جواد الطاهر
٥١	على قارعة الطريق
٦٣	أمنن علي
٦٥	يا خمرقي
٦٦	العزم وأبناءؤه
٦٨	رثاء شيخ الشريعة
٦٩	ثورة العراق
٧٧	الثورة العراقية
٨٤	الليل والشاعر
٨٥	الشاعر المقبور
٨٧	شكوى وآمال
٨٩	صحو بعد سكر
٩٣	منى شاعر
٩٧	في الليل
٩٨	مبادلة العواطف
٩٩	يا شعب
١٠٠	بين القلب والاستقلال

١٠١	فطار الحمام
١٠٢	يا يراع الحر
١٠٣	جناية الأمانى
١٠٧	بين الأحبة والبدر
١٠٨	بلية القلب الحساس
١٠٩	بين النجف وأمريكا
١١١	ابن الشام
١١٣	ذكرت الوثام
١١٧	ما هذه النفوس قداح
١١٩	تحية الملك والانتداب
١٢٣	العلم والوطنية
١٢٧	خل النديم
١٣١	استعطاف الأحبة
١٣٥	لبنان في العراق
١٣٩	الوحدة العربية الممزقة
١٤٣	أمين الريحاني
١٤٨	في سبيل الكتاب
١٤٩	يا أحباي
١٥٣	هجرت الديارا
١٥٥	الشباب المرّ
١٥٩	الروضة الغناء
١٦٤	النقمة
١٦٧	أمنعم القلب الخلي
١٧١	النشيد الخالد

١٧٢	سلام على أرض الرصافة
١٧٣	لا تفكوا إيساره
١٧٤	الشاعر السليب
١٧٦	في تقریظ دیوان ابن الخياط
١٧٧	أعیدکم من کذبتین
١٧٩	صوت من النجف
١٨٣	على أطلال الحيرة
١٨٧	وخزات
١٩١	مستهام
١٩٢	رسالة
١٩٣	تذكر العهد
١٩٧	يا فراقی
١٩٩	النجوى
٢٠٦	عاطفات الحب
٢٠٧	في بغداد
٢١١	عدّ عنك الكؤوس
٢١٧	على مجلسي
٢١٨	الشاعر
٢٢٠	كذب الخائفون
٢٢١	سبحان من خلق الرجالا
٢٢٥	بم أستهل؟
٢٣١	على حدود فارس
٢٣٣	الذكرى المؤلمة
٢٣٥	على كرنند

٢٣٧	الريف الضاحك
٢٤١	بين قطرين
٢٤٥	الأحاديث شجون
٢٥١	وفي الربيع
٢٥٧	وشاح من الورد
٢٦١	سيكفيك رسمي
٢٦٣	على الخالصي
٢٦٨	بعد الفراق
٢٦٩	سيصدني وأصده
٢٧١	سجين قبرص
٢٧٥	تحت ظل النخيل
٢٧٧	الساقي
٢٧٩	على ذكرى الربيع
٢٨٣	بغداد
٢٨٥	ليت الذي بك في وقع النواذب بي!
٢٩١	شوقي وحافظ
٢٩٥	بعد المطر
٢٩٧	درس الشباب أو بلدي والانقلاب
٣٠٣	في الثورة السورية
٣٠٧	عند الوداع
٣٠٩	ويلي لأمة يعرب
٣١٤	من النجف إلى العمارة
٣١٧	في ذكرى الخالصي
٣٢٣	ذكرى دمشق الجميلة

٣٢٧	إلى روح العلامة الجواهري
٣٣٣	البادية في إيران
٣٣٧	على دربند
٣٣٩	بريد الغربية
٣٤٣	في طهران
٣٤٤	الخریف في فارس
٣٤٥	الربيع
٣٤٧	من كنوز فارس
٣٥٩	اعتراقات
٣٦١	شدة لندن
٣٦٣	بغداد على الغرق
٣٦٩	تحية الوزير
٣٧٣	الوطن والشباب
٣٧٧	نزوات
٣٨١	هلموا وانظروا
٣٨٣	الخطوب
٣٨٥	شهيد العرب
٣٩٠	النفثة
٣٩٣	غازي
٣٩٧	في الطيارة أو على أبواب المفاوضات
٤٠١	على سعد
٤٠٥	جائزة الشعور
٤٠٩	من لندن إلى بغداد
٤١٣	ثورة الوجدان

٤١٧	لولا
٤١٩	ضحايا الانتداب
٤٢٣	أيها المتمردون
٤٢٧	الأدب الصارخ
٤٣١	الشاعر والعود
٤٣٥	صفحة من الحياة الشعبية أو بيت يتهدم
٤٤١	أمان الله
٤٤٧	علموها
٤٥١	الرجعيون
٤٥٥	فلسطين الدامية
٤٥٩	النزغة أو ليلة من ليالي الشباب
٤٦٥	ساعة مع البحري في سامراء
٤٧١	جربيني
٤٧٧	الفهرس

ملحق للباحثين

طبغات ديوان الجواهري

- ١- حلبة الأدب (أول مجموعة في العشرينات)
- ٢- طبعة ١٩٢٨
- ٣- طبعة ١٩٣٥
- ٤- طبعة ١٩٤٩
- ٥- طبعة ١٩٥٠
- ٦- طبعة ١٩٥٣
- ٧- طبعة ١٩٥٧
- ٨- طبعة ١٩٦٠
- ٩- طبعة ١٩٦١
- ١٠- بريد الغربية ١٩٦٥
- ١١- طبعة ١٩٦٧
- ١٢- طبعة ١٩٦٨
- ١٣- طبعة ١٩٦٩
- ١٤- خلجات ١٩٧١
- ١٥- بريد العودة
- ١٦- طبعة وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٧٣ - ١٩٨٠
- ١٧- طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية ١٩٧٩ - ١٩٨٤
- ١٨- طبعة دار ((العودة)) ١٩٨٢
- ١٩- مختارات ((الجواهري في العيون من أشعاره)) - دار ((طلاس)) ١٩٨٦

الجزء الاول

المراجع وتاريخ النشر	القصيدة
١٦ ج ٧، ١٨ ج ٤	أمن علي
١٦ ج ٧، ١٨ ج ٤	يا خمرقي
جريدة ((الاستقلال)) العدد ٤٠ في ٢٦ / ١ / ١٩٢١، ١٦ ج ١	العزم وأبناءؤه
جريدة ((الاستقلال)) العدد ٤١ في ٢٨ / ١ / ١٩٢١، ١٦ ج ١، ١٨ ج ١	رثاء شيخ الشريعة
٣، ٢ (بعنوان ((بين الماضي والحاضر.. الثورة العراقية)))، ١٦ ج ١، ١٨ ج ١	ثورة العراق
مجلة ((العرفان)) ج ٧، مجلد ٦، نيسان ١٩٢٢ بعنوان ((ثورة العراق))، ٢، ٣، ٦ ج ٩، ٢، ١١، ١٦ ج ١٧، ١٨ ج ١	الثورة العراقية
مجلة ((العرفان))، ٢ (نشرت في كلا المرجعين ضمن قصيدة ((الثورة العراقية))، ١٦ ج ١، ١٨ ج ١، ١٩ ج ١	الليل والشاعر

الشاعر المقبور	جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٥ في ٥ / ٥ / ١٩٢١، ج ١، ١٨ ج ١
شكوى وآمال	جريدة ((العراق)) في ١٦ / ٦ / ١٩٢١، ج ١٨، ج ١
صحو بعد سكر	جريدة ((لسان العرب)) العدد ٢٥ في ٢٦ / ٥ / ١٩٢١، ج ١٨، ج ١
منى شاعر	جريدة ((العراق)) العدد ٣٦٧ في ٨ / ٨ / ١٩٢١، ج ١٨، ج ١
في الليل	جريدة ((لسان العرب)) في ٩ / ٩ / ١٩٢١، ج ١٨، ج ١
مبادلة العواطف	١٦، ٢ ج ١٨، ج ١
يا شعب	١٦، ٢ ج ١٨، ج ١
بين القلب والاستقلال	مجلة ((العرفان)) ج ١، مجلد ٧ تشرين الاول ١٩٢١، ج ١٦، ج ١، ١٨ ج ١
فطار الحمام	جريدة ((الرافدان)) العدد ٢٠ في ٢٤ / ١٠ / ١٩٢١، ج ١٦، ج ١، ١٨ ج ١
يا يراع الحر	جريدة ((الرافدان)) العدد ٢٤ في تشرين الاول ١٩٢١، ١٦، ٢، ج ١٨، ج ١
جناية الأماني	مجلة ((العرفان)) ج ٢، مجلد ٧ في تشرين الثاني ١٩٢١، ١، ٢، ١٦ ج ١٨، ج ١، ١٩
بين الأحبة والبدر	جريدة ((لسان العرب)) العدد ٩٤ في ١٥ / ١١ / ١٩٢١، ج ١٨، ج ١

جريدة ((لسان العرب)) العدد ٩٩ في ١١ / ١١ / ١٦، ١٩٢١	بلية القلب الحساس
ج ١٨، ١ ج ١	
جريدة ((لسان العرب)) العدد ١٠٤ في ١٨ / ١١ / ١٩٢١، ١	بين النجف وأمريكا
١٦، ١١، ٢ ج ١٨، ١ ج ١	
جريدة ((لسان العرب)) العدد ١٣٣ في ٢٤ / ١٢ / ١٩٢١،	أبن الشام
١٦ ج ١٨، ١ ج ١	
مجلة ((العرفان)) ج ٤، مجلد ٧ في كانون الثاني ١٩٢٢ بعنوان	ذكرت الوثام
((أيا ليل)) مجلة ((الهلال)) المصرية ج ٩ في حزيران ١٩٢٢،	
جريدة ((المفيد)) العدد ٦٢ في ٢٨ / ٦ / ١٩٢٢، ١، ٢، ٣، ١٦،	
ج ١٨، ١ ج ١	
مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ٧ في شباط ١٩٢٢، جريدة	ما هذه النفوس قداح
((لسان العرب)) العدد ١٧١ في ١٧ / ٢ / ١٩٢٢ بعنوان	
((أحبابنا))، ٢ (غير كاملة)، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ١	
جريدة ((الرافدان)) أول عيد الفطر ١٩٢٢، ١، ٢، ٣، ١٦ ج ١،	تحية الملك والانتداب
١٨ ج ١	
جريدة ((دجلة)) العدد ١٤٤ في ٣٠ / ٤ / ١٩٢٢، ١٦ ج ١،	العلم والوطنية
١٨ ج ١	
١٦ ج ١، ١٨ ج ١	خل النديم
مجلة ((اليقين)) العدد الثالث في ١٢ / ٣ / ١٩٢٢، ١، ٢، ١٦،	استعطاف الأحبة
ج ١٨، ١ ج ١	

لبنان في العراق	جريدة ((المفيد)) العدد ٣٠ في ١٦ / ٥ / ١٩٢٢، ١٦، ١ ج ١٨، ١
	ج ١
الوحدة العربية الممزقة	جريدة ((المفيد)) العدد ١٠٤ في ٢٢ / ٨ / ١٩٢٢، ١٦، ١ ج ١، ١٨ ج ١
أمين الريحاني	مجلة ((العرفان)) الجزء الثالث من المجلد الثامن، كانون الأول ١٩٢٢، العدد الخاص من جريدة ((العراق)) في ١ / ١ / ١٩٢٣، ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١
في سبيل الكتاب	١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
يا أحباي	١٦، ٢، ١ ج ١٨، ١ ج ١
هجرت الديارا	((البابليات))، ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١
الشباب الحر	مجلة ((العرفان)) ج ٤، المجلد ٨ في كانون الثاني ١٩٢٣ بعنوان ((الام شرقي وآماله))، ١٣، ٢، ١ ج ١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
الروضة الغناء	جريدة ((العراق)) العدد ٨١٢ في ١٨ / ١ / ١٩٢٣، ١٦، ٢، ١ ج ١٢، ١١ ج ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١
النقمة	١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
أمنع القلب الخلي	١ بعنوان ((فعلى م دن))، ١٦، ١١ ج ١٨، ١ ج ١
النشيد الخالد	٨٣، ١ ج ١٠، ١١، ١٣ ج ١٦، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١
سلام على أرض	مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ٨ في شباط ١٩٢٣، ١٦، ١ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١٩، ١ ج ١
الرصافة	

مجلة ((العرفان)) ج ٦، المجلد ٨ في آذار ١٩٢٣، ١٦، ١ ج ١٧، ١	لا تفكوا إيساره
ج ١٨، ٢ ج ١	
جريدة ((العراق)) العدد ٨٧٤ في ٣١ / ٣ / ١٩٢٣، ١٦، ١ ج ١	الشاعر السليب
١٨ ج ١	
١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١	في تقرير ديوان ابن
	الخياط
مجلة ((العرفان)) ج ٣، المجلد ٩ في كانون الأول ١٩٢٣، ١٦، ٢، ١ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٣ ج ١	أعيذك من كذبتين
جريدة ((الأمل)) في ٢٧ / ١٠ / ١٩٢٣، ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١	صوت من النجف
١٦، ٣، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٣ ج ١	على أطلال الحيرة
١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١	وخزات
((شعراء الغري)) ج ١٠، ١٧٢، ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١	مستهام
١٦ ج ١٨، ١ ج ٤	رسالة
مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ٩ في شباط ١٩٢٤، ٩، ٣، ٢، ١ ج ١٣، ٢ ج ١٦، ١ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١	تذكر العهود
مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ٩ في آذار ١٩٢٤، ٩، ٣، ٢، ١ ج ١٦، ١ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٤ ج ١	يا فراتي
جريدة العراق العدد الممتاز ١٣٢٦ في ٢ / ٦ / ١٩٢٤، ٩، ٣، ٢، ١ ج ١٦، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٤ ج ١	النجوى
١٦، ٣، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٣ ج ١٩، ١ ج ١	عاطفات الحب

في بغداد	١٦،٣،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٤ ج ١٩،١
عدّ عنك الكؤوس	١٦ ج ١٨،١ ج ١
على مجلسي	١٦،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٢ ج ١
الشاعر	مجلة ((لغة العرب)) للأب انستاس الكرملي، مجلة ((الأحرار)) السورية لجبران تويني ١٦،٣،٢ ج ٦،٣،٢ ج ٩،٣ ج ١١،٢ ج ١٣،١١،٢ ج ١٦،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٤ ج ١٩،١
كذب الخائفون	((شعراء الغري)) ١٠،١٧٣،١٦ ج ١٨،١ ج ١
سبحان من خلق الرجال	جريدة ((المفيد)) العدد ٢٥٧ في ٢٦ / ١١ / ١٩٢٤، ١٦،٢، ١٧،١ ج ١٨،٣ ج ١٦،١ ج ١
بم استهل؟	١٦
على حدود فارس	١٦،٣،٢ ج ١٨،١ ج ١٩،١
الذكرى المؤلمة	مجلة ((الحرية)) ١٩٢٤، ١٦،٣،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٣ ج ١٩،١
على كرنند	مجلة ((العرفان)) ج ٥ المجلد ١٠ في شباط ١٩٢٥ بعنوان ((خواطر الشعر في فارس على كرنند)) ١٦،٢، ٣، ١٨،١ ج ١
الريف الضاحك	مجلة ((العرفان)) ج ٦، المجلد ١٠ في آذار ١٩٢٥ بعنوان ((خواطر الشعر في فارس على العراق العجمي)) ٢ بعنوان ((ما بين العراقيين)) ١٦،٣، ٦، ١٧،١ ج ١٨،٣ ج ١٩،١
بين قطرين	مجلة ((دار المعلمين)) عام ١٩٢٥، ١٦،٣، ٢، ١٧،١ ج ١٦،٣، ٣، ١٨ ج ١

الأحاديث شجون	مجلة ((الحرية)) ١٩٢٥، جريدة ((المفيد)) العدد ٣٦٤ في ٦ / ٤
وفي الربيع	١٦ ج ١٨، ١ ج ١٦
وشاح من الورد	صحيفة ((مرآة العراق)) العدد ٣ في ١ / ١٢ / ١٦، ١٩٢٤
سيكفيك رسمي	مجلة ((العرفان)) ج ٥ المجلد ١٠ في شباط ١٩٢٥، ١٦٢ ج ١
على الخالصي	مجلة ((العرفان)) ج ٦، المجلد ١٠ في ايار ١٩٢٥، ١٥، ٣، ٢، ١٨، ١ ج ١٨، ١ ج ١
بعد الفراق	١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
سيصدني وأصده	١٦، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
سجين قبرص	جريدة ((العراق)) العدد ١٥٩٧ في آب ١٩٢٥ بعنوان ((نزيل قبرص - جلاله الملك حسين)) ١٦، ٣، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١٩، ١ ج ١٩
تحت ظل النخيل	مجلة ((العرفان)) ج ١، المجلد ١١ في ايلول ١٩٢٥، ١٦، ٢ ج ١، ١٨ ج ١
الساقبي	٨، ٣ ج ١٠، ١٦، ١ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ١ ج ١
على ذكرى الربيع	مجلة ((العرفان)) ج ٤، المجلد ١١ في كانون الاول ١٩٢٥، ٢، ١٦، ٣ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١٩

بغداد ٢ بعنوان ((دمعة على بغداد)) ٨، ٣ ج ١٦، ١ ج ١٧، ٣ ج ٣،

١٨ ج ١، ١٩

ليت الذي بك في وقع ١٦ ج ١

النواب بي!

شوقي وحافظ جريدة ((النجف)) العدد ٢*٩ في ٢ / ١ / ١٩٢٦، جريدة

((المفيد)) العدد ٥٧١ في ٥ / ١ / ١٩٢٦، ٢ ج ١٦، ١ ج ١٨، ١ ج ١

بعد المطر مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ١١ في كانون الثاني ١٩٢٦،

بعنوان ((حتى الطريق)) ٨، ٣ ج ١٦، ١ ج ١٧، ٣ ج ١٨، ١ ج ١

درس الشباب او بلدي جريدة ((النجف)) العدد ٣٤ في ٨ / ٣ / ١٩٢٦، ٢، ٣، ١٦،

١٨، ١ ج ١

والانقلاب

في الثورة السورية جريدة ((نداء الشعب)) العدد ٧٦ في ٢٠ / ٤ / ١٩٢٦، ٢،

بعنوان ((على دمشق)) ٣ بعنوان ((في الثورة السورية على

دمشق))، ٤ بعنوان ((في الثورة السورية دمعة على دمشق))،

١٦ ج ١، ١٨ ج ١، ١٩

عند الوداع جريدة ((الفضيلة)) العدد ٣٦ في ٢٥ / ٤ / ١٩٢٦، ٣، ٨ ج ١،

١١ ج ١، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ١

ويلى لأمة يعرب جريدة ((النجف)) العدد الممتاز في مايس ١٩٢٦، ٢، ١٦ ج ١،

١٨ ج ١

من النجف الى العمارة جريدة ((الفضيلة)) العدد الممتاز ٤٠ في ٢٣ مارس ١٩٢٦، ٢،

١٦ ج ١، ١٨ ج ١

في ذكرى الخالصي	١٦،٢ ج ١٨،١ ج ١
ذكرى دمشق الجميلة	مجلة ((المعرض)) ١٦،٣،٢ ج ١٨،١ ج ١
الى روح العلامة	جريدة ((الفضيلة)) العدد ٥٦ في ١٢ / ٩ / ١٩٢٦، ١٦،٣،٢
الجواهري	ج ١٧،١ ج ١٨،٢ ج ١
البادية في ايران	جريدة ((الفضيلة)) العدد ٦١ في ١٧ / ١٠ / ١٩٢٦ بعنوان ((خواطر الشعر في فارس))، ١٦،١١،٣،٢ ج ١٨،١ ج ١١٦
على دربند	ج ١٨،١ ج ١ مجلة ((العرفان)) ج ٥، المجلد ١٢ في كانون الثاني ١٩٢٧ بعنوان ((خواطر الشعر في فارس))، ٨،٣ ج ١٦،١ ج ١٧،١ ج ١٨،٣
بريد الغربية	ج ١٩،١ جريدة ((الفيحاء)) العدد ١٠ في ٣١ / ٣ / ١٩٢٧ بعنوان ((بريد الغربية أو يوم شمranات))، ٣،٢، جريدة ((الفرات)) العدد ١٩ في ٣ / ٦ / ١٩٣٠ تحت عنوان ((اسمعي وزارة المعارف))، ١٦ ج ١٨،١ ج ١
في طهران	٢ بعنوان ((في العاصمة طهران)) ١٦ ج ١٨،١ ج ١
الخریف في فارس	١٦،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٣ ج ١
الربيع	١٦،٢ ج ١٧،١ ج ١٨،٢ ج ١
من كنوز فارس	جريدة ((النجف)) الاعداد كم ٦١ في ١٢ / ١٠ / ١٩٢٦ الى ٦٩ في ١٧ / ١ / ١٩٢٧، جريدة ((الفضيلة)) العدد ٧٠ في ١٩ / ١٢ / ١٩٢٦، ١٦ ج ١٨،١ ج ١

اعترافات	جريدة العراق العدد ١٩٩٧ في ٢٠ / ١١ / ١٩٢٦، ج ١، ١٧ ج ١٨، ٣ ج ١
شدة لندن	جريدة ((العراق)) العدد ٢٠٠٠ في ٢٤ / ١١ / ١٩٢٦، ج ١٨، ١ ج ١
بغداد على الغرق	مجلة ((العرفان)) ج ٦، المجلد الثالث عشر- في شباط ١٩٢٧ بعنوان ((بغداد أو وقفة على دجلة))، ٢، ٣، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١
تحية الوزير	٢، ٣ بعنوان ((ذكرى كتاب النصولي- تحية الوزير الجريء السيد عبد الهادي- بك)) ١٦ ج ١٨، ١ ج ١
الوطن والشباب	مجلة ((العرفان)) ج ٨، المجلد ١٣ في نيسان ١٩٢٧ بعنوان ((أشبان الطرق))، ٢، ٣، ٨ ج ١٦، ١ ج ١٧، ٢ ج ١٨، ١ ج ١
نزوات	مجلة ((لغة العرب)) ج ١٠، السنة الرابعة نيسان ١٩٢٧، ٢، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١
هلموا وانظروا	جريدة ((العالم العربي)) العدد ٩٥٠ في ٢٣ / ٤ / ١٩٢٧ بتوقيع ((ابن البادية))، ٢، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١
الخطوب	جريدة ((العالم العربي)) العدد ٩٥٤ في ٢٧ / ٤ / ١٩٢٧، ٢، ٣، بعنوان ((الخطوب القاسية))، ٨ ج ١٠، ١٦ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١٩، ١ ج ١
شهيد العرب	جريدة ((العراق)) العدد ٢١٦٨ في ٩ / ٦ / ١٩٢٧، ٢ بعنوان ((شهيد العرب- جلالة المنقذ الملك حسين))، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

النقشة جريدة ((العالم العربي)) العدد ١٠٠١ في ٢٢ / ٦ / ١٩٢٧

بتوقيع ((متألم، ٢، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

غازي جريدة ((العالم العربي)) العدد ١٠٤٠ في ٥ / ٨ / ١٩٢٧ بتوقيع

((شاعر)) ٢ بعنوان ((تحية سمو الأمير))، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

في الطائرة (على ابواب جريدة ((الزمان)) العدد ١٠ في ١٥ / ٨ / ١٩٢٧، ١٦، ٢، ١ ج ١٨ ج ١
المفاوضات)

على سعد ٢، ٣ بعنوان ((دمعة على سعد)) ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

جائزة الشعور جريدة ((العالم العربي)) العدد ١١٤٦ في ٨ / ١٢ / ١٩٢٧

بعنوان ((جناية الشعور))، ٢، ٣، ١٦ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٣ ج ١

من لندن الى بغداد ٢، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

ثورة الوجدان ٢، ٣، بعنوان ((احتجاج الوجدان))، ٤ ج ١، ٩ ج ٢، ١٣ ج ٢،

١٦ ج ١، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ١، ١٩

لولا جريدة ((الزمان)) العدد ٢٩ في ١٨ / ٣ / ١٩٢٧، ١٦، ٢، ١ ج ١٨ ج ١

ضحايا الانتداب ٢ بعنوان ((في سبيل الأخوين))، ٣، ١٦ ج ١٨، ١ ج ١

ايها المتمردون جريدة ((العراق)) العدد ٢٤٧٨ في ٢٦ / ٤ / ١٩٢٨، ٣ بعنوان

((الى ارواح الشعراء المتمردين)) ٨ ج ١٦، ١ ج ١٧، ٢ ج ١٨، ١ ج ١٩

الأدب الصارخ جريدة ((العراق)) العدد ٢٦٧١ في ٢٥ / ١ / ١٩٢٩، ١٦٣

ج ١٧، ١ ج ١٨، ٢ ج ١

- الشاعر والعود جريدة ((العراق)) العدد ٢٦٨٩ في ١٥ / ٢ / ١٩٢٩ بعنوان
 ((تراجيدا عراقية أو الشاعر والعود)) ٣، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٣،
 ١٨ ج ١
- صفحة من الحياة الشعبية جريدة ((العراق)) العدد ٢٧٦٠ في ١٠ / ٥ / ١٩٢٩، ٣ بعنوان
 أو بيت يتهدم ((الشباب العراقي)) ١٦ ج ١، ١٨ ج ١
- أمان الله جريدة ((العراق)) العدد ٢٧٨٧ في ١٢ / ٦ / ١٩٢٩ بعنوان
 ((مأساة الأفغان أو وداعا أمان الله)) ٣ بعنوان ((وداعا أمان
 الله))، ٦ ج ٣، ٨ ج ١، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٣، ١٨ ج ١
- علموها جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٣٥ في ٧ / ٨ / ١٩٢٩ بعنوان
 ((على المكشوف حول مدرسة البنات النجفية))، ٣ بعنوان
 ((حول مدرسة البنات في النجف))، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٢، ١٨ ج ١
- الرجعيون جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٥١ في ٢٦ / ٨ / ١٩٢٩ بعنوان
 ((ليقرأ الرجعيون))، ٣، ٥ ج ٢، ٩ ج ٢، ١٣ ج ٢، ١٦ ج ١، ١٧ ج ١،
 ١٨ ج ٢، ١٩ ج ١
- فلسطين الدامية جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٧١ في ١٨ / ٩ / ١٩٢٩ بعنوان
 ((على فلسطين الدامية))، ٣، ١٦ ج ١، ١٧ ج ٤، ١٨ ج ١
- النزغة أو ليلة من ليالي جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٩٧ في ١٨ / ١٠ / ١٩٢٩ بتوقيع
 الشباب ((ابن سهل))، ٣، ٦ ج ٣، ٨، ٧ ج ١، ١١ ج ١، ١٢ ج ١، ١٦ ج ١،
 ١٧ ج ١، ١٨ ج ٣، ١٩ ج ١

ساعة مع البحري في جريدة ((العراق)) العدد ٢٨٩٩ في ٢١ / ١٠ / ١٩٢٩، بعنوان

سامراء ((بين شاعرين: ساعة مع البحري على أطلال سامراء))، ٣، ٥

ج ٩، ٢ ج ١٢، ٢ ج ١٦، ٢ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٣ ج ١

جربيني جريدة ((العراق)) العدد ٢٩٠١ في ٢٣ / ١٠ / ١٩٢٩ بعنوان

((صباة شاعر)) وبتوقيع ((ابن سهل))، ٣، ٦ ج ١١، ١٢

ج ١٦، ١ ج ١٧، ١ ج ١٨، ٤ ج ١٩، ١

وشطيه والجُرْف والمنحني
على سيد الشجر المقتني
كوشي العروس واذا يُجتنى
ترف وبالعسر عند القني
«ثوباً» تهرى» وثوباً نضاً
كما حمّ ذو حرد فاغتلى
وتمشي رخاء عليها الصبا
تخوض منها بماء صرى
ن يسرف في شحه والندي

سلام على هضبات العراق
على النخل ذي السعف الطوال
على الرطب الغض اذا يُجتلى
بإيساره يوم أعذاقه
وبالسعف والكرب المستجد
ودجلة اذ فارأذيهما
ودجلة تمشي على هونها
ودجلة زهو الصبايا الملاح
تريك العراقي في الحالتيـ



وزارة الثقافة والسياحة والآثار العراقية
طبع بمطابع دار الشؤون الثقافية
info@darculture.com
سعر النسخة : 8000 IQD